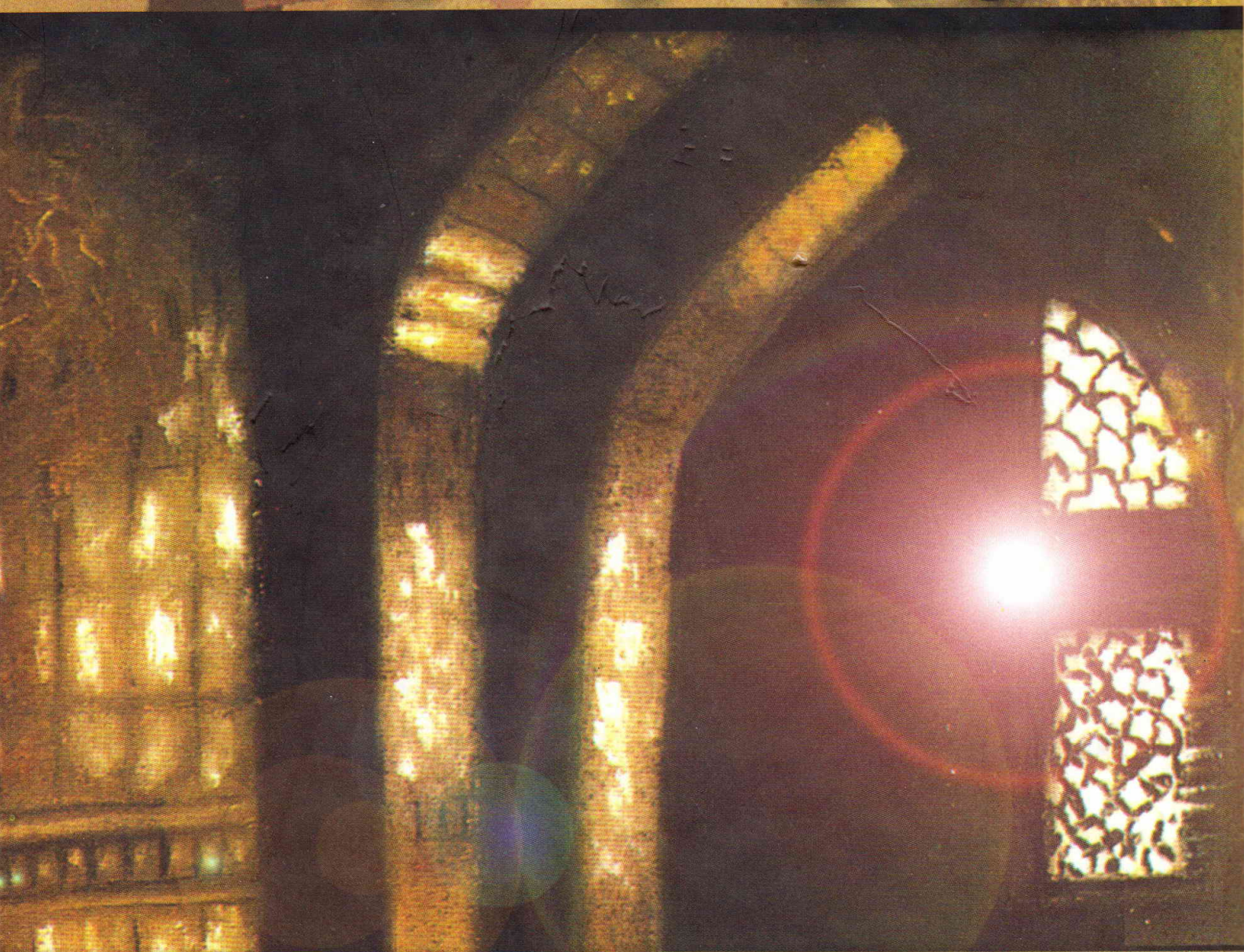


الشيخ محمد بن علي ضوء الأول والأربعين



العلامة المحقق
الشيخ عبد اللطيف البغدادي

الدار الإسلامية



الرجعة على ضوء الأدلة الأربعة

اسم الكتاب : الرجعة على ضوء الأدلة الأربعة
المؤلف : سماحة الشيخ الخطيب عبد اللطيف البغدادي
الناشر : الدار الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع
تاريخ الطبع: ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م

جميع حقوق الطبع محفوظة



حارة حريك - شارع دكاش - مقابل مدرسة اليسيه أميكال مودرن
هاتف: ٥٥٣٨٦٣/٠١ - ٣٨٩١٦٦/٠٣ - ص.ب: ١٤/٥٦٨٠
WWW-DARALISLAMIA.COM INFO@DARALISLAMIA.COM

الرجعة

على ضوء الأدلة الأربعة

وفيه الإمام المهدي (ع) وكيفية غيبته وظهوره

سماحة العلامة المحقق الخطيب

الشيخ عبد اللطيف البغراوي

الدار الإسلامية

بيروت - لبنان

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الإهداء

إليكم يا هداة العباد .
إليكم يا من جاهدتم في الله حق الجهاد .
إليك يا رسول الله وإلى أهل بيتك الطاهرين .
إليكم جميعاً - أعود مرة أخرى
فأرفع هذا المجهود المتواضع وهو عنوان ولائي ،
الخالص لكم راجياً التفضل عليّ بالقبول وهو حسبي .

المؤلف

آيات افتتاحية من الذكر الحكيم

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۚ إِنَّهُمْ لَن يَغْنُوا عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ ۚ﴾ هَذَا بَصِيرَةٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ۚ ﴿١٩﴾ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً نَّحْيِيهِمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٢٠﴾﴾

([الجاثية : ١٩-٢٢])

دعاء افتتاحي

بسم الله الرحمن الرحيم

«يا عُدَّتِي عِنْدَ الْعُدَدِ، ويا رَجَائِي وَالْمُعْتَمِدِ، ويا كَهْفِي
وَالسَّنْدِ، ويا واحِدُ يا أَحَدَ، ويا قُلْ هو الله أَحَدَ. أسألك اللهم
بحق من خلقتَ من خَلْقِكَ ولم تجعل في خَلْقِكَ مِثْلَهُم أَحَدًا،
صَلِّ على جماعتهم^(١). وعجل فرجهم وأفعل بنا ما أنت أهله
فإنك أهل التقوى وأهل المغفرة».

دعاء الإمام علي الهادي عليه السلام

(١) نقله السيد محسن العاملي في كتابه (مفتاح الجنات) ج ٢ ص ١١٦١ عن الشيخ الطوسي في (أماله) بإسناد معتبر عن الإمام علي الهادي (ع) وقوله في الدعاء: (ويا قل هو الله أحد) الظاهر أنه يريد بهذا النص: ويا منزل (قل هو الله أحد).

المقدمة

الحمد لله الذي يحيي ويميت ويميت ويحيي وهو حي لا يموت بيده الخير وهو على كل شيء قدير، والصلاة والسلام على خير خلقه محمد وآله الطيبين الطاهرين الذين استخلفهم الله في الأرض على عبادته، ووعدهم النصر في الدارين ﴿ إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ ۝ ﴾ [المؤمن / ٥١].

(١)

كثير من الحقائق الإسلامية التي جاء بها الإسلام في العقائد والعبادات وغيرهما وأوضحها إيضاحاً كاملاً لا غبار عليها، ولكنها (طبعاً) لا تروق لكثير من الظالمين الغاشمين وأعوانهم السائرين في ركابهم لذلك خلقوا (إفكاً وزوراً) حولها أنواعاً من الشبهات، وكثيراً من التأويلات أو أغفلوا ذكرها بالمرّة وكان الإسلام لم يأت بها أصلاً، أو ادعوا بأنها مخالفة للإسلام والدليل، كل ذلك وغير ذلك لصرف الناس عنها، وإيقاع الخلاف فيها وهي كثيرة وكثيرة جداً لا عد لها ولا حصر.

(٢)

ومن تلك الحقائق الإسلامية الكثيرة موضوع (الرجعة) التي أشار إليها، وصرح بها، وبوقوعها، القرآن المجيد في العديد من آياته، وأوضحها النبي ﷺ وأهل بيته الصادقون  في أحاديثهم، وبثها أهل البيت ونشروها في كثير من الأدعية والزيارات وأنواع المناسبات لتتعرف عليها الأمة

الإسلامية، ولكن مع ذلك كله ظل الكثير من الناس جاهلين بها جهلاً مطبقاً لا يعرفون شيئاً عنها، أو عن أدلتها.

(٣)

لذلك عزمت (بتوفيق من الله تعالى) على إيضاح هذه الحقيقة مقرونة بالأدلة القطعية من الكتاب والسنة والإجماع والعقل، على إمكانيتها ووقوعها بالفعل.

وقد سهل الله لي (بالرغم من انحراف صحتي وضعف بصري وكثرة مشاغلي) إكمال هذا الكتاب الذي أضعه بين يدي القارى الكريم، وسميته (الرجعة) على ضوء الأدلة الأربعة وقسمته إلى ستة فصول وخاتمة.

(٤)

ويجد القارىء الكريم في هذه الفصول الستة أنواع البحوث من التحقيق والتدقيق حول الآيات القرآنية الكريمة التي استدللنا بها، أو الآيات التي استشهدنا بها عرضاً، وكذلك التحقيق والتدقيق في الأحاديث التي ذكرناها حول تلك الآيات، وما قد ينشأ عنها من بعض الشبه أو الاشكالات العديدة والمنوعة والجواب عنهما بما يشفي الغليل ويوقف القارى على سواء السبيل ولا سيما في الفصل الثاني منه الذي هو أطول الفصول والذي يتضمن وقوع الرجعة في الأمم الماضية في ثمان قصص قرآنية واقعة.

وأسهبنا فيما ينبغي الإسهاب فيه، واختصرنا فيما ينبغي الاختصار فيه.

كل ذلك لتعم الفوائد والمعطيات للقارى الكريم في خصوص موضوع الرجعة التي ألف الكتاب لأجلها، ولمواضيع أخرى مهمة لا يُستغنى عنها.

(٥)

وحيث أن الرجعة تكون عند ظهور الإمام المهدي (عج)، ونظراً إلى

الحديث المتفق عليه عن الصادق الأمين عليه السلام «من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية وما في معناه من أحاديث أخرى كثيرة»^(١).

لذلك خصصت الفصل السادس في الإمام المهدي (عج) وغيبته وظهوره إكمالاً للفائدة، والله من وراء القصد، وأسأله تعالى وهو السميع المجيب أن يتقبله منا ويجعله خالصاً لوجهه الكريم، وأن ينفع عباده المؤمنين ﴿وَإِنْ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ [ق/ ٣٧].

المؤلف

(١) هذا الحديث الشريف، وما في معناه من النصوص العديدة ثابت عن النبي (ص) من طرق شتى، حيث افاضه على أصحابه مراراً كثيرة، وشهرته تغني عن ذكر مصادره، ولكن للتأكيد نشير إلى بعضها فنقول:

روى الحديث جملة من الصحابة كعبد الله بن عمر، وابن عباس، ومعاوية بن أبي سفيان، وعامر بن ربيعة، وأبي هريرة، وسلمان الفارسي، وأبي ذر الغفاري، والمقداد بن الأسود الكندي، وجابر بن عبد الله الأنصاري، وغيرهم، كما رواه جمع من أئمة الهدى (ع) أيضاً. وقد روته بالأسانيد الصحاح والسنن والمسانيد كأحمد بن حنبل في (مسنده) ج ٣ ص ٤٤٦، وج ٤ ص ٩٦ والبخاري في ثاني أبواب كتاب (الفتن)، ومسلم في باب الأمر بلزوم الجماعة من كتاب (الإمارة) من صحيحه ج ٦ ص ٢١ و ٢٢، وأبي داود الطيالسي في (مسنده) ص ٢٥٦، والبيهقي في (سننه) ج ٨ ص ١٥٦، والهيتمي في (مجمع الزوائد) من عدة طرق ج ٥ ص ٢١٨ و ٢١٩ و ٢٢٣ و ٢٢٤ و ٢٢٥، وابن كثير في (تفسيره) ج ١ ص ٥١٧، والتفتازاني في (شرح المقاصد) ج ٢ ص ٢٧٥ وأبي جعفر الإسكافي في خلاصة نقض كتاب العثمانية للجاحظ ص ٢٩ وغيرهم (راجع كتاب إحقاق الحق) ج ٢ ص ٢٩٧ و ٢٩٨، و(دلائل الصدق) للمظفري ج ٢ ص ٦، وراجع الغدير ج ١٠ ص ٣٥٨ و ص ٢٦٢، فقد استعرض بعض مصادر الحديث والفاظ نصوصه، وذكر إصناق أئمة الحديث وإطباق الأمة الإسلامية على مؤداه، وعلق عليه في ما تضمنه من بعض الحقائق، وراجع كتاب إكمال الدين للصدوق باب ٤٢ في من انكر القائم ص ٣٨٧ و ٣٩٢، وكتاب (المحاسن) للبرقي ص ١١٦ - ١١٧، والشافي في شرح الكافي ج ٤ ص ٤٥٩ - ٤٦٠.

بسم الله الرحمن الرحيم
وبه نستعين

الفصل الأول:

إرجاع من محض الكفر محضاً

التحقيق حول الرجعة

أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِمَّنْ يُكَذِّبُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ [النمل / ٨٤]

دلت هذه الآية الكريمة بكل صراحة ووضوح على أن الله سيحشر في يومٍ ما بعض الناس دون بعض، وإن البعض الذين يحشرون في ذلك اليوم هم ممن يكذب بآيات الله، وهم أفواج عديدة فمن كل أمة يحشر فوج منهم، وأنهم يدفعون إلى الحشر في ذلك اليوم دفعاً، فهذا ما دلت عليه الآية بنصها.

وهذه الآية تُعد من الآيات القرآنية الكثيرة التي تدل على الرجعة إلى دار الدنيا بعد الموت وقبل يوم القيامة.

تساؤلات حول الرجعة

وموضوع الرجعة من المواضيع الإسلامية المهمة، ونرى أكثر الناس جاهلين بهذا الموضوع، ويتساءل بعضهم:

١ – ما هي الرجعة؟

٢ – ومن يقول بها أو يعتقد بها؟

٣ – ومتى تكون وما كلفتها، ومن الذي يرجع ومن لا يرجع؟

٤ - وما هو الدليل عليها، وما هي فلسفتها، وما الحكمة فيها؟
هذه أسئلة سنجيب عنها (إن شاء الله) بوضوح ليعلمها من كان جاهلاً بها.
جوابنا على تلك تساؤلات:

١ - ما هي الرجعة؟

بعبارة موجزة هي عبارة عن إرجاع الله عز وجل لبعض الناس إلى الدنيا بعد الموت وقبل يوم القيامة، وسيوضح التفصيل خلال البحث من بقية تلك الأسئلة.
وهذا المعنى هو الذي صرحت به كتب اللغة، قال الجوهري في الصحاح، (وفلان يؤمن بالرجعة أي بالرجوع إلى الدنيا بعد الموت)، وقال أيضاً: الكر الرجوع. وقال صاحب القاموس أيضاً ج ٣ ص ٢٨: ويؤمن بالرجعة أي الرجوع إلى الدنيا بعد الموت، فهذا معناها الحقيقي المتفق عليه لا غير.

٢ - من يقول بالرجعة أو يعتقدها؟

أما السؤال الثاني: مَنْ يقول بها أو يعتقدها؟

الجواب، اشتهر القول بالرجعة عند الشيعة الإمامية فهم الذين يقولون بها، بل يؤمنون ويعتقدون وقوعها وهي عندهم من المسلمات، ومن ضروريات المذهب، ويروون عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: ليس منا من لم يؤمن بكرتنا؟ ولم يستحل متعتنا^(١) ويقرؤون في زيارتهم عليهم السلام «الجامعة

(١) رواه الصدوق في كتابه (مَنْ لا يحضره الفقيه) ص ٤٢٩، وفيه أيضاً ج ٢ ص ١٤٨، راجع البحار ج ٥٣ ص ١٣٦ في الحاشية: ورواه في الهداية على ما في المستدرک ج ٢ ص ٥٨٧ ولفظه: ليس منا مَنْ لم يؤمن برجعتنا... الخ.

وبهذا اللفظ ذكره الشيخ المفيد في (المسائل السروية) كما في (البحار)، وقال كل من الطريحي في (مجمع البحرين) ص ٣٥١، والطبسي في كتابه (الشيعة والرجعة) ج ١ ص ١٩: وهي من ضروريات مذهب الإمامية وعليها من الشواهد القرآنية وأحاديث أهل البيت ما هو أشهر من أن يذكر حتى إنه ورد عنهم وذكر الحديث. كما ذكر الحديث أيضاً الحر العاملي في =

الكبيرة» وهي كما في (مفتاح الجنات) للسيد الأمين العاملي ج ٢ ص ٢١١ : من أحسن الزيارات متناً وسنداً وأكملها وقد رواها شيخنا الصدوق في (العيون) ج ٢ ص ٢٧٢ بإسناد معتبر، وكذا رواها الشيخ الطوسي في (التهذيب) بسنده ج ٢ ص ٣٤ عن الإمام علي الهادي عليه السلام، كما رواها الصدوق في كتابه (من لا يحضره الفقيه) ص ٣٠٩ ونقلها عن الصدوق، والطوسي المجلسي في (البحار) ج ٥٣ ص ٩٢ جاء فيها ما يصرح بالرجعة حيث يقول: وجعلني ممن يقتصر آثاركم ويسلك سبيلكم، ويهتدي بهداكم، ويحشر في زمركم، ويكرّ في رجعتكم، ويملك في دولتكم، ويشرف في عافيتكم، ويمكن في أيامكم وتقرّ عينه غداً برؤيتكم.

وفي زيارة الجامعة أيضاً: مؤمن بإيابكم مصدّق برجعتكم منتظر لأمركم، مرتقب لدولتكم . . الخ.

وفي زيارة الأربعين للإمام الحسين عليه السلام عن الإمام الصادق عليه السلام وكذا في زيارة وارث المطلقة: وأشهد الله وملائكته وأنبياءه ورسله أني بكم مؤمن وبإيابكم موقن بشرائع ديني وخواتيم عملي . . . الخ.

وهكذا جاء في أكثر زيارات الأئمة الأطهار والأدعية الواردة عنهم عليهم السلام التصريح في رجعتهم وأن شيعتهم يؤمنون بها وهي من الكثرة بمكان حتى أن آية الله الشيخ محمد رضا الطبسي جمع بعض ما ورد في تلك الأدعية والزيارات من النصوص الصريحة والدالة على الرجعة، الواردة عن خزان العلم وأهل بيت الوحي عليهم السلام في مؤلفه القيم (الشيعية والرجعة) الكثير الكثير في ج ٢ ص ١١٧ - ٢٤٢، فتحت عنوان (الأدعية والرجعة) جمع من المصادر الموثوقة وبصحائف مرقمة ٦٧ قطعة من تلك الأدعية الماثورة، وتحت عنوان

كتابه (الإيقاظ) ص ٣٠٠ نقلاً عن كتاب (من لا يحضره الفقيه)، والسيد عبد الله شبر في كتابه (حق اليقين) ج ٢ ص ٤.

(الزيارات والرجعة) جمع ٥٨ قطعة من تلك الزيارات من مصادرها الثابتة عنهم عليه السلام فراجع إذا شئت .

أما الأخبار الواردة عن النبي ﷺ وأهل بيته الأطهار عليهم السلام الدالة على الرجعة والمصرحة بوقوعها تُعد بالمئات وربما زادت على خمسمائة رواية في أبواب متفرقة وكثيرة كما نص على ذلك العلامة الطباطبائي في تفسيره (الميزان) ج ٢ ص ١٠٩ ، ويقول شيخنا المجلسي في (البحار) ج ٥٣ ص ١٢٢ : أجمعت الشيعة عليها (أي الرجعة) في جميع الأعصار واشتهرت بزبأبوبيينهم كالشمس في رابعة النهار حتى نظموها في أشعارهم واحتجوا بها في جميع أمصارهم إلى أن قال :

وكيف يشك مؤمن بحقية الأئمة الأطهار عليهم السلام فيما تواتر عنهم في قريب من مائتي حديث صريح ، رواها نيف وأربعون من الثقات العظام ، والعلماء الأعلام ، في أزيد من خمسين من مؤلفاتهم ، (وعد جمعاً منهم إلى أن قال) :
وإذا لم يكن مثل هذا متواتراً ففي أي شيء يمكن دعوى التواتر مع ما روته كافة الشيعة خلفاً عن السلف . . . الخ .

وعلى كل فقد أجمع علماء الشيعة مع أئمتهم عليهم السلام على إثبات الرجعة ووقوعها ، ونقل الشيخ الطبرسي في كتابه (الشيعة والرجعة) ج ٢ ص ٢٤٥ تصريحات بعض العلماء بإجماع الشيعة على ذلك تحت عنوان (الإجماعات والرجعة) مبتدأ بالشيخ الطبرسي في (مجمع البيان) ، ومنتهاً بالسيد أبو الحسن الأصفهاني ص ٢٤٥ - ٢٨٨ ، هذا وقد شنع بعض المخالفين عليهم في ذلك ، واستسخفوا عقيدتهم بها حتى جعلوا القول بالرجعة من الآراء السخيفة ، بل بعضهم يصرح (عناداً أو جهلاً) بأنها مستحيلة الوقوع^(١) فاحتجت عليهم الشيعة

(١) راجع تفسير الميزان ج ٢ ص ١٠٩ فإنه نقل عن بعض المخالفين زعمه باستحالة الرجعة وناقشه صاحب الميزان ، وفند زعمه وقوله بالدليل الملزم له ولغيره . =

بأدلة قطعية من الكتاب والسنة، أدلة واضحة جلية، وملزمة، ولكنهم وكأنهم عن سماع تلك الأدلة في آذانهم وقرأ فهم لا يسمعون.

وصدق الله حيث قال مخاطباً رسوله الأعظم ﷺ :

﴿ إِنَّكَ لَا تَسْمِعُ الْمَوْتَ وَلَا تَسْمِعُ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ ﴾ وَمَا أَنْتَ بِهَادِي الْعُمَى عَنْ ضَلَالَتِهِمْ إِنْ تَسْمِعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ ﴿ [النمل / ٨٠ - ٨١]

٣ - متى تكون الرجعة، ومن الذي يرجع ومن لا يرجع؟

أما السؤال الثالث متى تكون الرجعة؟ وما كيفيتها؟ ومن الذي يرجع ومن لا يرجع؟

فالجواب على هذه الأسئلة نقول :

قد تظافرت الأخبار عن أئمة الهدى من آل محمد ﷺ في أن الله الذي هو على كل شيء قدير سيعيد عند قيام المهدي (عج) وبعده قوماً ممن تقدم موتهم من آبائه الطاهرين، وأوليائه وشيعته المؤمنين إلى الدنيا ليفوزوا بثواب نصرته ومعونته ويبتهجوا بظهور دولته وتقر أعينهم به .

جاء في دعاء العهد الذي روي عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال : من دعا الله أربعين صباحاً بهذا العهد كان من أنصار قائمنا، فإن مات قبله أخرجه الله من قبره، وأعطاه بكل كلمة ألف حسنة ومحا عنه ألف سيئة . وأوله :

اللهم رب النور العظيم، ورب الكرسي الرفيع، ورب البحر المسجور، ومنزل التوراة والإنجيل والزبور، ورب الظل والحرور، ورب القرآن العظيم .

(إلى أن جاء في الدعاء) :

اللهم أن حال بيني وبينه الموت الذي جعلته على عبادك حتماً مقضياً، فأخرجني من قبري مؤتزرأ كفني، شاهراً سيفي، مجرداً قناتي، ملبياً دعوة

الداعي، في الحاضر والبادي، اللهم أرني الطلعة الرشيدة، والغرة الحميدة، وأكحل ناظري بنظرة مني إليه، وعجل فرجه وسهل مخرجه... الخ^(١). وكما يعيد الله إلى الدنيا قوماً من شيعته، كذلك يعيد قوماً من أعدائه وأعداء آبائه الطاهرين لينتقم منهم، وينالوا بعض ما يستحقون من العذاب في القتل على أيدي شيعتهم، بعد أن يعانون الذل والخزي والعار بما يشاهدون من علو كلمته، وظهور دولته.

ومختصراً: الرجعة عند أهل البيت عليهم السلام (وشيعتهم تبع لهم) رجعة خاصة، وحشر خاص يخص من محض الإيمان محضاً، ومحض الكفر والشرك محضاً، كالنبي صلى الله عليه وآله وأهل بيته وأتباعهم المخلصين من المؤمنين، وأعدائهم الألداء ممن مات على غير دينهم دين الإسلام، وما عدا هؤلاء مسكوت عنهم.

يوم الرجعة من أيام الله الخاصة:

ويوم الرجعة عند أهل البيت عليهم السلام هو أحد أيام الله العظيمة التي يظهر فيها للعيان أمره وحكمه وآياته وسلطنته عز شأنه.

تلك الأيام هي التي تشير إليها بعض الآيات القرآنية الكريمة منها قوله تعالى في سورة إبراهيم:

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُمْ بِآيَاتِ اللَّهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾
[إبراهيم/ ٥]

ومنها قوله تعالى في سورة الجاثية: ﴿قُلْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ لِيَجْزِيَ قَوْمًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [الجاثية/ ١٤].

(١) راجع الدعاء في كتب الأدعية والزيارات، وقد ذكره شيخنا المجلسي في البحار ج ١٠٢ ص ١١١ عن عدة مصادر.

نرى في هاتين الآيتين نسبة أيام إلى الله تعالى، ومما لا شك فيه أن المراد بها أيام خاصة لا عامة لكل الأيام، ومعلوم أن نسبة أيام خاصة إلى الله سبحانه مع كون جميع الأيام وكل الأشياء على الإطلاق له جل شأنه إذاً لا بد وأن يكون في تلك الأيام ظهور مشاهد لأمره وحكمه بحيث لا يبقى معه لغيره ظهور ولا حكم، فأيام الله هي الأزمنة والظروف التي أظهر أو سيظهر فيها حكمه ووحدانيته وسلطته كيوم الموت الذي يظهر فيه سلطان الآخرة وتسقط فيه الأسباب الدنيوية عن التأثير، وكيوم القيامة الذي أشارت إليه الآية الكريمة: ﴿يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ﴾ [الانفطار/ ١٩]، وكالأيام التي أهلك الله فيها قوم نوح، وعاد، وثمود، فإن هذه الأيام وأمثالها ظهر فيها القهر والغلبة الإلهيان وأتضح فيها ﴿إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ [يونس/ ٦٦] كما يمكن أن تكون من أيام الله عز وجل أيضاً الأيام التي ظهرت فيها النعم الإلهية ظهوراً ليس فيه لغيره صنع كيوم خروج نوح عليه السلام وأصحابه من السفينة بسلام من الله وبركات منه، ويوم إنجائه إبراهيم الخليل من النار وغيرهما فإنهما أيضاً كسوابقهما لا نسبة لهما في الحقيقة إلى غيره تعالى، فهي أيام منسوبة إليه كما تنسب بعض الأيام إلى الأمم والأقوام ومنها أيام العرب كيوم ذي قار ويوم الفجار، ويوم بغاث وغير ذلك، هذا ما يستفاد من نسبة أيام خاصة إلى الله.

وجاءت عن النبي ﷺ وأهل بيته عدة أحاديث من طرق الخاصة والعامة تفسر المراد من أيام الله: نستعرض بعضها:

١ - ففي حديث نقله السيوطي في تفسيره (الدر المنثور) ج ٤ ص ٧٠ عن النسائي وعبد الله بن أحمد بن حنبل في زوائد المسند، وابن جرير وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه، والبيهقي في (شعب الإيمان) عن أبي بن كعب (رض) عن النبي ﷺ في قوله تعالى: ﴿وَذَكَّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ﴾ قال: بنعمه

وآلائه : أي بنعمة على المؤمنين في تلك الأيام . ورواه ابن كثير في تفسيره عن بعض تلك المصادر ج ٢ ص ٥٢٣ .

٢ - وما في معناه رواه العياشي في تفسيره ج ٢ ص ٢٢٢ ، والطبرسي في مجمع البيان ج ٣ ص ٣٠٤ ، ونقله عنهما المولى محسن الفيض في (الصافي) ، والعلامة الطباطبائي في (الميزان) في قوله تعالى : ﴿وَذَكَّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ﴾ عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال : بآلائه ونعمه .

٣ - ونقل العلامة الطباطبائي في تفسيره (الميزان) ج ١٢ ص ١٦ عن آمالي الشيخ الطوسي بإسناده عن عبد الله بن عباس ، وجابر بن عبد الله في حديث طويل عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال فيه : أيام الله نعماءه وبلاؤه وهو مثلاته سبحانه : أي عقوباته .

٤ - وجاء في تفسير القمي ج ١ ص ٣٦٧ قوله : أيام الله ثلاثة يوم القائم ، ويوم الموت ، ويوم القيامة .

نقله عن القمي المولى محسن الفيض في تفسيره (الصافي) ، والبحراني في تفسيره (البرهان) ص ٥٣٤ على ما نقله عنه الطبسي في (الشيعة والرجعة) ج ٢ ص ١٠٥ ، كما نقله عن القمي العلامة الطباطبائي في تفسيره (الميزان) ج ١٢ ص ١٦ ونقله عن القمي المجلسي في (البحار) ج ١ ص ٤٥ .

٥ - وجاء في حديث شهير عن أهل بيت الوحي والعصمة منهم الإمامان الباقر وولده الصادق عليه السلام أنهما قالوا :

أيام الله عز وجل ثلاثة ، يوم القائم ، ويوم الكرة (أي يوم الرجعة) ويوم القيامة . ورواه بهذا النص الصدوق في كتابه (معاني الأخبار) ص ٣٤٨ بسنده عن الإمامين الباقر والصادق عليه السلام ونقله الطباطبائي في (الميزان) ج ١٢ ص ١٦ ، كما رواه الصدوق أيضاً بسند آخر في كتابه (الخصال) ص ١٠٨ عن

الباقر عليه السلام ، ونقله عن الصدوق في الخصال المولى محسن الفيض في تفسيره (الصافي) في تفسير سورة إبراهيم ، ونقل الحديثين عن الصدوق المجلسي ج ٥١ ص ٥٠ ، وفي ج ٥٣ ص ٦٣ ، ونقله في نفس الصفحة عن كتاب (منتخب البصائر) أيضاً ، ونقل الحر العاملي في كتابه (الإيقاظ) ص ٩٧ الحديث عن الصدوق وغيره ، كما روى الحديثين بنصهما ص ٢٣٥ عن الصدوق في كتابيه وعن كتاب (الصراط المستقيم) للعاملي وأن هذا الأخير نقل الحديث عن كتاب الحضرمي .

وروى الحديث عن الباقر والصادق عليه السلام الشيخ سليمان الحنفي في كتابه (ينابيع المودة) نقلاً عن كتاب (المحجة) ص ٤٢٤ باب ٧١ ، وروى الحديثين البحراني في تفسيره (البرهان) ص ٥٣٣ - ٥٣٤ ، ونقلهما عنه الطبسي في (الشيعه والرجعة) ج ٢ ص ١٠٥ و ١٠٦ ، وقال الطباطبائي في (الميزان) ج ٢ ص ١١٢ وورد عن أئمة أهل البيت عليهم السلام ، وذكر الحديث .

٦ - روى البحراني في تفسيره (البرهان) ص ١٠٠٢ عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام أنه قال : أيام الله المرجوة ثلاثة ، يوم قيام القائم ، ويوم الكرة ، ويوم القيامة . ونقله الطبسي ج ١ ص ٣٧٥ ، وج ٢ ص ١٦٠ .

وهذه الأحاديث التي جاءت تفسر المراد من أيام الله من جهة تراها مختلفة في منطوقها ونصوصها ، ومن جهة ثانية - وبعد التدبر لها يتضح لنا إنها غير مختلفة في مفهومها ومفادها وبيان ذلك هو أن الحديث الأول عن النبي ﷺ ، والثاني عن حفيده الإمام الصادق عليه السلام نصاً في أن المراد من أيام الله هي نعماءه وآلاؤه ، ومعلوم إن النعماء والآلاء من الله في أيامه الخاصة إنما تكون لعباده المؤمنين .

فهي إذا نفسها تكون في تلك الأيام نقمة وعذاباً للكافرين والمتمردين ، ويوضح هذا المعنى الحديث الثالث الوارد عن النبي ﷺ الذي يجمع بين

النعماء والبلاء وأن البلاء هو مثلثه سبحانه، ومثلثه عُقوباته النازلة في الكافرين والمتمردين.

أما الحديث الرابع عن القمي في تفسيره القائل، إن أيام الله ثلاثة يوم القائم، ويوم الكرّة، ويوم القيامة فيستفاد منها أن هذه الأيام هي أعظم أيام الله التي يظهر فيها حكمه وعزته لعباده المؤمنين والكافرين، وتبدو لهما معاً النعماء والآلاء، والنقمة والعذاب، ولم يكن الهدف من هذين الحديثين الحصر لمطلق أيامه بل بيان لأيام الله العظيمة

ومجماً لا منافاة بين كل تلك الأحاديث إذ إن النعمة على المؤمن هي نقمة على الكافر، وكذا الأيام المذكورة في الأحاديث هي نعم عظيمة لقوم ونقم عظيمة لآخرين.

أما الحديث السادس الوارد عن الإمام الصادق عليه السلام القائل: أيام الله المرجوة ثلاثة. الخ، كأنه يشير بالخصوص إلى قوله تعالى مخاطباً لرسوله الأعظم ﷺ: ﴿قُلْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ لِيَجْزِيَ قَوْمًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [الجاثية/ ١٤].

وهذه الآية مكية واقعة في سياق الآيات السابقة الواصفة لحال المتكبرين المستهزئين بآيات الله المهددة لهم بأشد العذاب، ومعناها ﴿قُلْ لِلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ﴾ أي يا محمد مُرِّ الذين آمنوا أن يعفوا ويصفحوا عن أولئك المستكبرين المستهزئين بآيات الله. الذين لا يتوقعون لله أياماً لا حكم فيها ولا مُلك إلا له تعالى كيوم عذاب الاستئصال في الدنيا، ويوم الموت والبرزخ ويوم القيامة ﴿لِيَجْزِيَ قَوْمًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ أي ليصفحوا عن هؤلاء المنكرين لأيام الله حتى يجزيهم الله بأعمالهم الجائرة الإجرامية في يوم من أيامه الانتقامية.

فتكون الآية نظير قوله تعالى: ﴿وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ أُولِيَ النَّعْمَةِ وَمَهَلْهُمْ قَلِيلًا ۝﴾

إِنَّ لَدَيْنَا أَنْكَالًا وَحِمَامًا ﴿ [المزمل / ١١ - ١٢] ، وقوله : ﴿ فَذَرَهُمْ يَحْضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوْعَدُونَ ﴾ [المعارج / ٤٢] ، وقوله : ﴿ فَأَصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَّمَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾ [الزخرف / ٨٩] .

وأخيراً نقول : إن يوم الرجعة هو اعظم يوم في الدنيا يظهر فيه حكم الله وأمره بالنصر والغلبة للمؤمنين ، والانتقام والخذلان للكافرين والمتمردين ولذلك صح انتسابه إلى الله تعالى إذ يتضح فيه تماماً بأنه كما قال تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [المنافقون / ٨] والحمد لله رب العالمين .

٤ - ما الدليل على الرجعة وما فلسفتها والحكمة فيها؟

أما السؤال الرابع ما هو الدليل عليها؟ وما فلسفتها والحكمة فيها؟ ، الجواب نقول هذان سؤالان مهمان الأول عن الرجعة والثاني عن فلسفتها والحكمة فيها ، ونجيب الآن عن السؤال الأول بتفصيل ، ويأتيك - إن شاء الله - الجواب عن الثاني أثناء استعراضنا للأدلة فنقول :

الاستدلال التفصيلي بآية أولى من القرآن المجيد الدالة على إرجاع

من محض الكفر والشرك.

إن الأدلة على وقوع الرجعة وإمكانيتها كثيرة من الكتاب والسنة والإجماع والعقل فمن أدلة الكتاب الآية التي قدمناها في أول الموضوع وهي قوله تعالى في سورة النمل / ٤٨ ﴿ وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِمَّنْ يُكَذِّبُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴾ أي يدفعون إلى الحشر دفعاً ، حيث دلت هذه الآية الكريمة على أن هذا الحشر خاص ببعض دون بعض ، فتعين أن يكون غير الحشر الأكبر الذي في القيامة ، لأنه عام بالاتفاق بين المسلمين أجمعين ، ولقوله تعالى في صفة الحشر يوم القيامة : ﴿ وَيَوْمَ نُسِيرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴾ [الكهف / ٤٨] .

إذاً أي يوم هذا الذي يحشر فيه بعض دون بعض بحيث يحشر من كل أمة فوجاً؟ أي من كل قوم وقرن جماعة، الجواب نقول: فيه للمفسرين قولان الأول وهو المؤكد بالدليل إنه: يوم الرجعة، والثاني قيل: إن المراد به هو الحشر للعذاب الواقع بعد الحشر الكلي الشامل لجميع الخلق فهو حشر بعد حشر القيامة وهذا القول الثاني

أولاً: لم يرد فيه نص من معصوم يستند إليه المفسرون — فيما علمنا بل هو مجرد رأي، ولا يجوز تفسير القرآن بالرأي وبلا دليل يدل عليه، والروايات الناهية عن التفسير بالرأي مستفيضة من طرق الفريقين^(١).

ثانياً: إنه لو كان المراد به الحشر إلى العذاب للزم ذكر هذه الغاية دفعاً للأيهام، كما في قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ [السجدة/ ٢٠] وفي قوله تعالى: ﴿أَحْشَرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ﴾ [الصافات/ ٢٢ - ٢٣].

ولهذه الآيات من حشر الظالمين إلى العذاب نظائر في آيات أخر، بينما نرى الآية المبحوث عنها مطلقة لم يُشر فيها إلى شيء يلوح إلى هذا الحشر المزعوم لها وتزيدها إطلاقاً الآية التي بعدها وهي قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوا قَالَ أَكَذَّبْتُم بِآيَاتِي وَلَمْ تُحِطُوا بِهَا عِلْمًا أَمْ دَاكُنْتُمْ تَعْمَلُونَ وَوَقَعَ﴾ [النمل/ ٨٥].

فترى هذه الآية لم يقل فيها: حتى إذا جاؤا العذاب أو النار أو الجحيم نعم ذكرت الآية بعد مجيئهم الاستفهام الاستنكاري منهم عن تكذيبهم لآيات الله، وعدم إحاطتهم بها علماً وعمّا كانوا يعملون، وأخيراً وقوع القول عليهم بظلمهم، فهم لا ينطقون ولم تذكر العذاب والنار والجحيم.

(١) راجع تفسير العياشي في مقدمته، والبحار للمجلسي ج ٩٢ ص ١٠٧ - ١١٢ في الروايات الناهية عن التفسير بالرأي.

ثالثاً: مما يؤيد إن هذا الحشر غير حشر القيامة، وغير الحشر إلى جهنم هو أن الآية جاءت مسبوقة بآية تنبئ عن إخراج دابة لهم من الأرض تكلمهم، وإخراج دابة من الأرض من أشراط الساعة الواقع في الحياة الدنيا باتفاق المفسرين، والآية هي قوله تعالى: ﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾ [النمل/ ٨٣] وهي من الآيات الدالة على الرجعة أيضاً^(١) وملحوظة بعدها ثلاث آيات تتضمن عذابهم. وما يتعلق بالعذاب من سوء أعمالهم، ووقوع القول عليهم بظلمهم، وتذكّرهم ببعض آلائه التي جحدوها، بعدها جاءت آيات عديدة تذكر النفخ في الصور، وتصف وقائع يوم القيامة وأهواله العظيمة خصوصاً بالنسبة إلى الظالمين، وإنه يوم الأمن للمحسنين وإن المسيئين تكب وجوههم في النار جزاء بما كانوا يعملون من السيئات. الخ. فلو كانت الآية المبحوث عنها تخص الحشر إلى النار والعذاب لذكرت بعد عرض النفخ في الصور ووصف وقائع القيامة وما بعدها، ولما سبقتها آية بعض اشراط الساعة من خروج دابة من الأرض تكلمهم، فهذا الترتيب والسياق لتلك الآيات السابقة لها، واللاحقة بها هما من أهم القرائن الدالة على أن المراد من هذا الحشر الخاص إلى الدنيا عند الرجعة إليها، وقبل يوم القيامة وهذا هو القول الأول للمفسرين من الشيعة تبعاً للأدلة والتي منها احتجاج أئمة الهدى والحق وكبار شيعتهم بالآية على الرجعة وأن المراد من الحشر فيها هو الحشر إلى الدنيا بعد الموت وقبل يوم القيامة.

من احتج من الأئمة عليهم السلام وشيعتهم بالآية على الرجعة؟

١ - روى صاحب كتاب (منتخب البصائر) بإسناده عن أبي بصير قال:

قال لي أبو جعفر (أي الباقر عليه السلام): يُنكر أهل العراق الرجعة؟

(١) راجع تفسيرها والتعليق عليها كتاب (الشيعة والرجعة) للعلامة الطوسي. ج ٢ ص ١٣١-١٣٣.

قلت : نعم ، قال :

أما يقرأون القرآن ﴿وَيَوْمَ نَخْشِرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا﴾ ونقله عنه المجلسي في (البحار) ج ٥٣ ص ٥٤٠ ، وروى الحديث البحراني في تفسيره (البرهان) ج ٢ ص ٧٨٢ بإسناد ، على ما نقله عنه الطبسي في (الشيعة والرجعة) ج ٢ ص ١٣٤ ، ورواه من طريق آخر ص ٣١٩ ، ورواه الحر العاملي في (الإيقاظ) ص ٢٧٨ عن المنتخب .

٢ - روى القمي في (تفسيره) ج ٢ ص ١٢٠ بسنده عن أبي بصير عن أبي عبد الله (أي الصادق عليه السلام) حديثاً عن تفسير دابة الأرض جاء فيه قوله عليه السلام :

والدليل على أن هذا في الرجعة قوله تعالى : ﴿وَيَوْمَ نَخْشِرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِمَّنْ يُكَذِّبُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ . الخ . قال عليه السلام الآيات أمير المؤمنين والأئمة عليه السلام ، فقال رجل لأبي عبد الله عليه السلام : إن العامة تزعم أن قوله : ﴿وَيَوْمَ نَخْشِرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا﴾ عنى يوم القيامة ، فقال أبو عبد الله عليه السلام : أفيحشر الله من كل أمة فوجاً ويدع الباقيين ؟ لا ولكنه في الرجعة وأما آية القيامة ﴿وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾ .

ونقله عن القمي المولى محسن الفيض في تفسيره (الصافي) ، كما نقله عن القمي المجلسي في (البحار) ج ٥٣ ص ٥٣ ، وكذا الطبسي في كتابه (الشيعة والرجعة) ج ٢ ص ١٣١ وكذا الحر العاملي في (الإيقاظ) ص ٢٥٧ ، والأحسائي في كتابه (الرجعة) في المقدمة ص ١٢ .

٣ - روى القمي في تفسيره ج ٢ ص ١٣١ بسنده عن المفضل عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله تعالى : ﴿وَيَوْمَ نَخْشِرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا﴾ قال : ليس من المؤمنين قتل إلا يرجع حتى يموت ، ولا يرجع إلا من محض الإيمان محضاً ، ومحض الكفر محضاً .

ونقله عنه الفيض في تفسيره، كما نقله عنه المجلسي في (البحار) ج ٥٣ ص ٥٣ والحر العاملي في (الإيقاظ) ص ٢٥٨ وص ٣٤٣، والأحسائي في (الرجعة) ص ١٢.

وروى هذا الحديث صاحب كتاب (منتخب البصائر) باسانيد عديدة عن محمد بن الطيار عن أبي عبد الله عليه السلام . الخ. ونقله عنه المجلسي في (البحار) ج ٥٣ ص ٤٠، كما نقله عنه الحر العاملي في (الإيقاظ) ص ٢٧٨.

٤ - قال القمي في مقدمة تفسيره ص ٢٤، وأما الرد على من أنكر الرجعة فقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَخْشُرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا﴾، قال: وحدثني أبي عن ابن أبي عمير عن حماد عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ما يقول الناس في هذه الآية: ﴿وَيَوْمَ نَخْشُرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا﴾ قلت: يقولون: إنها في القيامة، قال ليس كما يقولون، إن ذلك في الرجعة، أيحشر الله في القيامة من كل أمة فوجاً ويدع الباقيين؟، إنما آية القيامة قوله: ﴿وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾ إلى آخر احتجاجاته.

ونقله عنه المجلسي في (البحار) ج ٥٣ ص ٦٠، ورواه القمي أيضا في تفسيره ج ٢ ص ٣٦ في تفسير (الكهف) والحر العاملي في (الإيقاظ) ص ٢٤٦ والطبسي في (الشيعة والرجعة) ج ٢ ص ٣٠٢، والطباطبائي في تفسيره (الميزان) ج ١٥ ص ٤٤٦ والسيد عبد الله شبر في كتابه (حق اليقين) ج ٢ ص ٤.

٥ - قال شيخنا الطبرسي في تفسيره (مجمع البيان) م ٤ ص ٢٣٤ عند تفسيره للآية الكريمة، وأستدل بهذه الآية على صحة الرجعة من ذهب إلى ذلك من الإمامية بأن قال: إن دخول من في الكلام يوجب التبعض فدل ذلك على أن اليوم المشار إليه في الآية يحشر فيه قوم دون قوم وليس ذلك صفة يوم القيامة الذي يقول فيه سبحانه وتعالى: ﴿وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾ وقد تظاهرت الأخبار عن أئمة الهدى من آل محمد عليهم السلام في أن الله سيعيد عند قيام

المهدي عليه السلام قوماً ممن تقدم موتهم من أوليائه وشيعته ليفوزوا بثواب نصرته ومعونته ويبتهجوا بظهور دولته، ويعيد أيضاً قوماً من أعدائه لينتقم منهم وينالوا بعض ما يستحقونه من العذاب في القتل على أيدي شيعته والذل والخزي بما يشاهدون من علو كلمته، ولا يشك عاقل إن هذا مقدور لله تعالى وغير مستحيل في نفسه، وقد فعل ذلك في الأمم الخالية ونطق القرآن بذلك في عدة مواضع مثل قصة عزيز وغيره على ما فسرناه في موضعه، وصح عن النبي صلى الله عليه وآله قوله، سيكون في أمتي كل ما كان في بني إسرائيل حذو النعل بالنعل، والقذة بالقذة حتى لو أن أحدهم دخل جحر ضب لدخلتموه. الخ.

ونقل كلامه الطبسي في كتابه (الشيعه والرجعة)، ج ٢ ص ١٣٣ ونقله عنه المجلسي في البحار ج ٥٣ ص ١٢٦، والحر العاملي في الإيقاظ ص ٢٥٠.

٦ - جاء في تفسير النعماني وهو محمد بن إبراهيم بن جعفر النعماني الذي روى عن الصادق عن أمير المؤمنين عليه السلام إنه قال: وأما الرد على من أنكر الرجعة فقول الله عز وجل: ﴿وَيَوْمَ نَخْشِرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِمَّنْ يُكَذِّبُ بَيَّاتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ أي إلى الدنيا، وأما معنى حشر الآخرة فقول الله عز وجل: ﴿وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾.

واسترسل الحديث في ذكر بعض الآيات القرآنية الأخرى الدالة على الرجعة، والرادة على من أنكرها حيث قال: وقوله سبحانه: ﴿وَحَرَّمْ عَلَى قَرْبَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ [الأنبياء/ ٩٥] في الرجعة، فأما في القيامة فإنهم يرجعون.

ومثل قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَّا آتَيْنَاكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ، وَلَتَنْصُرُنَّهُ﴾ [آل عمران/ ٨١] وهذا لا يكون إلا في الرجعة.

ومثله ما خاطب الله الأئمة، ووعدهم من النصر والانتقام من أعدائهم

فقال سبحانه وتعالى : ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا ﴾ [النور / ٥٥] وهذا إنما يكون إذا رجعوا إلى الدنيا ومثله قوله تعالى : ﴿ وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ﴾ [القصص / ٥] وقوله سبحانه وتعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَأْدُكَ إِلَى مَعَادٍ ﴾ [القصص / ٨٥] أي في الرجعة إلى الدنيا أو قال : أي رجعة الدنيا .

ومثله قوله : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَخْيَلَهُمْ ﴾ [البقرة / ٢٤٣] ثم ماتوا، وقوله عز وجل ، ﴿ وَأَخَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لِمِيقَاتِنَا ﴾ [الأعراف / ١٥٥] فردهم الله تعالى بعد الموت إلى الدنيا وشربوا ونكحوا، ومثله خبر العزيز . الخ (راجع البحار للمجلسي ج ٥٣ ص ١١٨ - ١١٩)، ونقل المجلسي تفسير النعماني الذي هو عبارة عن رسالة مفردة مدونة كثيرة الفوائد من فاتحتها إلى خاتمتها في ج ٩٣ باب ما ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام في أصناف آيات القرآن، وأنواعها وتفسير بعض آياتها من ص ١ - ص ٩٧ فراجع، ونقله الحر العاملي في (الإيقاظ) ص ٣٧٧ نقلاً عن رسالة (المحكم والمتشابه) للسيد المرتضى ونقله السيد عبد الله شبر في (حق اليقين) ج ٢ ص ٢٦ من تفسير النعماني .

٧ - روى الشيخ المفيد في كتابه (الفصول المختارة) ج ١ ص ١١ - ٦٤ عن الحارث بن عبد الله الربيعي أنه قال : كنت جالساً في مجلس المنصور وهو بالجسر الأكبر ، وسوار القاضي عنده والسيد الحميري ينشده :

إن الإله الذي لا شيء يشبهه	أتاكم المُلْكُ للدنيا وللدين
أتاكم الله مُلكاً لا زوال له	حتى يقاد إليكم صاحب الصين
وصاحب الهند مأخوذ برمته	وصاحب الترك محبوس على هون

حتى آتى على القصيدة، والمنصور مسرور، فقال سوار: إن هذا والله يا أمير المؤمنين يعطيك بلسانه ما ليس في قلبه، والله إن القوم الذين يدين بحبهم لغيركم، إنه والله لينطوي على عداوتكم، فقال السيد: والله إنه لكاذب، وإنني في مدحتك لصادق، وإنه حملة الحسد إذ رآك على هذه الحال، وإن انقطاعي إليكم ومودتي لكم أهل البيت لمُعرق فينا من أبوي وإن هذا وقومه لأعداؤكم في الجاهلية والإسلام، وقد أنزل الله عز وجل على نبيه في أهل بيت هذا: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنَ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [الحجرات/ ٤] (راجع تفسير الخازن ج ٤ ص ١٧٤) فقال المنصور: صدقت، فقال سوار يا أمير المؤمنين إنه يقول بالرجعة، فقال السيد: أما قوله إنني أقول بالرجعة، فإني أقول بذلك على ما قال الله تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَخْشِرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِمَّنْ يُكَذِّبُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾.

وقد قال في موضع آخر، ﴿وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾ فعلمنا إن هاهنا حشرين أحدهما عام والآخر خاص وقال سبحانه: ﴿رَبَّنَا أَمَتَنَا اثْنَيْنِ وَأَحْيَيْنَا اثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِنْ سَبِيلٍ﴾ [غافر/ ١٢] وقال تعالى: ﴿فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ﴾ [البقرة/ ٢٦] وقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ﴾ [البقرة/ ٢٤٤].

فهذا كتاب الله وقد قال رسول الله ﷺ: يحشر المتكبرون في صورة الذر يوم القيامة^(١). وقال ﷺ: لم يجر في بني إسرائيل شيء إلا يكون في أمتي مثله حتى الخسف والمسح والقذف^(٢)، وقال حذيفة: والله ما أبعد أن

(١) أخرجه الترمذي والنسائي والمنذري في الترغيب والترهيب ج ٣ ص ٢٢٥، وابن الديبع في تيسير الوصول ج ٤ ص ١٥٣.

(٢) راجع الحديث في مسند ابن ماجه ج ٢ ص ٥٠٣.

يمسخ الله عز وجل كثيراً من هذه الأمة قردة وخنزير^(١).

فالرجعة التي نذهب إليها هي ما نطق به القرآن .

وجاءت به السنة ، وإنني لأعتقد أن الله تعالى يردّ هذا — يعني سواراً — إلى الدنيا كلباً أو قرداً أو خنزيراً أو ذرة فإنه والله متجبر متكبر كافر . قال : فضحك المنصور وأنشد السيد يقول :

جائتُ سواراً أبا شملةٍ	عند الإمام الحاكم العادل
فقال قولاً خطأ كله	عند الوري الحافي والناعل
ما ذب عما قلت من وصمة	في أهله بل لجّ في الباطل
وبان للمنصور صدقي كما	قد بان كذب الأنوك الجاهل
بيغض ذا العرش ومن يصطفي	من رسله بالنير الفاضل
ويشناً الحبر الجواد الذي	فُضِّلَ بالفضل على الفاضل
ويعتدي بالحكم في معشر	أدّوا حقوق الرسل للراسل
فبين الله تزاويقه	فصار مثل الهائم الهائل

قال : فقال المنصور : كفّ عنه ، فقال السيد : يا أمير المؤمنين البادي أظلم يكف عني حتى اكف عنه ، فقال المنصور لسوار : تكلم بكلام فيه نصفه ، كفّ عنه حتى لا يهجو^(٢).

هذا بعض ما ورد من احتجاج أئمة الهدى والحق كعلي أمير المؤمنين ،

(١) راجع سنن ابن ماجه ج ٢ ص ٤٨٩ ، والترغيب والترهيب ج ٣ ص ١٠٧ ، على ما نقله صاحب الغدير ج ٢ ص ٢٣٤ .

(٢) راجع القصة ، وترجمة الشاعر الحميري ، وشعره وما دار بينه وبين سوار القاضي (الغدير) ج ٢ ص ١٩٣ - ٢٦١ ، و(البحار) ج ٥٣ ص ١٣٠ - ١٣٢ ، و(الكنى والألقاب) للمحقق الشيخ عباس القمي ج ٢ ص ٣١٠ ، و(الشيعة والرجعة) للطبسي ج ٢ ص ١٣٥ ، و(الإيقاظ) للحر العاملي ص ٤٦ ، والسيد عبد الله شبر في كتابه (حق اليقين) ج ٢ ص ٤٣ .

وحفديه الباقرين الصادقين عليهما السلام من طرق عديدة، ومصادر كثيرة يؤيد بعضها بعضاً، وكذا احتجاج كبار شيعتهم من علماء محققين ومؤلفين مثبّتين وأدباء متضلّعين ورواة ثقة صادقين احتجوا جميعاً على حقيقة الرجعة بالآية المبحوث عنها بالخصوص وآيات أخر تدل على الرجعة بالعموم.

فالاستدلال بالآية الشريفة على صحة العقيدة بالرجعة كأنه أمر مغروس في الأذهان ومرتكز في الوجدان عند أهل العلم والتحقيق والدراية والرواية ومن هنا نرى إن أول ما يحتجون به غالباً من الآيات القرآنية الدالة على الرجعة هي الآية المبحوث عنها لظهورها في الموضوع ظهوراً، بيّناً، قد يكون أكثر من غيرها. وقد رأينا بالخصوص — ما دار بين السيد الحميري وسوار القاضي من الاحتجاج عليه بين يدي المنصور الدوانيقي، وكيف أفحمه، وأعلمه بأحسن بيان وأتقن برهان على الرجعة، حتى أنه لم يجد جواباً مفنداً لأدلتها ﴿فَأَتَتْ بِهَا مِنْ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة/ ٢٥٨].

كما رأينا إن ثاني آية احتج بها السيد الحميري علي سوار من الآيات الدالة على الرجعة وأحقيتها بعد الآية المبحوث عنها هي قوله تعالى: ﴿قَالُوا رَبَّنَا آمَنَّا أَشْنَيْنِ وَأَحْيَيْنَا أَثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِنْ سَبِيلٍ﴾ [غافر/ ١١].

وإليك الآن بحوثها بصورة مفصلة لتكون الدليل الثاني التفصيلي من القرآن الكريم على الرجعة وأحقية وقوعها وحتميتها فإلى لقاء في تلك البحوث.

الاستدلال التفصيلي بآية ثانية من القرآن المجيد الدالة على إرجاع

من مَحْضِ الْكُفْرِ وَالشُّرْكِ.

أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم.

﴿قَالُوا رَبَّنَا آمَنَّا أَشْنَيْنِ وَأَحْيَيْنَا أَثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِنْ

سَبِيلٍ﴾ [غافر/ ١١].

هذه الآية الكريمة من سورة غافر حكى الله فيها قول بعض أهل النار، من المجرمين الكافرين — وهم في النار — وهو القول الذي يتوسلون به إلى الله للتخلص من العذاب، وإنهم قد اعترفوا بذنوبهم، كما اعترفوا بقدرة الله على الإحياء والإماتة والإرجاع إلى الدنيا بعد ما كانوا غير متيقنين لا بالعذاب، ولا بقدرة الله لذا: ﴿قَالُوا رَبَّنَا آمَنَّا أَثْنَيْنِ وَأُحْيَيْنَا أَثْنَيْنِ فَأَعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ﴾.

والظاهر إن المراد من قولهم: (أمتنا اثنتين).

إنهم يعنون بذلك الإماتة الأولى بعد حياتهم في الدنيا والإماتة الثانية بعد إحيائهم في الرجعة، فيكون المراد من قولهم: (وأحييتنا اثنتين) هو إحيائهم أولاً في الدنيا بعد العدم، وإحيائهم ثانياً في الدنيا بالرجعة إليها، وإنهم قد اعترفوا بذنوبهم في الحياتين الدنويتين الأولى والثانية، ويقولون متسائلين: (فهل إلى خروج من سبيل) أي فهل تخرجنا إلى الدنيا مرة ثالثة لعلنا نعمل فيها صالحاً؟

وقريب من هذا التساؤل والطلب ما ذكره الله في سورة الأنعام بقوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وَقَفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَلَيْتُنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبُ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ٢٧﴾ بَلْ بَدَأْتُم مَّا كَانُوا يَخْشَوْنَ مِنْ قَبْلُ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿[الأنعام/ ٢٧ - ٢٨].

فهذه الآية: ﴿قَالُوا رَبَّنَا آمَنَّا أَثْنَيْنِ وَأُحْيَيْنَا أَثْنَيْنِ﴾ ظاهرة كمال الظهور في أحقية الرجعة ووقوعها بالفعل، وظواهر القرآن حجة كما هو معلوم ويؤيد هذا الظهور ما ورد في تفسيرها عن أئمة الهدى والحق ومن أحتج بها على الرجعة من اتباعهم في أحاديث عديدة.

١ — فقد روى الحسن بن سليمان في كتابه (منتخب البصائر) بإسناده من

كتاب (المشيخة) للثقة الأمين الحسن بن محبوب عن محمد بن سلام عن أبي جعفر الباقر عليه السلام أنه قال: في قوله: ﴿قَالُوا رَبَّنَا أَمَتَنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ﴾ هو خاص لأقوام في الرجعة بعد الموت راجع (البحار) ج ٥٣ ص ١١٦ و(الإيقاظ) ص ٢٩٨ و(الشيعة والرجعة) ج ٢ ص ١٥٦، و(تفسير البرهان) ج ٢ ص ٩٥٠.

٢ - روى القمي في (تفسيره) ج ٢ ص ٢٥٦ في قوله تعالى: ﴿قَالُوا رَبَّنَا أَمَتَنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ﴾ قال: قال الصادق عليه السلام: ذلك في الرجعة. أي الإحياء الثاني والإماتة الثانية تكون في الرجعة، ونقل الحديث عن القمي المولى محسن الفيض في (تفسيره)، والمجلسي في (البحار) ج ٥٣ ص ٥٦. والحر العاملي في (الإيقاظ) ص ٢٥٨ والطبسي في (الشيعة والرجعة) ج ٢ ص ١٥٦ والسيد عبد الله شبر في (حق اليقين) ج ٢ ص ٩.

٣ - قال المجلسي في (البحار) ج ٥٣ ص ١٤٤، وجدت بخط بعض العلماء نقلاً من خط الشهيد قدس الله روحه قال: روى الصفواني في كتابه بإسناده قال سئل الرضا عليه السلام عن تفسير (أمتنا اثنتين) الآية، قال: والله ما هذه الآية إلا في الكرة ونقله عن (البحار) الطبسي في (الشيعة والرجعة) ج ٢ ص ١٥٦.

واستناداً إلى هذه النصوص الواردة عن أئمة الهدى وغيرها، نرى كثيراً من العلماء من مؤلفين وأدباء وغيرهم احتجوا بالآية على الرجعة كما يتضح هذا لكل مُطلع على الموضوع.

قال الحر العاملي في كتابه (الإيقاظ) ص ٨٤ عند استعراضه للآيات الدالة على الرجعة وإمكانية وقوعها، وقد ذكر أربعاً وستين آية قال: الثالثة والعشرون: قوله تعالى: ﴿قَالُوا رَبَّنَا أَمَتَنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ﴾ وردت الأحاديث بأن المراد بإحدى الحياتين والإماتتين الرجعة، ثم قال: ومعلوم إن ذلك لا

يُمتنع إرادته من الآلة، وإنها ليست بطريق الحصر ولا يدل على نفي الزيادة.. الخ.

نقاش في المراد من الإمامتين والإحيائين

أما تفسير الآلة عند أهل السنة فقد تكلفوا شططاً لتصحيح التثنية في الإمامتين والإحيائين ولم يتوصلوا بالأخير - إلى تفسير لها مقبول ومعقول - ولهم فيما علمنا قولان في ذلك شهيران، وكلاهما باطلان وإليك البيان الأول، قالوا إن الإحياء الأول في الدنيا أيام حياة الإنسان الطبيعية فيها، ثم ينزل به الموت، والإحياء الثاني في القبر للمساءلة ثم يموت والذي يبطل هذا القول:

أولاً: إن الحياة في القبر للمساءلة وليست للتكليف حتى يندم الإنسان على ما اقترف من الذنوب، وما فاته فيها من عمل الصالحات والحال ظاهر الآلة الكريمة أنهم يندمون على ما اقترفوا من الذنوب، وما فاتهم من العمل الصالح في الحياتين فليست إذلاً إلا الحياتين في الدنيا وهي دار التكليف، أما القبر وعالم البرزخ وفي القيامة فلا تكليف ولا عمل لا صالح ولا طالح: (اليوم عمل ولا حساب وغداً حساب ولا عمل).

ثانياً: إنهم لو أرادوا بالحياة الثانية في القبر بعد المساءلة لكانت الحياة على ذلك ثلاث مرات لا مرتين الأولى في الدنيا والثانية في القبر للمساءلة والثالثة في الحشر يوم القيامة، وإذاً لقالوا: وأحييتنا ثلاثاً، والحال النص القرآني لقولهم: (وأحييتنا اثنتين).

وهذا الرد - والله الحمد - ذكره كبير مفسريهم الفخر الرازي في تفسيره (مفاتيح الغيب) ج ٧ ص ٢٠٣ - ٢٠٤.

وأبطل هناك أن يكون المراد من الإحياء الثاني الإحياء في القبر حيث قال بما نصه: إن هذه الآلة تدل على المنع من حصول الحياة في القبر وبيانها:

إنه لو كان الأمر كذلك لكان قد حصلت الحياة ثلاث مرات أولها في الدنيا وثانيها في القبر وثالثها في القيامة، والمذكور في الآية ليس إلا الإحيائيين فقط . . الخ .

وقال أيضاً في ص ٢٠٤ بما نصه : لو لم تثبت الحياة في القبر لزم أن لا يحصل الموت إلا مرة واحدة فكان إثبات الموت مرتين كذباً وهو على خلاف لفظ القرآن أما لو أثبتنا الحياة في القبر لَلَزِمْنَا إثبات الحياة ثلاث مرات والمذكور في القرآن مرتين أما المرة الثالثة فليس في اللفظ ما يدل على ثبوتها أو عدمها . . الخ .

كما ذكر هذا الرد على هذا الرأي الزمخشري في تفسيره (الكشاف) ج ٤ ص ١٥٥ حيث قال بما نصه :

ومن جعل الإمامتين التي بعد حياة الدنيا والتي بعد حياة القبر لزمه إثبات ثلاث إحياءات، وهو خلاف ما في القرآن، إلا أن يتمحل فيجعل إحداها غير معتد بها . . الخ .

وهكذا أبطل هذا القول والرأي بعضهم، وأعرض عنه ولم يذكره البعض الآخر، وتبناه آخرون مع ما فيه من مؤاخذات، فهذا حال القول الأول .

والقول الثاني لهم - في حصول الإمامتين والإحيائيين - أنهم حملوا الإمامة الأولى على خلقهم ميتين ككونهم نطفة وعلقة ميتة ثم أحياهم في الدنيا، ثم أماتهم، ثم أحياهم في الدنيا، ثم أماتهم، ثم أحياهم يوم القيامة، وقد اختار هذا القول الغالب منهم وربما استدلوا عليه بقوله تعالى في سورة البقرة / ٢٩ : ﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ .

والحال في الحقيقة أن هذا القول باطل أيضاً بالرغم من اختيار بعضهم

له ، لأنه لا يقال لمن خلقه الله نطفة ميتة : أماته ، وإنما يقال أماته فيمن كان حياً فأماته ، ثم أحياه ثم أماته ، ولا يكون ذلك إلا إذا قالوا في الرجعة .

ومن هنا نرى بعضهم يذكر هذا القول ثم يعرض عنه ، وبعضهم يبطله فممن أبطله الفخر الرازي في (تفسيره) ج ٧ ص ٢٠٣ ، وصرح هناك إنه ممنوع ومحال حيث قال راداً على هذا الإدعاء بما نصه : لِمَ لا يجوز أن تكون الموتة الأولى هي الموتة التي كانت حاصلة حال - ما كان نطفة وعلقة؟ ثم أجاب قائلاً : فنقول :

هذا لا يجوز ، وبيانه أن المذكور في الآية إن الله أماتهم ، ولفظ الإمامة مشروط بسبق حصول الحياة إذ لو كان الموت حاصلًا قبل هذه الحالة امتنع كون هذه إمامته ، وإلا لزم تحصيل الحاصل وهو محال ، وهذا بخلاف قوله : ﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا ﴾ لأن المذكور في هذه الآية إنهم كانوا أمواتاً وليس فيها أن الله أماتهم ، بخلاف الآية التي نحن في تفسيرها ، لأنها تدل على أن الله تعالى أماتهم مرتين ، وقد بينا أن لفظ الإمامة لا يصدق إلا عند سبق الحياة فظهر الفرق . . الخ .

نعم هكذا أبطل الفخر الرازي القولين لمفسريهم ، ولم يهتدِ إلى طريق الحق بل بقي يتخبط خبط عشواء في ليلة ظلماء إلى أن اعترف بالرجعة من حيث لا يشعر ، ونطق بالحق من حيث لا يقصد ، حيث قال بالآخر في ج ٧ ص ٢٠٤ بما نصه :

(المسألة الثانية) اعلم إننا لما أثبتنا حياة القبر (يعني بالأخبار لا بهذه الآية) فيكون الحاصل في حق بعضهم أربعة أنواع من الحياة ، وثلاثة أنواع من الموت ، والدليل عليه قوله تعالى في سورة البقرة / ٢٤٣ ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَخْيَلَهُمْ ﴾ - فهؤلاء - لهم . . أربع مراتب في الحياة حياتان في الدنيا ،

وحياة في القبر، وحياة رابعة في القيامة^(١).

وهذه الآية الكريمة التي استشهد بها الفخر الرازي على حصول الحياة لإناس أربع مرات هي من الآيات الكثيرة التي تصرح كل صراحة بوقوع الرجعة إلى الدنيا في الأمم الماضية، فالرجعة إذاً ممكنة وحاصلة وواقعة بالفعل بنص القرآن المجيد وإليك التفصيل في الفصل التالي وبالله المستعان.

(١) العجب من الأستاذ العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي في تفسيره (الميزان) ج ١٧ ص ٣٣٠ حيث ينقل اختلاف المفسرين في تفسير الإمامتين والإحيائيين فذكر لهم ستة أقوال، وناقش خمسة منها وردّها، واختار القول الأول وهو أن المراد من الإمامتين والإحيائيين الإمامة من الحياة الدنيا، والإحياء للبرزخ في القبر، ثم الإمامة عند البرزخ والإحياء للحساب يوم القيامة، ولم يذكر أصلاً موضوع الرجعة في تفسيره للآية، والحال أن القول فيها هو أشهر من الأقوال الستة التي ذكرها بل هو أصح الأقوال وأمتنها، ومؤيد بنصوص أهل البيت (ع) مع العلم أنه ممن يقول بالرجعة ويعتقدها، ولكننا نعذره بأن الإنسان معرض للغفلة وأن الجواد قد يكبو، والله اعلم بمراده.

الفصل الثاني

وقوع الرجعة في الأمم الماضية

أولاً- قصة الألوف الذين أماتهم الله ثم أحياهم

قال عز من قائل : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴾ [البقرة/ ٢٤٣].

الآية الشريفة في أسلوبها الرائع وبلاغتها الخلاصة تبين لنا آية من الآيات الإلهية التي وقعت في الأمم السالفة للعبرة والعظة وهي إماتة ألوف من الناس بعد خروجهم من ديارهم حذر الموت دفعةً واحدة ثم إحيائهم بعد موتهم كذلك وإرجاعهم إلى الدنيا كما كانوا أولاً.

وترشدنا إلى عظيم قدرة الله تعالى وإيجاب الرجوع إليه في مواضع الخطر. وأن الموت والحياة بيده جلّ شأنه وإن الحذر لا يقي القدر إذا حضر كما تبين أن جميع التدبيرات الأرضية مقهورة تحت إرادة السماء وهي التي تحفظ الإنسان من جميع الشرور والأخطار ولذلك يجب علينا شكره على ما تفضل به تعالى ولكن أكثر الناس لا يشكرون.

وإليك الآن أقوال المفسرين من الفريقين حول الآية الكريمة :

قال الفخر الرازي عند تفسيره لهذه الآية في تفسيره (مفاتيح الغيب) ج ٢

ص ٢٨٧ :

إعلم أن عاداته تعالى في القرآن أن يذكر - بعد بيان الأحكام - القصص ليفيد الاعتبار للسامع، ويحمله ذلك الاعتبار على ترك التمرد والعناد ومزيد الخضوع والانقياد، (إلى أن قال عند استعراضه لما ورد حول القصة):

قال السدي: كانت قرية وقع فيها الطاعون وهرب عامة أهلها، والذين بقوا مات أكثرهم، وبقي قوم في المرض والبلاء ثم بعد ارتفاع المرض والطاعون رجع الذين هربوا سالمين فقال مَنْ بقي من المرضى: هؤلاء احرص منا لو صنعنا ما صنعوا لنجونا من الأمراض والآفات، ولئن وقع الطاعون ثانياً خرجنا، فوقع وهربوا وهم بضع وثلاثون ألفاً، فلما خرجوا من ذلك الوادي ناداهم ملك من أسفل الوادي، وآخر من أعلاه أن موتوا فهلكوا، وبليت أجسامهم فمرّ بهم نبي يقال له حزقيل فلما رآهم وقف عليهم وتفكر فيهم، فأوحى الله تعالى إليه أتريد أن أريك كيف أحييهم، فقال: نعم فقل له نادِ أيتها العظام إن الله يأمرك أن تتجمعي فجعلت العظام يطير بعضها إلى بعض حتى تمت العظام، ثم أوحى الله إليه نادِ أيتها العظام إن الله يأمرك أن تكتسي لحماً ودماً، ثم نادِ إن الله يأمرك أن تقوم، فقامت فلما صاروا أحياء قاموا وكانوا يقولون: سبحانك ربنا وبحمدك لا إله إلا أنت ثم رجعوا إلى قريتهم بعد حياتهم وكانت إمارات إنهم ماتوا ظاهرة في وجوههم، ثم بقوا إلى أن ماتوا بعد ذلك بحسب آجالهم.

من ذكر القصة واحتج بها:

هذه القصة ذكرها المفسرون في تفاسيرهم كالسيوطي في تفسيره (الدر المنثور) ج ١ ص ٣١٠، وقد نقلها عن كل من ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن طريق أسباط السدي عن أبي مالك، كما ذكرها ابن كثير الدمشقي في (تفسيره) ج ١ ص ٢٩٨، عن غير واحد من السلف وذكر الفخر الرازي رواية في سبب إصابتهم بالطاعون والموت حيث قال في الرواية الثالثة إن حزقيل

النبي ﷺ ندب قومه إلى الجهاد فكرهوا وجبنوا فأرسل الله عليهم الموت، فلما كثر فيهم خرجوا من ديارهم فراراً من الموت، فلما رأى حزقيل ذلك قال: اللهم إله يعقوب وإله موسى ترى معصية عبادك، فأرهم آية في أنفسهم تدلهم على نفاذ قدرتك وأنهم لا يخرجون عن قبضتك فأرسل الله عليهم الموت - جميعاً - ثم إنه ﷺ ضاق صدره بسبب موتهم، فدعا مرة أخرى فأحياهم الله تعالى.

واستمر الرازي في تفسيره الآية والتعليق عليها إلى أن قال في التعليق على قوله تعالى: (ثُمَّ أَحْيَاهُمْ): ففيه مسائل:

المسألة الأولى: الآية دالة على إنه تعالى أحياهم بعد أن ماتوا فوجب القطع به وذلك لأنه في نفسه جائز والصادق أخبر عن وقوعه، فوجب القطع بوقوعه، أما الإمكان فلأن تركيب الأجزاء على الشكل المخصوص ممكن، وإلا لما وُجد أولاً، واحتمال تلك الأجزاء الحياة ممكن، وإلا لما وجد أولاً ومتى ثبت هذا فقد ثبت الإمكان وأما أن الصادق قد أخبر عنه ففي هذه الآية، ومتى أخبر الصادق عن وقوع ما ثبت في العقل إمكان وقوعه وجب القطع به.

أقول: هذا التحقيق أو الاستدلال الذي ذكره الرازي في وجوب القطع بحصول الرجعة في الأمم الماضية لإمكانيته وعدم منافاته للعقل، ولأخبار الصادق به، لماذا لا يجري بحصول الرجعة لهذه الأمة؟ والموضوع الأول هو مثل الموضوع الثاني، والأدلة متوفرة على إمكانيته ومعقوليته، ولإخبار الصادق بوقوعه في المستقبل ولما دلّ، بالتواتر القطعي المتفق عليه أنه كل ما جرى في الأمم الماضية يجري في هذه الأمة أيضاً وقد أمرنا الله تعالى أن نكون مع الصادقين فيما دعوا إليه قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ [التوبة/ ١١٩].

فإن قيل: إن الرجعة ممكنة ولا تنافي العقل ولكنها خارقة للعادة،

وخوارق العادات إنما تكون معجزة لرسول أو نبي لتكون دليلاً على رسالته أو نبوته ورسول هذه الأمة محمد ﷺ قبض وهو غير موجود الآن فإذا لا تكون معجزة ولا رجعة؟

الجواب :

أولاً : إن خوارق العادات لله عز وجل لا تنحصر بوجود النبي ﷺ فقط بل يجريها الله في أي وقت شاء ، وعلى يد من شاء من نبي أو إمام أو ولي لكرامته على الله ، ولتأييده لما دعا إليه من الحق وقد أجرى الله من المعجزات الظاهرات على أيدي كثير من الأولياء ، وأجراها لأئمتنا الهداة كما هو معلوم عند أكثر الأمة ، ومذكور في كتب التفسير والتاريخ والفضائل والمناقب لذلك قال الرازي في (تفسيره) ج ٢ ص ٢٨٨ عند استعراضه المسائل حول قوله تعالى : (ثُمَّ أَحْيَاهُمْ).

المسألة الثانية : قالت المعتزلة . . إحياء الميت فعل خارق للعادة ، ومثل هذا لا يجوز من الله إظهاره إلا عندما يكون معجزة لنبي ، إذ لو جاز ظهوره لأجل أن يكون معجزة لنبي لبطلت دلالة على النبوة ، وأما عند أصحابنا فإنه يجوز إظهار خوارق العادات لكرامة الولي ، ولسائر الأغراض فكان هذا الحصر باطلاً . . الخ .

ثانياً : إن نبوة محمد ﷺ خالدة إلى يوم القيامة ، وجميع الناس في كل دور وجيل — مطالبون بتصديقها وتصديق ما جاء به ﷺ وعلى هذا كل معجزة يجريها الله على يد ولي من أوليائه المؤمنين لاقتضاء مصلحة ما ، أو على يد خلفائه الأئمة المعصومين لإثبات إمامتهم تكون تلك المعجزة مؤيدة لنبوة النبي ﷺ ولما جاء به من شريعته الغراء وبالتالي تكون تلك المعجزة دالة على أحقيته ﷺ وصدقه ، وأحقية ما جاء به وإلتزام الحجة على كل منكر لنبوته أو مرتد عن دينه ومنحرف عنه فالرجعة التي يعتقدونها أهل البيت  وشيعتهم

من العلماء المجتهدين وغيرهم ، وأجمعوا عليها هي من جملة آيات النبي ﷺ ومعجزاته كما هي - في نفس الوقت - معجزة لإمام الزمان ﷺ ومعلوم إن منزلة خاتم النبيين هي أعلى وأرفع من منزلة موسى وعيسى وحزقيل وعزير وغيرهم من الأنبياء الذين أجرى الله الرجعة لهم أو على أيديهم بغير خلاف عند العلماء .

ومن هنا نرى أن بعض الأئمة ﷺ فيما ورد عنهم ، وكثيراً من علمائنا يحتجون بالآيات التي تعرضت لذكر من أرجع إلى الدنيا بعد الموت على أحقية الرجعة في هذه الأمة ، وعلى إمكانيتها .

راجع ما مر في الموضوع الأول الاستدلال التفصيلي بآية أولى من القرآن المجيد تحت عنوان (من احتج من الأئمة ﷺ وشيعتهم بالآية على الرجعة) رقم/ ٥ من احتجاج الطبرسي برقم/ ٦ ما رواه النعماني في تفسيره الذي رواه بسنده عن الصادق عن علي أمير المؤمنين ﷺ فيما أحتج به و/ ٧ فيما احتج به السيد الحميري على سوار القاضي حيث ذكروا في ضمن احتجاجهم على الرجعة بعض الآيات التي ذكرت الرجعة الواقعة في الأمم الماضية ، وممن احتج بتلك الآيات من الأئمة الأطهار الإمام الرضا ﷺ على المأمون ، وأقر هذا الأخير باحتجاجه ، وسيأتيك حديثه ﷺ بنصه .

واحتج بها شيخنا الصدوق حيث قال رَحِمَهُ اللهُ في (رسالة العقائد) اعتقادنا في الرجعة إنها حق وقد قال الله عز وجل : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَخَذَهُمْ ﴾ .

كان هؤلاء سبعين ألف بيت ، وكان يقع فيهم الطاعون كل سنة ، فيخرج الأغنياء لقوتهم ويبقى الفقراء لضعفهم فيقل الطاعون في الذين يخرجون ، ويكثر في الذين يقيمون ، فيقول الذين يقيمون : لو خرجنا لما أصابنا الطاعون ويقول الذين خرجوا : لو أقمنا لأصابنا كما أصابهم .

فأجمعوا على أن يخرجوا جميعاً من ديارهم إذا كان وقت الطاعون فخرجوا، جميعهم فنزلوا على شط بحر فلما وضعوا رِحَالَهُمْ ناداهم الله : موتوا فماتوا جميعاً فكنستهم المارة عن الطريق ، فبقوا ما شاء الله تعالى .

ثم مر بهم نبي من أنبياء بني إسرائيل يقال له إرميا ، فقال : لو شئت يا رب لأحييتهم فيعمروا بلادك ويلدوا عبادك ويعبدوك مع من يعبدك فأوحى الله تعالى إليه أفتحب أن أحييهم لك؟ قال نعم ، فأحياهم الله له ، وبعثهم معه : فهؤلاء ماتوا ورجعوا إلى الدنيا ثم ماتوا بآجالهم . إلى آخر ما سيأتي من احتجاجه في مقام آخر . راجع كلامه في (البحار) ج ٥٣ ص ١٢٨ ، و(الشيعة والرجعة) ج ٢ ص ٢٤٨ ، و(الإيقاظ) ص ٤٠ وص ١٤٤ ، و(حق اليقين) ج ٢ ص ٤١ للسيد عبد الله شبر وما ذكره الصدوق من قصة هؤلاء السبعين ألفاً الذين أماتهم الله ثم أحياهم رواه الكليني في (روضة الكافي) ص ١٧٠ بسنده عن الإمامين الباقر والصادق عليه السلام إلا أن فيه إنَّ النبي الذي مر عليهم هو حزقيل ونقل الحديث عن الكليني كل من المجلسي في (البحار) ج ١٣ ص ٣٨٥ ، والفيض في تفسيره (الصابي) ، والطبسي في (الشيعة والرجعة) ج ٢ ص ٦٨ ، والسيد هاشم المحلاتي في حاشية تفسير العياشي ، ص ١٣٠ ، والحر العاملي في (الإيقاظ) ص ١٢٤ ، والبهادلي في (فلسفة الشهادة) ص ١٠٩ نقلاً عن كتاب (النور المبين) عن الإمامين الباقر والصادق عليه السلام ، كما ذكر الحديث كثير من المفسرين من أهل السنة - منهم السيوطي في تفسيره (الدر المنثور) ج ١ ص ٣١١ نقلاً عن ابن جرير وابن أبي حاتم عن هلال بن يساف ، ومنهم الثعلبي في (قصص الأنبياء) ص ١٤٠ - ١٤١ ، وروى العياشي في تفسيره ج ١ ص ١٣٠ عن حمran بن أعين عن أبي جعفر الباقر عليه السلام قال : قلت له : حدثني عن قول الله : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ ﴾ قلت : أحياهم حتى نظر الناس إليهم ثم أماتهم من يومهم ، أو

ردّهم إلى الدنيا حتى سكنوا الدور وأكلوا الطعام ونكحوا النساء قال: بل ردوهم حتى سكنوا الدور وأكلوا الطعام ونكحوا النساء ولبثوا بذلك ما شاء الله ثم ماتوا بآجالهم .

ونقله عن العياشي المجلسي في (البحار) ج ١٣ ص ٣٨٢ ، والفيض في (الصابي) نقلاً عن (مجمع البيان) للطبرسي راجع المجمع ج ١ ص ٣٤٧ ، ونقله عن المجمع الطبرسي في (الشعبة والرجعة) ج ٢ ص ٦٥ ، وعن العياشي ص ٦٩ ، ونقله عن المجمع العاملي في (الإيقاظ) ص ١٣٢ ، ورواه البحراني في تفسيره (البرهان) ج ١ ص ٢٣٣ ، وروى هذا الحديث الحسن بن سليمان في (منتخب البصائر) ص ٢٣ - ٢٤ بسنده عن حمran بن أعين عن أبي جعفر عليه السلام قال: قلت له: كان في بني إسرائيل شيء لا يكون ههنا (أي في هذه الأمة) مثله فقال: لا فقلت فحدثني عن قول الله عز وجل ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ ﴾ إلى آخر الحديث السابق ، فنقله عن (المنتخب) المجلسي في (البحار) ج ١٣ ص ٣٨١ والحرّ العاملي في (الإيقاظ) ص ١٥٢ - ١٥٣ .

وروى الشيخ الطبرسي في كتابه (الاحتجاج) ج ٢ ص ٨٨ في احتجاج الإمام الصادق عليه السلام على بعض أعداء الدين من الزنادقة حيث سأله هذا الزنديق عن مسائل كثيرة في حديث طويل منها قال: فلو أن الله رد إلينا في كل مائة عام واحداً لنسأله عن مضي منّا إلى ما صاروا؟ وكيف حالهم وماذا لقوا بعد الموت؟ وأي شيء صنع بهم؟ ليعلم الناس علم اليقين ويضمحل الشك، ويذهب الغل عن القلوب؟ قال عليه السلام في جوابه إن هذه مقالة من أنكر الرسل وكذبهم، ولم يصدق بما جاءوا به من عند الله، إذ أخبروا وقالوا: إن الله أخبرني في كتابه عز وجل على لسان أنبيائه حال من مات منّا، أفيكون أحد أصدق من الله قولاً ومن رسله ثم قال عليه السلام: وقد رجع إلى الدنيا ممن مات خلق كثير إلى

أن قال ﷺ وأحى الله قوماً خرجوا عن أوطانهم هاربين من الطاعون، ولا يحصى عددهم، وأماتهم الله دهرأ طويلاً حتى بليت عظامهم، وتقطعت أوصالهم، وصاروا تراباً فبعث الله في وقت أحب أن يرى خلقه قدرته نبياً يقال له: (حزقيل) فدعاهم فاجتمعت أبدانهم، ورجعت فيها أرواحهم، وقاموا كهيئة يوم ماتوا لا يفقدون من أعدادهم رجلاً، فعاشوا بعد ذلك دهرأ طويلاً (إلى آخر الحديث) ونقل المجلسي في (البحار) ج ١ الحديث بطوله من ص ١٦٤ - ١٨٨، كما نقل محل شاهدنا منه في ج ١٣ ص ٣٨٧، ونقله عن الطبرسي الحر العاملي في (الإيقاظ) ص ١٤٦ - ١٤٧.

وروى الصدوق في كتابيه (عيون أخبار الرضا ج ١ ص ١٦٠، والتوحيد ص ١٠٦) والطبرسي في (الاحتجاج) ج ٢ ص ٢٠٥ حديثاً للإمام الرضا ﷺ في احتجاجه مع أهل الأديان عند المأمون العباسي جاء فيه أثناء احتجاجه على الجاثليق الذي يتخذ عيسى رباً لأنه أحيا الموتى قوله ﷺ: ما أنكرت إن عيسى كان يحيي الموتى بإذن الله عز وجل؟

قال الجاثليق وهو كبير النصارى وعالمهم: أنكرت ذلك من أجل أن من أحى الموتى وأبرء الأكمه والأبرص فهو ربّ مستحق لأن يُعبد، قال الرضا ﷺ: فإن اليسع قد صنع مثل ما صنع عيسى ﷺ مشى على الماء وأبرء الأكمه والأبرص فلم تتخذه أمته رباً ولم يعبدّه أحدٌ من دون الله عز وجل. . إلى أن جاء في حديثه ثم أن قوماً من بني إسرائيل خرجوا من بلادهم هرباً من الطاعون وهم ألوف حذر الموت، فأماتهم الله في ساعة واحدة، فعمد أهل تلك القرية فحظروا عليهم حظيرة، فلم يزالوا فيها حتى نُخِرَت عظامهم وصاروا رميماً، فمرّ بهم نبيّ من أنبياء بني إسرائيل فتعجب منهم ومن كثرة عظامهم البالية، فأوحى الله عز وجل إليه: أتحب أن أحييهم لك فتذرهم؟ قال نعم يا رب، فأوحى الله إليه: أن نادهم فقال: أيتها العظام البالية قومي بإذن الله

عز وجل فقاموا بإذن الله عز وجل أحياءً أجمعون ينفضون التراب عن رؤوسهم . الخ .

ونقل تلك المحاجة بطولها المجلسي في (البحار) ج ١٠ ص ٢٩٩ - ص ٣١٨ . عن المصادر الثلاثة السابقة - فما اجدر بالباحثين عن الحقائق مراجعتها - ونقل منها قصة الألو ف في ج ١٣ ص ٣٨٦ ، ونقلها عن المصادر الثلاثة أيضاً الحر العاملي في (الإيقاظ) ص ١١٤ - ١١٥ .

هذه بعض أحاديث أهل البيت من الإمام الباقر والصادق والرضا عليهم السلام الصريحة كل الصراحة في أن هؤلاء الألو ف من بني إسرائيل الذين أماتهم الله بقوا بعد موتهم دهرأ طويلاً حتى بليت عظامهم وتقطعت أوصالهم وصاروا تراباً ورميمأ ، ثم أحياهم الله الذي هو على كل شيء قدير وردهم إلى الدنيا حتى سكنوا الدور وأكلوا الطعام ونكحوا النساء ولبثوا بذلك ما شاء الله ثم ماتوا بآجالهم تدريجياً كما نصت على ذلك الأحاديث الأخرى من طرق آخرين .

فرجة هؤلاء الألو ف إلى الدنيا كالرجعة التي يعتقدها أهل البيت وشيعتهم الواقعة في هذه الأمة والتي أكدت الآيات القرآنية والأحاديث المتواترة وقوعها : ﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا ﴾ [النساء / ٨٧] .

ثانياً - قصة من أماته الله مائة عام ثم بعثه

ومن الآيات التي صرحت بوقوع الرجعة إلى الدنيا في الأمم الماضية قوله تعالى: ﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَانْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿البقرة/ ٢٥٩﴾ .

فهذا مات - حسب نص الآية الكريمة - مائة عام ثم بعثه الله وأرجعه إلى الدنيا ثم مات بأجله وهو (عزير) على أشهر الأقوال وقيل اسمه أرميا وهو أحد أنبياء الله عز وجل .

التدبير لمفاد الآية الكريمة :

التدبر في الآية الكريمة يعطي أن الرجل كان من صالح عباد الله عالماً بمقام ربه مراقباً لأمره، بل يعطي التدبر فيها أيضاً إنه كان نبياً مُكَلِّماً وبيان ذلك هو إنه ظاهر قوله في خاتمة الآية: ﴿أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ أنه بعد تبين الأمر له بمشاهدة ما شاهد من إِمَاتته وإحيائه وما تعلق بهما من حماره وطعامه وشرابه بعد تلك المشاهدات كلها رجع إلى ما لم يزل يعلمه من قدرة الله المطلقة، نهاية الأمر أنه كان يعلم ذلك استدلالاً، والعلم الاستدلالي ربما اعترته الشبهة النفسية ولكنه لما أحياه الله بعد إِمَاتته وشاهد كيفية ذلك حصل عنده العلم ضرورة، ومثل هذه العملية للخواطر النفسية نوع من تربية الله لحججه .

وظاهر قوله تعالى: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا قَالَ كَمْ لَبِثْتُمْ﴾ إنه كان مأنوساً بالوحي والتكلم وربما لم يكن هذا لم يكن هذا أول وحي يوحى إليه وإلا لكان حق الكلام أن يقال: فلما بعثه قال كم لبثت أو ما يشبهه، وتفيد الآية الكريمة أنه ﷺ كان قد خرج من داره قاصداً مكاناً بعيداً عن قريته التي كان بها والدليل على ذلك خروجه مع حمار يركبه وحمله طعاماً وشراباً يتغذى بهما، فلما سار إلى ما كان يقصده مرّ بالقرية التي ذكرها الله أنها كانت خاوية على عروشها، والخاوية هي الخالية، والساقطة، والعروش جمع عرش، والمراد به هنا هو السقف من الأركان التي يعتمد السقف عليها، كهيئة عرش الكرم والمعنى أن القرية كانت خالية من أهلها وسقوف القرية ساقطة على أبنيتها وأعمدتها هذا وهو لم يكن قاصداً نفس القرية وإنما مر بها مروراً ثم وقف معتبراً بما شاهده من أمر القرية الخربة التي قد أُبِيدَ أهلها وشملتهم نازلة الموت، وعظامهم الرميمة بمرأى ومنظر منه، لذا أشار إلى الموتى الذين صاروا رميماً بقوله: ﴿أَنِّي يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ فأطلق لفظ القرية وأراد به أهلها. كقوله تعالى: ﴿وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا﴾ أي وأسأل أهل القرية، ولو كان مراده بذلك عمران نفس القرية بعد خرابها لكان حق الكلام أن يقال: أتى يعمر هذه الله بعد خرابها على أن عمران القرية بعد خرابها ليس ممّا يستعظم عادةً، في حين أن كلامه ﴿أَنِّي يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ من جهة يدل على استعظامه أحياءها مع طول مدة مكثها إليه ومن جهة ثانية استعظامه رجوع تلك الأجزاء البالية إلى صورتها الأولى بعد هذه التغيرات التي حلت بها.

وهنا يبيّن الله له الأمر من الجهتين جميعاً بياناً مشاهداً له عملياً وأنهما معاً هينين عليه فعلاً، أما الجهة الأولى فيآماتته ثم إحيائه وسؤاله (كم لبثت) وأما من الجهة الثانية فيإحيائه العظام بعد رميمها بمنظر ومرأى منه. ﴿فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ﴾.

وقد كانت إمامته على ما في الروايات، أول النهار، وأحياؤه في آخر النهار الذي أحي فيه بعد مائة سنة، وأعيد كما كان لم يتغير شيء من هيئة بدنه لذا لما قال له: ﴿كَمْ لَيْتٌ قَالَ لَيْتُ يَوْمًا﴾ وحيث نظر إلى الشمس بعد لم تغرب استدرك قائلاً: ﴿أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾ فرد الله سبحانه عليه وقال ﴿بَلْ لَيْتَ مِائَةَ عَامٍ﴾ فرأى عند ذلك من نفسه شاهد مائة سنة كيوم أو بعض يوم فكان في ذلك جواب ما استعظمه من طول الوقت.

واستشهد الله على قوله ﴿بَلْ لَيْتَ مِائَةَ عَامٍ﴾ بقوله: ﴿فَأَنْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ﴾ أي لم يتغير بشيء منهما عما كانا عليه، وإنما قال لم يتسنه على المفرد دون المثنى لأنه أراد جنس الطعام والشراب أي أنظر إلى ما تركته إنه لم تغيره السنون، وقيل كما في (مجمع البيان) م ١ ص ٣٧٠، كان زاده عصيراً وتيناً وعنباً وهذه الثلاثة أسرع الأشياء تغيراً وفساداً، فوجد العصير حلواً والتين والعنب كما جنيا لم يتغيرا.

ثم أعطاه الله تعالى الشاهد الدال على طول مدة المكث بقوله: ﴿وَأَنْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ﴾ فأمره أن ينظر ثانياً إلى الحمار وقد صار عظاماً رميمًا، وذلك يدل على طول مدة المكث، كما أن حال الطعام والشراب يدل على إنكار أن يبقى طيلة هذه المدة على حال واحد من غير أن يتغير شيء من هيئته.

ومن هنا يظهر أن الحمار قد أميت أيضاً وصار رميمًا، وربما السكوت عن ذكر إمامته معه لما عليه القرآن من الأدب البارع ثم قال الله تعالى له: ﴿وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ﴾ وهذا النص يدل على أنه هناك غاية أخرى غير الغاية التي تخصه، والمعنى فعلنا بك ما فعلنا للنبيين لك إنما ما استعظمته هين علينا، ولتكون آية للناس، والغرض الإلهي لم يكن منحصرًا في بيان الأمر له نفسه فحسب، بل هناك غاية أخرى وهي جعله آية للناس عامة، وهذا كله فيما يتعلق بالجهة الأولى من استعظامه ثم بين الله له الجهة الثانية التي يشتمل

عليها قوله : ﴿ أَنِّي يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ﴾ وهو أنه كيف تعود الأجزاء إلى صورتها الأولى بعد كل هذه التغيرات والتحوّلات الطارئة عليها، فاستلفت نظره ثالثاً إلى العظام فقال تعالى : ﴿ وَأَنْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا ﴾ .

والإنشاز هو الإنماء، وظاهر الآية الكريمة إن المراد بالعظام عظام الحمار الذي أحياه الله له بعد أن صار عظاماً رميمًا فكساها لحماً طرياً بمنظر ومرأى منه وأحياه له كما كان أولاً .

وبعد أن بيّن الله له بتلك المشاهدات أن استعظامه لتلك الجهتين كان في غير محله رَجَعَهُ - كما قلنا سابقاً - إلى ما كان يعلمه ولا يزال يعلمه من قدرة الله المطلقة كما قال الله تعالى : ﴿ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ وليس معنى هذا النص أنه لما تبين له الأمر حصل له العلم، أو انه قد كان شاكاً في قدرة الله في الأحياء بعد الإمامة، إذ لو كان ذلك كذلك لكان حق الكلام حين إذن أن يقول : علمت أو الآن علمت . هذا أولاً، وثانياً إن الرجل كان نبياً مكلفاً وساحة الأنبياء منزهة عن الجهل بالله تعالى وخاصة في مثل صفة القدرة التي هي من صفاته الذاتية وثالثاً إن حصول العلم بتعلق القدرة بإحياء الموتى بمجرد لا يوجب حصول العلم بتعلقها بكل شيء في حين انه قال : ﴿ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ هذا ما يستفاد من مجموع الآية الكريمة : وذكر المفسرون، والمؤلفون في قصص الأنبياء وغيرهم أخباراً وأحاديث كثيرة عن كيفية قصته مطولاً ومختصراً نذكر بعضها مما فيه العبرة لمن اعتبر .

الأخبار والأحاديث حول القصة

أولاً: روى العياشي في (تفسيره) ج ١ ص ١٤١ بسنده عن أبي ظاهر العلوي عن علي بن محمد العلوي، عن علي بن مرزوق عن إبراهيم بن محمد قال: ذكر جماعة من أهل العلم إن ابن الكوى قال لعلي عليه السلام يا أمير المؤمنين

ما وُلد أكبر من أبيهم من أهل الدنيا؟ قال أولئك ولد (عزير) حيث مرّ على قرية خربة، وقد جاء من ضيعة له تحت حمار ومعه شنة (أي قربة) فيها تين (وفي نص فيها لبن)، وكوز فيه عصير فمرّ على قرية خربة فقال: (أنى يحيي هذه القرية بعد موتها؟ فأماته الله مائة عام توالد ولده وتناسلوا ثم بعث الله إليه فأحياه في المولد الذي أماته فيه، فأولئك ولده أكبر من أبيهم.

ونقله عن العياشي المجلسي في (البحار) ج ١٤ ص ٣٧٤ والمولى محسن الفيض في تفسير (الصافي)، وأخرجه البحراني في تفسيره (البرهان) ج ١ ص ٣٥٠، ونقله عن العياشي الشيخ علي البهادلي في كتابه (فلسفة الشهادة) ص ١٠٨، ويروي هذا الحديث الحسن بن سليمان في كتابه (منتخب البصائر) من طريق آخر بسنده عن الأصبغ بن نباتة: إن عبد الله بن الكوي الشكري قال لأمر المؤمنين عليه السلام: يا أمير المؤمنين إن أبا المعتمر تكلم آنفاً بكلام لا يحتمله قلبي، فقال وما ذاك؟ قال: يزعم إنك حدثته إنك سمعت رسول الله ﷺ يقول فيه إنا قد رأينا أو سمعنا برجل أكبر سناً من أبيه فقال أمير المؤمنين عليه السلام أفهذا الذي كبر عليك؟ قال نعم. فهل تؤمن أنت بهذا وتعرفه؟ فقال عليه السلام: نعم. ويلك يا بن الكوي أفقه عني أخبرك عن ذلك، أن عزيراً خرج من أهله وامراته في شهرها وله خمسون سنة، فلما ابتلاه الله عز وجل بذنبه وأماته مائة عام فرجع إلى أهله وهو ابن خمسين سنة فأستقبله ابنه وهو ابن مائة سنة ورد الله عزيراً في السن الذي كان به. الخ.

ونقله عن المنتخب المجلسي في (البحار) ج ١٤ ص ٣٧٤ كما نقله عن المنتخب أيضاً الحر العاملي في (الإيقاظ) ص ١٥١ - ص ١٨٦ وللحديث بقية سنذكرها في الموضع المناسب.

واختصر هذا الحديث الطبرسي في (مجمع البيان) م ١ ص ٣٧٠ حيث روى مرسلأ آخر الحديث بما نصه: وروى عن علي عليه السلام أن عزيراً خرج من

أهله وامراته حامل وله خمسون سنة فأماته الله مائة سنة ثم بعثه إلى أهله ابن خمسين سنة، وله ابن له مائة سنة، فكان ابنه أكبر منه فذلك من آيات الله .

ونقله عن الطبرسي المولى محسن الفيض في تفسيره (الصافي) والحر العاملي في (الإيقاظ) ص ١٦٩ ، والطبسي في (الشيعة والرجعة) ج ٢ ص ٧٢ .

ثانياً: وفي (الدر المنثور) للسيوطي ج ١ ص ٣٣١ قال: قوله تعالى: (أَوْ كَأَلَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ) الآية، أخرج عبد بن حميد، وابن المنذر وابن أبي حاتم، والحاكم و(صححه) ج ٢ ص ٢٨٢، والبيهقي في (الشعب) عن علي بن أبي طالب عليه السلام قال: خرج عزيز نبي الله من مدينته وهو شاب فمرّ على قرية خربة وهي خاوية على عروشها فقال: (أنى يحيى هذه الله بعد موتها فأماته الله مائة عام ثم بعثه، فأول ما خلق منه عيناه فجعل ينظر إلى عظامه وينظر بعضها إلى بعض ثم كسيت لحماً ثم نفخ فيه الروح ف قيل له: ﴿ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ﴾ ، قال: ﴿ بَلْ لَبِثْتُ مِائَةَ عَامٍ ﴾ فأتى مدينته وقد ترك جاراً له إسكافاً فجاء وهو شيخ كبير .

ونقله عن السيوطي الطبسي في (الشيعة والرجعة) ج ٢ ص ٧٦ .

ثالثاً: روى محمد بن جرير الطبري الإمامي المتوفى في القرن الرابع الهجري في كتابه (دلائل الإمامة) ص ١٠٤ بسنده عن الإمام الصادق عليه السلام حديث إشخاص هشام بن عبد الملك للإمام الباقر وابنه الصادق إلى دمشق، وذكر ما جرى بين الإمام الباقر وبين هشام من قضايا ومحاجات، وإن الإمام الباقر عليه السلام بعد خروجه من هشام رأى اجتماع النصاري فجلس هو وابنه الصادق في ذلك الاجتماع، وقد جاء عالمهم ليسألوه، وأن هذا العالم النصراني بعد أن تعرف على وجود الإمام في مجتمعهم وجه إليه عدة أسئلة أجابه عنها الإمام الباقر بأحسن الجواب المقترن بالدليل الحاسم والمقنع، وجاء في آخر أسئلته أن قال له:

بقيت مسألة واحدة لاسألك عنها، ولا تهتدي إلى الجواب عنها أبداً، قال الإمام الصادق عليه السلام : فقال أبي : فسل إنك حانت في قولك، فقال : أخبرني عن مولودين ولدا في يوم واحد وماتا في يوم واحد عمر أحدهما مائة وخمسين سنة والآخر خمسين سنة في الدنيا، فقال أبي : ذلك عزيز وعزرة ولدا في يوم واحد ولما بلغا مبلغ الرجال خمس وعشرين عاماً مرّ عزيز على حمارة بقرية في أنطاكية وهي خاوية على عروشها فقال : ﴿أَنْتَ يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ فكان الله قد اصطفاه وهداه، فلما قال ذلك غضب الله عليه وأماته مائة عام ثم بعثه على طعامه وشرابه وحماره وعاد إلى داره وأخوه عزرة لا يعرفه، فاستضافه وبعث إلى أولاده وأحفاده وقد شاخوا وعزير شاب في سن خمس وعشرين سنة وهو يذكر عزرة بنفسه فيقول له : ما رأيت شاباً أعلم بعزير منك، من أهل السماء أنت أم من أهل الأرض؟ فقال عزير لأخيه : أنا عزير سخط الله تعالى عليّ بقول قلته فأماتني مائة سنة ثم بعثني لتزدادوا بذلك يقيناً إن الله على كل شيء قدير وهذا حماري وطعامي وشرابي الذي خرجت به من عندكم أعاده لي كما كان بقدرته فأعاشه الله بينهم تمام الخمسين وقبضه الله وأخاه في يوم واحد فنهض عند ذلك عالم النصارى وقاموا معه وهو يقول : جئتموني بأعلم مني فأقعدتموه بينكم ليفضحني ويعلم المسلمون بأن لهم من يحيط بعلومنا، وعنده ما لا نحيط به فلا والله لا كلمتكم ولا قعدت لكم إن عشت . . الخ .

ونقله عن كتاب (دلائل الإمامة) السيد ابن طاووس في كتابه (أمان الأخطار) ص ٥٢ ، ونقله عن ابن طاووس المجلسي في (البحار) ج ٤٦ ص ٣٠٦ - ص ٣١٣ ، وقال وجدت الخبر في أصل كتاب الدلائل كما ذكر، ونقل الحديث بالكامل السيد محسن الأمين العاملي في (أعيان الشيعة) القسم الثاني من ج ٤ ص ٤٣ ص ٤٧ .

وروى حديث النصراني وأسئلته للإمام الباقر عليه السلام ، بسند آخر القمي في (تفسيره) ج ١ ص ٩٨ جاء في آخر أسئلته أنه قال للنصارى الذين معه يا معشر النصارى لأسألكم مسألة يرتطم فيها كما يرتطم الحمار في الوحل . فقال الإمام عليه السلام : سل قال : أخبرني عن رجل دنا من امرأته فحملت منه بابنين حملتهما جميعاً في ساعة واحدة ووضعتهما في ساعة واحدة وماتا في ساعة واحدة ودفنوا في ساعة واحدة ، في قبر واحد عاش أحدهما خمسين ومائة سنة ، وعاش الآخر خمسين سنة ، من هما؟ فقال أبو جعفر الباقر عليه السلام هما عزيز وعزرة كانت حملت أمهما بهما على ما وصفت ، ووضعتهما على ما وصفت ، وعاش عزيز وعزرة كذا وكذا سنة ، ثم أمات الله تبارك وتعالى عزيزاً مائة سنة ثم بعث ، وعاش مع عزرة هذه الخمسين سنة ، ومات كلاهما في ساعة واحدة فدفنا في قبر واحد ، فقال النصراني يا معشر النصارى ما رأيت أحداً قط أعلم من هذا الرجل ، لا تسألوني عن حرف وهذا بالشام ردوني إلى كهفي . . الخ .

ونقله عن القمي بسنده الكليني في (روضة الكافي) ص ١٠٥ ونقل الحديث عن القمي في تفسيره المجلسي في (البحار) ج ١٠ ص ١٤٩ من كتاب (الاحتجاج) وفي ج ١٤ من كتاب (النبوة) ص ٣٧٨ مختصراً على ما يتعلق بعزيز ، وفي ج ٤٦ ص ٣١٣ في ذكر أحوال الإمام الباقر عليه السلام كما نقل الحديث عن (روضة الكافي) الحر العاملي في (الإيقاظ) ص ١٥٩ مختصراً على ما يتعلق بعزيز ، وروى الحديث مرسلًا عن الإمام الصادق عليه السلام القطب الراوندي في الخرائج ص ١٩٧ على ما نقل عنه المجلسي في (البحار) ج ١٠ ص ١٥٢ من كتاب (الاحتجاج) وأن عالم النصارى أسلم يومئذ مع أصحابه على يد الإمام عليه السلام كما نقله عن الخرائج أيضاً الحر العاملي في (الإيقاظ) ص ١٨١ مختصراً على ما يتعلق بعزيز ونقله عن القمي البهادلي في كتابه ص ١٠٧ .

رابعاً: نقل السيوطي في تفسيره (الدر المنثور) ج ١ ص ٣٣١ - ٣٣٣ حديثاً مطولاً في قصة عزيز وكيفية إمامته وإمارة حمارة وإحيائهما عن إسحاق بن بشير وأبن عساكر من طرق عن ابن عباس، وكعب، والحسن، ووهب، يزيد بعضهم على بعض جاء في أواخر الحديث قوله: فركب عزيز حمارة (أي بعد ما أحياه الله) وقصد بيت المقدس حتى أتى محله فأنكره الناس وأنكر الناس، وأنكر منازلهم فأنطلق على وهم منه حتى أتى منزله فإذا هو بعجوز عمياء مقعدة قد أتى عليها مائة وعشرون سنة كانت أمةً لهم، فخرج عنهم عزيز وهي بنت عشرين سنة كانت قد عرفتة وعقلته، فقال لها عزيز: يا هذه هذا منزل عزيز؟ قالت: نعم، وبكت وقالت: ما رأيت أحداً من كذا وكذا سنة يذكر عزيزاً، وقد نسيه الناس، قال: فإني أنا عزيز، قالت: سبحان الله فإن عزيزاً غادرنا منذ مائة سنة فلم نسمع له بذكر، قال: فإني أنا عزيز كان الله أماتني مائة سنة ثم بعثني، قالت: فإن عزيزاً كان رجلاً مستجاب الدعوة يدعو للمريض ولصاحب البلاء بالعافية والشفاء، فأدع الله أن يرد عليّ بصري حتى أراك فإن كنت عزيزاً عرفتكَ فدعا ربه ومسح يده على عينها فصحتا، وأخذ بيدها فقال: قومي بإذن الله، فأطلق الله رجلها فقامت صحيحة كأنما نشطت من عقال، فنظرت، فقالت: أشهد أنك عزيز، فانطلقت إلى محلة بني إسرائيل وهم في أنديتهم ومجالسهم، وابن العزيز شيخ ابن مائة وثمان عشرة سنة، وبنوا بنيه شيوخ في المجلس، فنادتهم فقالت: هذا عزيز قد جاءكم فكذبوها، فقالت: أنا فلانة مولاتكم دعا لي ربه فرد عليّ بصري، وأطلق رجلي، وزعم أن الله أماته مائة سنة ثم بعثه، فنهض الناس فاقبلوا إليه فنظروا إليه فقال ابنه: كانت لأبي شامة سوداء وفي نص: مثل الهلال بين كتفيه، فكشف عن كتفيه وإذا هو عزيز. الخ.

ونقله مختصراً كما ذكرناه الدميري في (حياة الحيوان) باب الحمار ص ٤٢١ عن ابن عباس وكما رواه عن ابن عباس ببعض التغير الفخر الرازي في تفسيره (مفاتيح الغيب) ج ٢ ص ٣٢٨ وغيره.

خامساً: نقل ابن كثير الدمشقي في (تفسيره) ج ١ ص ٣١٤ عن السدي، وغيره أنهم قالوا: تفرقت عظام حمارة (أي حمار عزيز) حوله يميناً ويساراً، فنظر إليها وهي تلوح من بياضها فبعث الله ريحاً فجمعتها من كل موضع من تلك المحلة، ثم ركب كل عظم في موضعه حتى صار حماراً قائماً من عظام لا لحم عليها، ثم كساها الله لحماً وعصباً وعروقاً وجلداً، وبعث الله ملكاً فنفخ في منخر الحمار فنهق بإذن الله عز وجل، وذلك بمرأى من العزيز، فعند ذلك لما تبين له هذا كله (قال أعلم أن الله على كل شيء قدير) أي أنا عالم بهذا، وقد رأيته عياناً، فأنا أعلم أهل زماني بذلك. الخ. ونقله عن السدي أيضاً الدميري في (حياة الحيوان) ج ١ ص ٤٢ بتغيير يسير.

السبب في قول اليهود عزيز ابن الله

سادساً: نقل الدميري في (حياة الحيوان) ص ٤٢١ عن السدي، والكلبي أنهما قالوا: لما رجع (أي العزيز) إلى قريته، وقد أحرق بخت نُصّر التوراة، ولم يكن عهداً بين الخلائق بكى عزيز على التوراة، فأتاه ملك بإناء من الله تعالى فيه ماء فشرب منه فمثلت التوراة في صدره.

فرجع إلى بني إسرائيل وقد علمه الله التوراة وبعثه نبياً فقال: أنا عزيز فلم يصدقوه فقال إني عزيز، بعثني الله تعالى إليكم لأجدد لكم توراتكم، قالوا: فأملها علينا فأملها عليهم عن ظهر قلب، فقالوا: ما جعل الله التوراة في قلب رجل بعد ما ذهبت، إلا أنه ابنه، فقالوا: عزيز ابن الله، تعالى الله وتقدس عن الصاحبة والولد، ثم قال الدميري: وكان الله قد أمارت عزيزاً وهو ابن أربعين سنة، وبعثه وهو ابن مائة وأربعين سنة^(١) وكان أولاد أولاده شيوخاً وعجائزاً

(١) ربما الصحيح: وبعثه وهو ابن أربعين سنة. الخ، والمروى عن الإمام الباقر(ع) كما مرّ أن عمره حين أماته الله خمس وعشرون سنة، والمروى عن الإمام علي(ع) إن عمره خمسون سنة، وهذا الاختلاف يكون غالباً من تسامح بعض الرواة والله أعلم.

وهو شاب أسود الرأس واللحية، فسبحان من هو على كل شيء قدير .

وما ذكره الدميري في سبب قول اليهود عزيز ابن الله ذكر معناه الكثير من المفسرين كالфخر الرازي في (تفسيره) ج ٢ ص ٣٢٨ ، والسيوطي في (تفسيره) ج ١ ص ٣٣٢ والثعلبي في (قصص الأنبياء) ص ١٩٢ ، والطبرسي في (مجمع البيان) م ١ ص ٣٧١ وغيرهم .

وما نقلناه من الأخبار والأحاديث حول القصة قليل من كثير وفيه ما يكفي للاعتبار لمن اعتبر ﴿ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ الْأَنْبَاءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ ﴾ [القمر / ٥] .

ثالثاً: قصة بعث المختارين من قوم موسى ﷺ بعد موتهم

ومن الآيات التي صرحت بوقوع الرجعة إلى الدنيا في الأمم الماضية قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَىٰ اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ نَظَرُونَ ۚ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [البقرة / ٥٥ - ٥٦] .

استعرض الله سبحانه في هاتين الآيتين الكريمتين قصة المختارين من قوم موسى وهم السبعون الذين اختارهم موسى ﷺ ليسمعوا كلام الله له ، فلما سمعوا كلامه قالوا:

يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة ، أي علانية وعياناً فيخبرنا بأنك نبي مبعوث فإذا رأيناه حينئذ نصدقك فيما تخبر به ونؤمن بنبوتك ، وعلى أثر هذا القول منهم أخذتهم الصاعقة .

والصاعقة تطلق على كل عذاب إلهي مهلك ، كنار تنزل من السماء ، أو صيحة مهلكة أو غير ذلك ، وجمعها صواعق قال تعالى: ﴿ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْحَالِ ﴾ [الرعد / ١٣] .

ومعنى شديد المحال أي شديد القوة والأخذ، وقال تعالى: ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ﴾ [فصلت/ ١٣].

والصعق يطلق على الموت الفجائي كقوله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ﴾ [الزمر/ ٦٨].

ويطلق على الغشية أيضاً مع القرينة كما في قوله تعالى: ﴿وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَنَكَ بُنْتَ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأعراف/ ١٤٣].

فهؤلاء السبعون لما طلبوا من موسى ﷺ المستحيل عقلاً وشرعاً - بقولهم له: (لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة) استحقوا نزول العذاب عليهم ليكون ذلك العذاب عبرة لهم بعد إحيائهم، ولغيرهم في استحالة ما طلبوا ولذلك أخذتهم الصاعقة قيل هي نار وقعت من السماء عليهم فأحرقتهم وهو الأظهر بل المتعين الصحيح وقيل صيحة جاءت من السماء فأماتتهم، وحينما أخذتهم الصاعقة كانوا ينظرون إليها وإلى نزولها بهم، ولذلك قال تعالى: ﴿فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾ وهذا يدل على أن ناراً نزلت عليهم من السماء وإنهم نظروا إليها عند نزولها وقال تعالى في الآية الثانية: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَاكُم مِّن بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ فهذه الآية الكريمة - كما ترى - صريحة كل الصراحة على إن الله أحياهم وبعثهم من بعد موتهم الذي كان بسبب الصاعقة عسى أن يذكروا نعم خالقهم ويشكروه بعد إعطائهم فرصة الحياة والتكليف مرة ثانية.

الأخبار والأحاديث حول القصة

وإليك الآن أقوال بعض المفسرين من الخاصة والعامة، ورواياتهم حول الموضوع.

١ - قال القمي في (تفسيره) ج ١ ص ٤٧ : فهم السبعون الذين اختارهم موسى ليسمعوا كلام الله ، فلما سمعوا الكلام قالوا : لن نؤمن لك يا موسى حتى نرى الله جهرة ، فبعث الله عليهم صاعقة فاحترقوا ثم أحياهم الله بعد ذلك . . ثم قال : فهذا دليل على الرجعة في أمة محمد ﷺ : فإنه قال ﷺ : لم يكن في بني إسرائيل شيء إلا وفي أمتي مثله . نقله عنه المجلسي في (البحار) ج ١٣ ص ٢٢٢ ونقله عن المولى محسن الفيض في (تفسيره) ، والطبسي في (الشيعة والرجعة) ج ٢ ص ٥٢ والحر العاملي في (الإيقاظ) ص ١٧٣ .

٢ - وقال الطبرسي في تفسيره (مجمع البيان) م ١ ص ١١٥ : (ثم بعثناكم أي ثم أحييناكم) من بعد موتكم) لاستكمال آجالكم عن الحسن وقتادة ، إلى أن قال : واستدل قوم من أصحابنا بهذه الآية على جواز الرجعة ، وقول من قال : إن الرجعة لا تجوز إلا في زمن النبي ﷺ لتكون معجزاً له ، ودلالة على نبوته باطل ، لأن عندنا ، بل عند أكثر الأمة يجوز إظهار المعجزات على أيدي الأئمة والأولياء ، والأدلة على ذلك مذكورة في كتب الأصول . . الخ .

ونقله عنه المجلسي في (البحار) ج ١٣ ص ١٩٩ ، والطبسي في (الشيعة والرجعة) ج ٢ ص ٥١ .

٣ - وقال المولى محسن الفيض في تفسيره (ثم بعثناكم من بعد موتكم) بسبب الصاعقة ، ثم قال : قيد البعث بالموت لأنه قد يكون من إغماء ونوم ، ثم قال وفيه دلالة واضحة على جواز الرجعة في أمة محمد ﷺ التي قال بها أصحابنا نقلاً عن أئمتهم ﷺ واحتج بهذه الآية أمير المؤمنين عليه السلام على ابن الكوى حين أنكرها كما رواه عنه الأصبغ بن نباتة ، ثم نقل قول القمي الذي ذكرناه برقم (١) كما ذكر بعضاً من حديث للإمام الرضا عليه السلام في هذا الموضوع . . الخ . ونقله عنه الطبسي ج ١ ص ٥١ .

حديث أمير المؤمنين عليه السلام في احتجاجه على ابن الكوى

جاء في حديث ابن الكوى :

أنه قال له : إن أناساً من أصحابك يزعمون إنهم يُرجعون بعد الموت؟ فقال أمير المؤمنين عليه السلام نعم . . . فقال ابن الكوى لا أو من بشيء مما قلتم ، فقال أمير المؤمنين ويلك إن الله عز وجل ابتلى قوماً بما كان من ذنوبهم فأماتهم قبل آجالهم التي سميت لهم ثم ردهم إلى الدنيا يستوفون أرزاقهم ثم أماتهم بعد ذلك قال : فكبر على ابن الكوى ولم يهتد له فقال له أمير المؤمنين عليه السلام ويلك إن الله عز وجل قال في كتابه : ﴿ وَأَخَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لِمِيقَاتِنَا ﴾ [الأعراف/ ١٥٥] فأنطلق بهم ليشهدوا له إذا رجعوا عند الملأ من بني إسرائيل أن ربي قد كلمني ، فلو أنهم سلّموا ذلك له وصدقوه لكان خيراً لهم ، ولكنهم قالوا لموسى (لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة) قال عز وجل : ﴿ فَأَخَذْنَاكَمُ الصَّاعِقَةَ ﴾ يعني الموت ﴿ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ ﴾ . ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ افترى يا بن الكوى إن هؤلاء ما رجعوا إلى منازلهم بعدما ماتوا؟ فقال ابن الكوى وما ذلك ثم أماتهم مكانهم؟ فقال أمير المؤمنين عليه السلام ويلك أليس قد أخبرك الله في كتابه حيث يقول : ﴿ وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّاءَ وَالسَّلْوَى ﴾ [البقرة/ ٥٧] .

فهذا بعد الموت إذ بعثهم ، وأيضاً الملأ (الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت فقال لهم الله موتوا ثم أحياهم) ومثلهم عزيز (أماته الله مائة عام ثم بعثه) يا بن الكوى فلا تشكّن في قدرة الله عز وجل .

راجع مصادر الحديث فيما ذكرناه في قصة عزيز رقم (١) و(الشيعة والرجعة) ج ٢ ص ٥١ - ٥٢ في الحاشية و(الإيقاظ) ص ٥١ - ٥٢ وإليه أشار المولى محسن الفيض في (تفسيره) كما مرّ، وأورد الحديث بتمامه السيد

الجليل البحراني في (تفسيره) ج ١ ص ٦٤ بإسناده على ما نقل عنه الطبسي في (الشيعه والرجعة).

رد الشبهة عن موسى بن عمران عليه السلام

بهذه المناسبة نذكر حديثاً للإمام الرضا عليه السلام مع المأمون العباسي في رد شبهة عن كليم الله موسى بن عمران عليه السلام حيث سأل ربه النظر إليه مع أن النظر إليه مستحيل عقلاً وشرعاً، وقد جاء هذا السؤال في الآية الكريمة: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَنِي وَلَكِنْ أَنْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَنِي فَلَمَّا بَلَغَ رَبُّهُ لِّلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَنَكَ بُتُّ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأعراف/ ١٤٤].

٤ - الحديث روى شيخنا الصدوق في كتابه (عيون أخبار الرضا) ج ١ باب ١٥ ص ١٩٥، و(التوحيد) باب ما جاء في الرؤية ص ٧٤، وهو حديث طويل تضمن أسئلة عديدة عرضها المأمون على الإمام الرضا عليه السلام حول عصمة الأنبياء ومع أن بعض الآيات القرآنية في ظاهرها تخالف ذلك، وقد أجاب الإمام عليه السلام بالأجوبة الشافية الكافية، والتي استحسناها المأمون استحساناً بالغاً، رواه مسنداً عن تميم بن عبد الله القرشي (رض) قال: حدثني أبي عن حمدان بن سليمان النيسابوري عن علي بن محمد بن الجهم قال: حضرت مجلس المأمون وعنده الرضا علي بن موسى عليه السلام فقال له المأمون: يا بن رسول الله أليس من قولك أن الأنبياء معصومون؟ قال: بلى ثم سأله عن آيات من القرآن الكريم فكان فيما سأله أن قال له:

فما معنى قول الله عز وجل: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَنِي﴾ الآية كيف يجوز أن يكون كليم الله موسى بن عمران عليه السلام لا يعلم أن الله تعالى لا يجوز عليه الرؤيا حتى يسأله هذا السؤال.

فقال الرضا عليه السلام إن كلم الله موسى بن عمران عليه السلام علم أن الله عز أن يرى بالأبصار، ولكنه لما كلم الله عز وجل، وقربه نجيا رجعا إلى قومه فأخبرهم أن الله عز وجل كلمه وقربه وناجاه فقالوا: لن نؤمن لك حتى نسمع كلامه كما سمعت ثم اختار منهم سبعين رجلاً لميقات ربه. فخرج بهم إلى طور سينا فأقامهم في سفح الجبل وصعد إلى الطور وسأل الله تبارك وتعالى أن يكلمه ويسمعهم كلامه فكلمه الله تعالى وذكره وسمعوا كلامه من فوق وأسفل ويمين وشمال ووراء وأمام لأن الله عز وجل أحدثه في الشجرة ثم جعله منبعثاً منها حتى سمعوه من جميع الوجوه فقالوا لن نؤمن بأن هذا الذي سمعناه كلام الله حتى نرى الله جهرة، فلما قالوا هذا القول العظيم، واستكبروا وعنوا بعث الله عز وجل عليهم صاعقة فأخذتهم بظلمهم فماتوا، فقال موسى يا رب ما أقول لبني إسرائيل إذا رجعت إليهم وقالوا إنك ذهبت بهم فقتلتهم لأنك لم تكن صادقاً فيما ادعيت من مناجاة الله إياك، فأحياهم الله وبعثهم معه، فقالوا إنك لو سألت الله أن يريك أن تنظر إليه لأجابك وكنت تخبرنا كيف هو، فنعرفه حق معرفته، فقال موسى عليه السلام يا قوم إن الله لا يرى بالأبصار، ولا كيفية له، وإنما يعرف بآياته ويُعلم بإعلامه، فقالوا لن نؤمن لك حتى تسأله، فقال موسى: يا رب إنك سمعت مقالة بني إسرائيل، وأنت أعلم بصلاحتهم، فأوحى الله جل جلاله إليه: يا موسى اسألني ما سألوك فلن أؤأخذك بجهلهم.

فعند ذلك قال موسى عليه السلام رب أرني أنظر إليك قال لن تراني ولكن أنظر إلى الجبل فإن أستقر مكانه وهو يهوي فسوف تراني فلما تجلى ربه للجبل بآية من آياته جعله دكاً وخر موسى صعقاً فلما أفاق قال سبحانك تبت إليك، يقول: رجعت إلى معرفتي بك عن جهل قومي، وأنا أول المؤمنين منهم بأنك لا ترى، فقال المأمون: لله درك يا أبا الحسن، الحديث الذي جاء في آخره إن المأمون قال للأمام الرضا عليه السلام.

لقد شفيت صدري يا بن رسول الله . وأوضحت لي ما كان ملتبساً عليّ ،
فجزاك الله عن أنبيائه وعن الإسلام خيراً ، قال الراوي علي بن محمد بن الجهم :
فقام المأمون إلى الصلاة وأخذ بيد محمد بن جعفر الصادق عليه السلام وكان حاضر
المجلس فتبعتهما ، فقال له المأمون : كيف رأيت ابن أخيك ؟ فقال له : عالم
ولم نره يختلف إلى أحد من أهل العلم ، فقال المأمون : إن ابن أخيك من أهل
بيت النبي ﷺ الذين قال فيهم النبي ﷺ ألا إن أبرار عترتي وأطائب أرومتي
أحلم الناس صغاراً ، وفي نص أعقل الناس صغاراً ، وأعلم الناس كباراً فلا
تعلموهم فإنهم أعلم منكم ، لا يخرجونكم من باب هدى ، ولا يدخلونكم في
باب ضلالة ، وأنصرف الرضا عليه السلام إلى منزله ، فلما كان من الغد غدوت عليه
وأعلمته ما كان من قول المأمون ، وجواب عمه محمد بن جعفر له ،
فضحك عليه السلام ثم قال : يا بن الجهم لا يغرنك ما سمعته منه فإنه سيغتالني (أي
يقتلني غيلة) والله ينتقم لي منه .

تجد الحديث بتمامه في (العيون) للصدوق ج ١ من ص ١٩٥ - ٢٠٤ ،
وفي (الاحتجاج) للطبرسي ج ٢ ص ٢١٥ - ٢٢٤ ، ونقله عنهما المجلسي في
(البحار) كتاب النبوة ج ١١ من ص ٧٨ - ٨٥ ، كما ذكر مضامينه ج ٤٩ عند
ذكره للرضا عليه السلام ص ١٧٩ - ١٨٠ ، ونقل بعض الحديث أيضاً الحر العاملي
في (الإيقاظ) ص ١١٩ ، وتجد حديث الرؤية بالإضافة إلى المصادر السابقة في
(التوحيد) للصدوق ص ٧٣ - ٧٥ ، وفي (البحار) كتاب النبوة ج ١٣ ص ٢١٧
نقلاً عن المصادر الثلاثة (العيون والتوحيد والاحتجاج) وفي ج ٤ كتاب
(التوحيد) ص ٤٧ وفي تفسير (الصافي) في تفسير سورة الأعراف ، وفي كتاب
(كلمة حول الرؤية) للسيد عبد الحسين شرف الدين ص ٢٤ وما اجدر بالباحثين
على الحقائق بالرجوع لهذا الكتاب فإنه على صغر حجمه إلا أن فيه ما يشفي
الغليل ويوقفك على الحقيقة بالدليل ، والله الهادي إلى سواء السبيل وفي كتاب

(فلسفة الشهادة) للشيخ علي البهادلي ص ١٠٣، نقلاً عن كتاب (العيون) للصدوق فأما ما ورد من تصريحات العامة في تفاسيرهم حول القصة وآياتها البيّنات فهي كثيرة نذكر بعضها لإتمام الحجة .

٥ - قال الزمخشري في تفسيره (الكشاف) ج ١ ص ١٤١ في تعليقه على الآيات: وفي هذا الكلام دليل على أن موسى عليه الصلاة والسلام رآهم القول وعرفهم أن الرؤية ما لا يجوز عليه أن يكون في جهة محال، وأن من استجاز على الله الرؤية فقد جعله من جملة الأجسام أو الأعراض، فرادّوه بعد بيان الحجة ووضوح البرهان، ولجّوا فكانوا في الكفر كعبدة العجل، فسلط الله عليهم الصاعقة كما سلط على أولئك القتل تسوية بين الكافرين، ودلالة على أنّ عظمهما بعظم المحنة، و(الصاعقة) ما صعقهم، أي أماتهم قيل: نار وقعت من السماء فاحرقتهم، وقيل صيحة جاءت من السماء وقيل أرسل الله جنوداً سمعوا بحسها فخرجوا صاعقين ميتين يوماً وليلة، وموسى ﷺ لم تكن صعقته موتاً ولكن غشية، بدليل قوله: (فَلَمَّا أَفَاقَ)، والظاهر أنه أصابهم ما ينظرون إليه لقوله: ﴿وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾ وقوله ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ أي تشكرون نعمة البعث بعد الموت، أو نعمة الله بعد ما كفرتموها إذا رايتم بأس الله في رميمكم بالصاعقة وإذا قتلتم الموت .

٦ - وقال الفخر الرازي في تعليقه على القصة وآياتها ج ١ ص ٣٥٦ (البحث الثاني) للمفسرين في هذه الواقعة قولان (الأول) أن هذه الواقعة كانت بعد^(١) أن كلف الله عبدة العجل بالقتل قال محمد بن إسحاق: لما رجع موسى ﷺ من الطور إلى قومه فرأى ما هم عليه من عبادة العجل وقال لأخيه والسامري ما قال: وحرّق العجل وألقاه في البحر، أختار من قومه سبعين رجلاً من خيارهم، فلما خرجوا إلى الطور قالوا لموسى: سل ربك حتى يسمعنا

(١) الصحيح (قبل) ولعله خطأ مطبعي .

كلامه فسأل موسى ﷺ ذلك فأجابه الله إليه، ولما دنا من الجبل وقع عليه عمود من الغمام وتغشى الجبل كله ودنا من موسى ذلك الغمام حتى دخل فيه، فقال للقوم: أدخلوا وعوا، وكان موسى ﷺ متى كلمه ربه وقع على جبهته نور ساطع لا يستطيع أحد من بني آدم النظر إليه وسمع القوم كلام الله مع موسى ﷺ يقول له: ولا تفعل، فلما تم الكلام انكشف عن موسى الغمام الذي دخل فيه، فقال القوم بعد ذلك لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فأخذتهم الصاعقة وماتوا جميعاً، وقام موسى رافعاً يديه إلى السماء يدعو ويقول: يا إلهي اخترت من بني إسرائيل سبعين رجلاً ليكونوا شهودي بقبول توبتهم، فارجع إليهم وليس معي منهم واحد فما الذي يقولون في؟

فلم يزل موسى منشغلاً بالدعاء حتى ردّ الله إليهم أرواحهم، وطلب توبة بني إسرائيل من عبادة العجل فقال: لا، إلا أن يقتلوا أنفسهم.

(القول الثاني): إن هذه الواقعة كانت بعد القتل، قال السدي: لما تاب بنو إسرائيل من عبادة العجل بان قتلوا أنفسهم أمر الله تعالى أن يأتيه موسى في ناس من بني إسرائيل يعتذرون إليه من عبادتهم العجل، فاختر موسى سبعين رجلاً فلما أتوا الطور قالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فأخذتهم الصاعقة وماتوا، فقام موسى يبكي ويقول يا رب ماذا أقول لبني إسرائيل فإني أمرتهم بالقتل ثم اخترت من بقيتهم هؤلاء فإذا رجعت إليهم ولا يكون معي منهم أحداً فماذا أقول لهم؟ فأوحى الله إلى موسى أن هؤلاء السبعين ممن أخذوا العجل إلهاً، فقال موسى: ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ...﴾ الخ [الأعراف/ ١٥٦].

ثم إنه تعالى أحياهم فقاموا، ونظر كل واحد منهم إلى الآخر كيف يحيه الله تعالى.. الخ.

٧ — وقال السيوطي في تفسيره (الدر المنثور) ج ١ ص ٧٠: زاخرج ابن جرير، وابن أبي حاتم عن الربيع بن أنس في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ

نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً ﴿٧٢﴾ قال: هم السبعون الذين اختارهم موسى، ﴿فَأَخَذْتُكُمْ الصَّاعِقَةَ﴾ قال: ماتوا ﴿عَشْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ﴾ فبعثوا من بعد الموت ليستوفوا آجالهم وأخرج عبد بن حميد، وابن جرير عن قتادة في الآية قال عوقب القوم فأماتهم الله عقوبة، ثم بعثهم إلى بقية آجالهم ليتوفوها.

وأخرج الطبرسي عن ابن عباس: أن نافع بن الأزرق قال له: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿فَأَخَذْتُكُمْ الصَّاعِقَةَ﴾ قال: العذاب، واصله الموت، قال: وهل تعرف العرب ذلك؟ قال: نعم، أما سمعت لبید بن ربيعة وهو يقول:

وقد كنت أخشى عليك الحتوف وقد كنت آمنك الصاعقة

هذا بعض ما صرح به المفسرون من أمارة الله لهؤلاء السبعين وإحيائهم بعد موتهم وفيما ذكرناه الكفاية، وعلى ذلك إجماعهم، فهل يبقى بعد مجال للتشكيك في إمكانية الرجعة في هذه الأمة، وفي قدرة الله على إحياء جماعة من الموت كما فعل في عهد موسى ﷺ وقد تم الدليل القاطع والبرهان الساطع عليهم بما هو حجة لديهم من كتبهم والله الهادي إلى سواء السبيل.

رابعاً: قصة صاحب البقرة وإحياء مَنْ ضُرب ببعضها

ومن الآيات التي صرحت بوقوع الرجعة إلى الدنيا بعد الموت في الأمم الماضية قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ نَفْسًا فَاذَرْنَا فِيهَا وَلِلَّهِ مُخْرَجٌ مَّا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٧٢﴾ فَقُلْنَا أَضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُخَيِّئُ اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ ءَايَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٧٣﴾﴾ [البقرة/ ٧٢ - ٧٣].

تفسير الآيتين الكريمتين وتدبر مفادهما

استعرض الله سبحانه وتعالى في هاتين الآيتين والآيات التي قبلها جريمة من جرائم المجرمين من بني إسرائيل وهي جريمة قتل نفس بريئة ظلماً

وعدواناً، ورميهم بريئاً آخر بقتلها للتخلص من تلك الجريمة وتوجيهها إلى ذلك البريء ولكن الله العليم الخبير والذي هو على كل شيء قدير أفشل خطتهم الإجرامية وأظهر حقيقة ما حاولوا أن يكتموه بإحياء ذلك القتل وإنطاقه بتعيين قاتله، وقيل: وَجَّهَ الخطاب في تلك الآيات لمن كان على عهد النبي ﷺ من بني إسرائيل والمراد أسلافهم على عادة العرب في خطاب الأبناء والأحفاد بخطاب الأسلاف والأجداد، خطاب العشيرة بما يكون من أجدادها كما يقال: فعلت بنو تميم كذا وإن كان الفاعل واحداً منهم، كما يحتمل أن يكون الخطاب لمن كان في زمن موسى ﷺ ويكون تقديره وقلنا لهم:

﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا﴾ والظاهر أنه هو الأولى والله العالم

بمراده.

والدرء لغة الدفع ومنه الحديث: ادروا الحدود بالشبهات، ومنه قوله تعالى: ﴿وَيَذَرُ عَنْهَا الْعَذَابَ﴾ [النور/ ٩] أي ويدفع عنها العذاب، وإنما قال ذلك حيث كانوا قد قتلوا نفساً وكل طائفة منهم تحاول دفع ذلك الدم عن نفسها وتوجيه التهمة إلى غيرها: وشاء الله سبحانه إظهار ما كتبه المجرمون ولذلك قال تعالى: ﴿فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ﴾.

ثم ذكر جل وعلا الحل لاختلافهم في تعيين القاتل بقوله تعالى: ﴿فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُخَيِّ اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾.

والضمير في قوله تعالى: (اضْرِبُوهُ) راجع إلى نفس القاتل، وفي قوله تعالى: (بِبَعْضِهَا) راجع إلى البقرة، وقد تقدم ذكرها في آيات سابقة واختلف المفسرون؟ في هذا البعض الذي ضرب به القاتل اختلافاً كثيراً أي شيء كان من أعضاء تلك البقرة ولكن المعجزة حاصلة وخرق العادة به كائن وقد كان معيناً في نفس الأمر لهم ولو كان في تعيين ذلك البعض فائدة تعود علينا في أمور الدين والدنيا لبينه الله تعالى لنا ولكن الوارد عن بعض أئمة الهدى أن ذلك

البعض من البقرة كان ذنبها كما سيأتي وهو المروي أيضاً عن سعيد بن جبير
 وحينما ضرب ببعض تلك البقرة أحياء الله وقام وأوداجه تشخب دماً فقالوا له :
 من قتلك؟ قال : قتلني ابن عمي فلان . والله جل وعلا وإن كان قادراً على إحيائه
 من دون هذه العملية ، ولكنه أمرهم بذلك لحكم عديدة يأتي بعضها ، ولأنهم
 سألوا موسى ﷺ أن يبين لهم حال القتيل ، وهم كانوا يعدون القربان من أعظم
 القربات إلى الله ، وكانوا جعلوا له بيتاً على حدة لا يدخله إلا خيارهم ، فأمرهم
 الله بتقديم هذا القربان ليكون أقرب إلى الإجابة ، وإنما أمرهم بضرب القتيل
 ببعضها من دون تعيين لوقت خاص ليعلموا ويعلموا غيرهم أن الله سبحانه
 وتعالى قادر على إحياء الأموات في أي وقت شاء سواء كان ذلك الوقت يوم
 القيامة أو قبله .

وفي الآية حذف تقديره ﴿فَقُلْنَا أَضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا﴾ فضربه فحي ، كما قال
 تعالى مخاطباً لموسى ﴿أَضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ﴾ [الشعراء/ ٦٣] تقديره
 فضربه فانفلق ، وكذلك قوله تعالى له : ﴿أَضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ
 اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا﴾ [البقرة/ ٦٠] .

وتقديره أيضاً فضربه فانفجرت منه اثنتا عشرة عيناً ، ولذلك أمثلة أخرى
 كثيرة في القرآن وقوله تعالى : ﴿كَذَلِكَ يُخَيِّ اللَّهُ الْمَوْتَى﴾ يحتمل أن يكون
 حكاية عن قول موسى ﷺ لقومه ، أي اعلموا بما عاينتموه أن الله قادر على
 إحياء الموتى للجزاء ممن ينكر قدرة الله على إحياء الموتى يوم القيامة ،
 وإحياء من شاء إحياءه قبل يوم القيامة بإرجاعه إلى الدنيا وهو الأولى والله
 أعلم بمراده .

وقوله تعالى ﴿وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ﴾ يعني المعجزات الخارقة للعادة من إحياء
 ذلك القتيل وغيره ، وقوله : ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ أي لكي تستعملوا عقولكم إذ أن
 من لم يستعمل عقله لم يبصر رشده فهو كمن لا عقل له .

وفي هذه القصة وغيرها من قصص القرآن الكريم الواقعية دلالة على صدق نبوة نبينا محمد ﷺ حيث أخبرهم بغوامض أخبارهم التي لا يجوز أن يعلمها إلا من قرأ كتب الأولين، أو من أوحى إليه من عند رب العالمين، وقد صدقه مخالفوه من اليهود فيما أخبر به من تلك القصص في حين علموا إنه أمي لم يقرأ كتاباً ولم يرتابوا في ذلك وفي هذه القصة بالخصوص آية صادقة وحجة ساطعة في تثبيت نبوته ﷺ وإثبات قدرة الصانع المتعال على إحياء الموتى يوم القيامة وإحياء أي ميت شاء إحياءه في أي وقت شاء ذلك.

﴿أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَدِيرٍ عَلَىٰ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ۚ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ۚ فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [يس / ٨١ - ٨٣].

الأخبار والأحاديث حول القصة

أولاً: روى القمي في (تفسيره) ج ١ ص ٤٩ بسنده عن أبي عبد الله (الصادق عليه السلام) أنه قال: إن رجلاً من بني إسرائيل وعلمائهم خطب امرأة فأنعمت له، أي قالت له نعم، وخطبها ابن عمٍ لذلك الرجل وكان فاسقاً ردياً فلم ينعموا له، فحسد ابن عمه الذي أنعموا له فقعد له فقتله غيلة، ثم حمله إلى موسى عليه السلام فقال يا نبي الله هذا ابن عمي قد قُتل، قال موسى عليه السلام من قتله؟ قال لا أدري، وكان القتل في بني إسرائيل عظيماً جداً فعظم ذلك على موسى، فأجتمع إليه بنو إسرائيل فقالوا ما ترى يا نبي الله؟ وكان في بني إسرائيل رجل له بقرة وكان له ابن بار وكان عند ابنه سلعة فجاء قومٌ يطلبون سلعته وكان مفتاح بيته تحت رأس أبيه وكان نائماً، وكره ابنه أن ينهبه وينغص عليه نومه فأنصرف القوم ولم يشتروا سلعته فلما انتبه أبوه فقال له: يا بني ماذا صنعت في سلعتك؟ قال: هي قائمة لم أبعها لأن المفتاح كان تحت رأسك فكرهت أن أنهبك

وأنغص عليك نومك قال له أبوه: قد جعلت هذه البقرة لك عوضاً عما فاتك من ربح سلعتك، وشكر الله لابنه ما فعل بابه، وأمر بني إسرائيل أن يذبحوا تلك البقرة بعينها، فلما اجتمعوا إلى موسى وبكوا وضجوا قال لهم موسى عليه السلام: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقْرَةً﴾ فتعجبوا فقالوا: ﴿أَتَتَّخِذُنَا هُزُوءًا﴾ نأتيك بقتيل فتقول اذبحوا بقرة؟ فقال لهم موسى عليه السلام: ﴿أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ فعلموا أنهم قد أخطأوا فقالوا: ﴿قَالُوا اذْغُ لَنَا رَبِّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقْرَةٌ لَا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ﴾ والفارض التي قد ضربها الفحل ولم تحمل، والبكر التي لم يضربها الفحل.

﴿قَالُوا اذْغُ لَنَا رَبِّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْثُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقْرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَوْتُهَا﴾ أي شديدة الصفرة ﴿تَسْرُ النَّظِيرِينَ﴾ ﴿قَالُوا اذْغُ لَنَا رَبِّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَبَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ﴾ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقْرَةٌ لَا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ ﴿أَي لَمْ تَذَلْ﴾ ﴿وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ﴾ أي لا تسقي الزرع ﴿مُسْلَمَةٌ لَا شِبَةَ فِيهَا﴾ أي لا نقط فيها إلا الصفرة، ﴿الْفَنَ جِثَّتْ بِالْحَقِّ فَذَبْحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ﴾ هي بقرة فلان فذهبوا ليشتروها فقال: لا أبيعها إلا بملء جلدها ذهباً، فرجعوا إلى موسى فأخبروه فقال لهم موسى عليه السلام لا بد لكم من ذبحها بعينها بملء جلدها ذهباً فذبحوها ثم قالوا: ما تأمرنا يا نبي الله؟ فأوحى الله تعالى إليه: قل لهم اضربوه ببعضها وقولوا: مَنْ قَتَلَكَ؟ فأخذوا الذنب فضربوه به وقالوا مَنْ قَتَلَكَ يَا فلان: فقال فلان بن فلان ابن عمي الذي جاء به وهو قوله تعالى: ﴿فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُخَيِّ اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ ءَايَتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [الآية من سورة البقرة/ ٧٣].

نقل الحديث عن القمي بسنده المجلسي في (البحار) ج ١٣ ص ٢٥٩، والمولى محسن الفيض في (تفسيره) والطبسي في كتابه (الشيعة والرجعة) ج ٢ ص ٥٥، والحر العاملي في (الإيقاظ) ص ١٣٧، ونقله عن الإمام الصادق عليه السلام

الطبرسي في تفسيره (مجمع البيان) م ١ ص ١٣٥ مختصراً كما نقله عن القمي السيد نعمة الله الجزائري في (قصص الأنبياء) ص ٢٢٢ ، ونقله عن القمي الشيخ علي البهادلي في كتابه (فلسفة الشهادة) ص ١٠٥ .

ثانياً: روى العياشي في (تفسيره) ج ١ ص ٤٧ بسنده والصدوق في (عيون أخبار الرضا عليه السلام) ج ٢ ص ١٣ مستنداً عن أحمد بن محمد بن محمد بن أبي نصر البزنطي قال: سمعت أبا الحسن الرضا عليه السلام يقول: إن رجلاً من بني إسرائيل قتل قرابة له ثم أخذه فطرحه على طريق أفضل سبط من أسباط بني إسرائيل، ثم جاء يطلب بدمه فقالوا لموسى عليه السلام إن سبط آل فلان قتل فلاناً، فأخبرنا من قتله؟ فقال: اتوني ببقرة ﴿أَتَلَخِدُنَا هُزُؤًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ قال: ولو عمدوا إلي أي بقرة اجزأتهم ولكن شدّدوا فشّد الله عليهم ﴿قَالُوا أَدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ﴾ يعني لا صغيرة ولا كبيرة ﴿عَوَانُ بَيْنَ ذَلِكَ﴾ ولو أنهم عمدوا إلى أي بقرة اجزأتهم ولكن شدّدوا فشّد الله عليهم ﴿قَالُوا أَدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْئَهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَوْنُهَا تَسُرُّ النَّظِيرِينَ﴾ ولو أنهم عمدوا إلى أي بقرة اجزأتهم ولكن شدّدوا فشّد الله عليهم ﴿قَالُوا أَدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَبَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ﴾ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا ذُلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلِّمَةٌ لَا شِيَةَ فِيهَا قَالُوا الْفَنَ جِثَّتْ بِالْحَقِّ ﴿فطلبوها فوجدوها عند فتى من بني إسرائيل، فقال لا أبيعها إلا بملء مسكها ذهباً (أي بملء جلدها ذهباً) فجاءوا إلى موسى فقالوا له ذلك: قال فاشتروها وجاءوا بها فأمر بذبحها ثم أمر أن يضرب الميت بذنبها، فلما فعلوا ذلك حى المقتول: وقال يا رسول الله إن ابن عمي قتلني دون من يدعي عليه قتلي، فعلموا بذلك قاتله قال فقال لرسول الله موسى بعض أصحابه، وفي نص قال موسى لبعض أصحابه إن هذه البقرة لها نأ فقال: ما هو؟ قال: إن الفتى من بني إسرائيل كان باراً بأبيه وأنه اشترى بيعاً فجاء إلى أبيه والأقاليد (أي

المفاتيح) تحت رأسه فكره أن يوقظه فترك ذلك البيع فاستيقظ أبوه فأخبره، فقال أحسنت خذ هذه البقرة فهي لك عوضاً لما فاتك: قال: فقال لهما رسول الله موسى ﷺ انظروا إلى البر ما بلغ بأهله، وفي نص انظروا ما صنع البر به، ونقله عن العياشي والصدوق المجلسي في (البحار) ج ١٣ ص ٢٦٢ - ٢٦٣، ونقله عن العياشي الطبرسي في تفسيره (مجمع البيان) م ١ ص ١٣٤، ونقل بعض فقرات الحديث المولى محسن الفيض عن العياشي والصدوق عن الإمام الرضا ﷺ وكذلك الجزائري في (قصص الأنبياء) ص ٢٢٣، عن أبي الحسن الرضا ﷺ ونقل الحديث الطبرسي في (الشيعة والرجعة) ج ٢ ص ٥٧، نقلاً عن (مجمع البيان) عن العياشي، ونقله الحر العاملي في (الإيقاظ) ص ١١٣ عن الصدوق في (العيون): ورواه البحراني في تفسيره (البرهان) ج ١ ص ١٠٥ كما في حاشية العياشي، ونقله الطباطبائي في تفسيره (الميزان) ج ١ ص ٢٠٦، عن الصدوق والعياشي.

ثالثاً: نقل المجلسي في (البحار) ج ١٣ ص ٢٧٧ عن السيد بن طاووس أنه قال في كتاب (سعد السعود) وجدت في تفسير منسوب إلى أبي جعفر الباقر ﷺ أنه قال وأما قول الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً﴾ فذلك أن رجلين من بني إسرائيل وهما أخوان وكان لهما ابن عم أخ أبيهما وكان غنياً مكثراً، وكانت لهما ابنة عمٍ حسناء شابة كانت مثلاً في بني إسرائيل بحسنها وجمالها خافا أن ينكحها ابن عمهما ذلك الغني فعمدا فقتلاه فاحتملاه فألقياه إلى جانب قرية ليبروا منه، وأصبح القتل بين ظهرائهم فلما غمّ عليهم شأنه ومن قتله قال أصحاب القرية الذين وجد عندهم: يا موسى أدع الله لنا أن يُطلع على قاتل هذا الرجل، ففعل موسى ثم ما ذكره الله جل جلاله في كتابه، وقال ما معناه أنهم شددوا فشدّد الله عليهم، ولو ذبحوا في الأول أي بقرة كانت كافية، فوجدوا البقرة لامرأة فلم تبعها لهم إلا بملء جلودها ذهباً، وضربوا المقتول ببعضها، فعاش فاخبرهم بقاتليه فأخذوا فقتلوا فأهلكا في الدنيا، وهكذا يقتلها

ربنا في الآخرة (سعد السعود/ ١٢١ - ١٢٢) كما في حاشية (البحار)، يبدو في الظاهر إن اختلافاً حاصلًا بين هذا الحديث والحديثين السابقين، حيث أن الحديثين نصا على أن البقرة لفتى بارٍ بوالديه كما تنص على ذلك أحاديث أخر في الموضوع أيضاً من طرق عديدة، بينما هذا الحديث ينص على أن البقرة كانت لامرأة وأنها لم تبعها إلا بملء جلودها ذهباً.

وقد جاء في أحاديث أخر أن البقرة كانت لشاب من بني إسرائيل وأنه جعل الخيار في سعرها بيد أمه إطاعة لها، ومن هنا يمكن أن يكون الجمع بين هذه الأحاديث كلها هو أن البقرة للفتى وأنه قد جعل الخيار في سعرها بيد أمه فحينئذ قد يصح أن يقال: إنها للمرأة نظراً إلى أن بيعها كان بتوجيه منها وإنها لم تقبل ببيعها إلا بملء جلودها ذهباً والله العالم بحقيقة الأمر وما ذكرناه من الأحاديث من طريق أئمة الهدى، والتي تنص على أن القتل لما ضرب ببعض البقرة أحياء الله تعالى، وفي بعضها أنه سأل الله عز وجل أن يبقيه في الدنيا متمتعاً في حياته مع ابنة عمه إلى سبعين سنة إضافة إلى سنه السابقة، وأما الأحاديث الواردة من غير طريق أهل البيت عليهم السلام فهي أيضاً كثيرة نذكر بعضها روماً للاختصار.

رابعاً: قال السيوطي في تفسيره (الدر المنثور) ج ١ ص ٧٦: قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ﴾ الآية: وأخرج ابن أبي الدنيا في كتاب (مَن عاش بعد الموت) عن ابن عباس قال: كانت مدينتان في بني إسرائيل وأحدهما حصينة ولها أبواب والأخرى خربة فكان أهل المدينة الحصينة إذا أمسوا أغلقوا أبوابها فإذا أصبحوا قاموا على سور المدينة فنظروا هل حدث فيما حولها حادث، فأصبحوا يوماً فإذا شيخ قتيل مطروح بأصل مدينتهم فأقبل أهل المدينة الخربة فقالوا: قتلتم صاحبنا، وابن أخ له شاب يبكي عليه ويقول قتلتم عمي، فقالوا: والله ما فتحنا مدينتنا منذ أغلقناها وما لدينا من دم صاحبكم هذا (علم)،

فأتوا موسى فأوحى الله إلى موسى ﷺ ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقْرَةً ﴾ إلى قوله: ﴿ فَذَبْحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ ﴾ قال: وكان في بني إسرائيل غلام شاب يبيع في حانوت له وكان له أب شيخ كبير، فأقبل رجل من بلد آخر يطلب سلعة له عنده فأعطاه بها ثمناً فأنطلق معه ليفتح حانوته فيعطيه الذي طلب والمفتاح مع أبيه فإذا أبوه نائم في ظل الحانوت فقال (أي المشتري): أيقظهُ، فقال ابنه: أنه نائم وأنا أكره أن أروعه من نومته، فانصرفا فأعطاه ضعف ما أعطاه على أن يوقظه فأبى، فذهب طالب السلعة فاستيقظ الشيخ فقال له ابنه: يا أبت والله لقد جاء رجل يطلب سلعة كذا فأعطى بها من الثمن كذا وكذا فكرهت أن أروعه من نومك فلامه الشيخ، فعوضه الله من بره بوالده أن نتجت من بقرة تلك البقرة التي يطلبها بنو إسرائيل فأتوه فقالوا له: بعناها فقال: لا: قالوا: إذن نأخذها منك فأتوا موسى فقال: اذهبوا فأرضوه من سلعته، قالوا: حكمك: قال حكمي أن تضعوا البقرة في كفة الميزان وتضعوا ذهباً صامتاً في الكفة الأخرى فإذا مال الذهب أخذته، ففعلوا وأقبلوا بالبقرة حتى انتهوا بها إلى قبر الشيخ واجتمع أهل المدينتين فذبحوها فضرب ببضعة منها القبر فقام الشيخ ينفض رأسه يقول: قتلني ابن أخي طال عليه عمري وأراد أخذ مالي، ومات.

وقريب من هذا الحديث ذكره ابن كثير الدمشقي في تفسيره وبسنده عن ابن عباس أيضاً، راجع ج ١ ص ١٠٨.

خامساً: قال السيوطي في تفسيره (الدر المنثور) ج ١ ص ٧٦، وأخرج عبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والبيهقي في سننه عن عبدة السلماني قال: كان رجل من بني إسرائيل عقيماً لا يولد له، وكان له مال كثير، وكان ابن أخيه وارثه فقتله ثم أحتمله ليلاً فوضعه على باب رجل منهم، ثم أصبح يدعيه عليهم حتى تسلحوا وركب بعضهم إلى بعض، فقال ذوو الرأي منهم علام يقتل بعضكم بعضاً وهذا رسول الله فيكم؟ فأتوا موسى

فذكروا ذلك له فقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقْرَةً قَالُوا أَنْتَخِذْنَا هُزُؤًا قَالَ
أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ قال فلو لم يعترضوا لاجزأت منهم
أدنى بقرة ولكنهم شددوا فشدد الله عليهم حتى انتهوا إلى البقرة التي أمروا
بذبحها فوجدوها عند رجل ليس له بقرة غيرها، فقال والله لا أنقصها من
ملء جلدها ذهباً، فذبحوها فضربوه ببعضها فقام (حياً) فقالوا: مَنْ قَتَلَكَ؟
فقال: هذا (مشيراً) لابن أخيه ثم مال ميتاً، فلم يعط من ماله شيئاً ولم يورث
قاتل بعده.

ونقله ابن كثير في تفسيره ص ١٠٨ عن عدة مصادر عن عبيدة السلماني
كما نقله شيخنا الطوسي في تفسيره (التبيان) ج ١ ص ٣٠٤ عن ابن سيرين عن
أبي عبيدة السلماني.

سادساً: قال الفخر الرازي في (تفسيره) ج ١ ص ٣٧٤: روى عن ابن
عباس، وسائر المفسرين: أن رجلاً في بني إسرائيل قتل قريباً له لكي يرثه ثم
رماه في مجمع الطريق ثم شكى ذلك إلى موسى عليه السلام فاجتهد موسى في تعرف
القاتل فلما لم يظهر قالوا له: سل لنا ربك حتى يبينه فسأله فأوحى الله إليه أن الله
يأمركم أن تذبحوا بقرة: فتعجبوا من ذلك ثم تشددوا على أنفسهم في الاستفهام
حالاً بعد حال، واستقصوا في طلب الوصف فلما تعين لم يجدوها بعد النعت
إلا عند إنسان معين ولم يبيعها إلا بأضعاف ثمنها، فاشتروها وذبحوها وأمرهم
موسى أن يأخذوا عضواً منها فيضربوا به القاتل ففعلوا، فصار المقتول حياً
فسمى لهم قاتله وهو الذي ابتداء بالشكاية فقتلوه فوراً.

نعم هكذا، إن الله لا يجوزه ظلم ظالم عاجلاً أم آجلاً ﴿إِنَّ رَبَّكَ لِبِالْمِرْصَادِ﴾
[الفجر/ ١٤].

خامساً: قصة إبراهيم عليه السلام في إحياء الطيور

ومن الآيات التي صرحت بوقوع الرجعة إلى الدنيا بعد الموت قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أُولَئِمُتُؤْمِنُ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قُلُوبُكَ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ أَجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ أَذْغُهْنَّ يَأْتِيَنَّكَ سَعْيًا وَاعْلَمَنَّ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [البقرة / ٢٦٠].

تفسير الآية الكريمة وتدبر مفادها

من المعلوم أن هذه الآية الكريمة من الآيات القرآنية الكثيرة الدالة دلالة واضحة على إمكانية الرجعة إلى الدنيا في أي وقت أراد الباري المتعال إيقاعها، وأن ذلك ليس عليه بعزيز، وأنها قد وقعت بالفعل بالنسبة إلى الطيور الأربعة بحيث أن إبراهيم عليه السلام قد شاهد إحياءها عياناً كما سيأتي تفصيل ذلك إن شاء الله في الأحاديث والأخبار والآية الكريمة نفسها تدل على ذلك، كما أنها تدل على صحة العقيدة بالبعث يوم القيامة.

والآية الكريمة حكى الله فيها سؤال إبراهيم ربّه أن يريه كيف يحيي الموتى حيث قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى﴾ أي واذكروا إذ قال إبراهيم ذلك، والتذكير للنبي ﷺ وأمته، ومن المعلوم أيضاً المقطوع به أن أنبياء الله عامة وخصوصاً مثل النبي الجليل إبراهيم الخليل الذي هو من سادات النبيين والمرسلين، ومن أولي العزم، والذي قال الله عز من قائل في شأنه: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ﴾ [الأنبياء / ٥١]، وقال في علوِّ مقامه ﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِىٰ إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمٰوٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ﴾ [الأنعام / ٧٥]، والإيقان هو أسمى مراتب العلم، فهو إذاً - بالقطع واليقين - يعلم وكل الأنبياء يعلمون علم اليقين بقدرة

الله على إحياء الموتى في يوم القيامة وقبله وفي أي وقت شاء ذلك، وهذا لا ريب فيه لكل مؤمن بالله وأنبيائه واليوم الآخر إذا لَمْ سأل إبراهيم مثل هذا السؤال؟ وما هو السبب في ذلك؟

قبل الجواب عن سبب أو أسباب هذا السؤال يلزمنا إلفات النظر إلى أن إبراهيم عليه السلام إنما سأل الله بلفظ (كيف) وإنما يستقيم السؤال بكيف عن خصوص وجود الشيء لا عن أصل وجوده، مثلاً إذا قلت: رأيت كان معنى السؤال عن تحقق أصل الرؤية، وإذا قلت كيف رأيت زيداً كان أصل الرؤية مفرغاً عنده وإنما السؤال عن خصوصيات الرؤية فإبراهيم إنما سأل ليُشاهد كيفية الإحياء لا أصل الإحياء الذي كان محققاً عنده ومعلومًا لديه وهذا هو الظاهر من النص في الآية الكريمة، ويؤيده ما ورد عن الإمام الصادق عليه السلام في قوله تعالى: ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى﴾ قال:

وهذه آية متشابهة، ومعناها أنه سأل عن الكيفية والكيفية من فعل الله متى لم يعلمها العالم لم يلحقه عيب، ولا عرض في توحيده (الله) نقص.. الخ. راجع (معاني الأخبار) للصدوق ص ١٢٨، ونقله عنه المجلسي في (البحار) ج ١٢ ص ٦٩، والطباطبائي في (الميزان) ج ٢ ص ٤٠٠.

أما الجواب عن سبب سؤال إبراهيم ذلك فقد ذكر المفسرون والمحدثون لذلك عدة أجوبة نستعرضها لك مع إعطاء النتيجة.

أحدها: ما قاله الحسن، والضحاك، وقتادة، وهو المروي عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام إن إبراهيم رأى جيفة تمزقها السباع، وتأكل منها سباع البر وسباع الهواء ودواب البحر وعلى أثر ذلك سأل الله تعالى قائلاً: يا رب قد علمت إنك تجمعها من بطون السباع، والطيور، ودواب البحر فأرني كيف تحييها لأعاین ذلك.

وثانيها: أن سبب السؤال منازعة نمرود إياه إذ قال: أنا أحي وأميت

وأطلق نمرود بالفعل محبوساً، وقتل آخرأ، فقال له إبراهيم عليه السلام ليس هذا بإحياء، وإن كنت صادقاً فأحيي الذي قتلته، وقال: يا رب أرني كيف يحيي الموتى ليعلم نمرود ذلك، وينكشف له ولأتباعه، وروي أن نمرود توعدّه بالقتل إن لم يحيي الله الميت بحيث يشاهده، فلذلك قال: ﴿وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾ أي بنجاتي، وأن لا يقتلني الجبار.

وهذا منقول عن محمد بن إسحاق بن يسار والقاضي.

وثالثها: ما قاله قوم آخرون وهو قريب من الثاني أنه سأل ذلك لقومه لا نفسه، كما سأل موسى عليه السلام الروية لقومه والمقصود أن يشاهد قومه فتزول الشبهات عن قلوبهم، ويؤيده ما روى عن الحسن قال: سأل إبراهيم عليه السلام ربه أن يريه كيف يحيي الموتى وذلك ممّا لقي من قومه من الأذى، فدعا ربه عند ذلك ممّا لقي منهم من الأذى فقال: ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى﴾ راجع (الدر المنثور) ج ١ ص ٣٣٤ للسيوطي قال: أخرجه ابن أبي حاتم.

ورابعها: ما روي عن ابن عباس، وسعيد بن جبیر، والسدي، وذكره جماعة من المفسرين: أن ملكاً قال لإبراهيم عليه السلام، وفي نص: أن الله أوحى إليه أني متخذ بشراً خليلاً وفي نص: متخذ من عبادي خليلاً، فاستعظم ذلك إبراهيم عليه السلام وقال: إلهي ما علاقة ذلك؟ فقال: علاقته أنه يحيي الميت بدعائه، فلما عظم مقام إبراهيم في درجات العبودية لله وأداء الرسالة خطر بباله: لعلني أنا أكون ذلك الخليل، فلذلك سأل عن كيفية إحياء الموتى، فقال الله: ﴿أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَىٰ وَلَكِنَّ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾ على أنني خليل لك، وقريب من هذا وارد عن الإمام الرضا عليه السلام وسيأتي حديثه بنصه.

وخامسها: أنه أحب أن يعلم ذلك علمَ عيان بعد أن كان عالماً به من جهة الاستدلال والبرهان لتزول الخواطر النفسية ووساوس الشيطان وإلى هذا يشير

حديث وارد عن الإمام الصادق عليه السلام وسيأتي ذكره بنصه بإذن الله وكذا غيره من الأحاديث.

وسادسها: ما قاله البعض: أنه إنما سأل ذلك لأنه كان شاكاً فيه^(١) ورووا فيه رواية عن أبي هريرة رواها البخاري، ومسلم في صحيحهما ونقلها عنهما وعن غيرهما بعض المفسرين كالسيوطي في (الدر المنثور) ج ١ ص ٣٣٥، والدمشقي في (تفسيره) ج ١ ص ٣١٥ وهذه الرواية ناقشها وأبطلها بالأدلة القاطعة سيدنا السيد عبد الحسين شرف الدين في كتابه القيم الشهير (أبو هريرة) فراجع ص ٩٨ - ١٠٥، لتعرف الحقيقة.

فهذا الوجه السادس باطل بلا ريب، لأن الشك في أن الله قادر على إحياء الموتى كفرٌّ به لا يجوز على الأنبياء لأنه تعالى لا يجوز أن يبعث إلى خلقه من هو جاهل بما يجوز وما لا يجوز، ومن نسب الشك إليهم صلوات الله عليهم فقد ضل ضلالاً مبيناً.

وبطلان هذا الرأي يمكن أن يفهم من نفس الآية الكريمة حيث أنه عليه السلام لما قال: ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى﴾ وحيث أن مثل هذا السؤال قد يوهم البعض أنه لم يكن متيقناً، لذا قرره الله عز وجل بسؤاله (أَوَلَمْ تُؤْمِنْ) مع علمه بسرّه وحاله ليكون جوابه إسقاطاً للتهمة عنه وتنزيهاً له من الشك، وهو من باب (وكم سائل عن أمره وهو عالم) وبالفعل أجاب إبراهيم بقوله: (بلى) وكلمة بلى برة يُردّ بها النفي ولذلك ينقلب بها النفي إثباتاً، كقوله تعالى مخاطباً أرواح بني آدم في عالم الذر: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى﴾، [الأعراف/ ١٧٢]. ولو قالوا: نعم لكان كفراً فتبين بذلك أنه كان عارفاً بالإحياء مصداقاً به، وإنما سأل لزيادة

(١) راجع الأجوبة في (تفسير التبيان) للطوسي، ج ٢ ص ٣٢٦، و(مجمع البيان) للطبرسي ١ ص ٣٧٢، و(مفاتيح الغيب) للرازي ج ٢ ص ٣٣١، و(البحار) للمجلسي ج ١٢ ص ٦٤، والطبري في (تفسيره) ج ٣ ص ٣٢.

اليقين ودفع الشبهات عن النفس وليكون بذلك من الموقنين .

وجاء في تفسير العياشي ج ١ ص ١٤٣ عن علي بن أسباط أن أبا الحسن الرضا عليه السلام سئل عن قوله تعالى : ﴿ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِنَّ لِيَظْمِنَ قَلْبِي ﴾ أكان في قلبه شك؟ قال : لا ولكنه أراد الزيادة في يقينه . الخ .

ونقله عن العياشي المجلسي في (البحار) ج ١٢ ص ٧٣ ، والبحراني في تفسيره (البرهان) ج ١ ص ٢١٥ على ما في حاشية العياشي كما نقله أيضاً الطباطبائي في تفسيره (الميزان) ، ونقله عن العياشي ، وعن كتاب (المحاسن) المولى محسن الفيض في تفسيره .

وروى الكليني في (الكافي) على ما نقل عنه المجلسي في (البحار) ج ١٢ ص ٦٣ بسنده عن الحسين بن الحكم قال : كتبت إلى العبد الصالح (أي موسى بن جعفر عليه السلام) أخبره أنني شاك ، وقد قال إبراهيم عليه السلام ﴿ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُخَيِّمُ الْمَوْتَى ﴾ وأناي أحب أن تريني شيئاً ، فكتب عليه السلام ، إليّ ، أن إبراهيم كان مؤمناً وأحب أن يزداد إيماناً وأنت شاك والشاك لا خير فيه .

ونقل هذا المعنى عن الكافي عن الصادق ، وعن العبد الصالح عليه السلام الطباطبائي في (الميزان) ج ٢ ص ٤٠٠ والبهادلي في فلسفة الشهادة ص ١٠٢ .

فاتضح بكل ما تقدم بطلان الوجه السادس من الأساس ، وأما الوجوه الأخرى الخمسة فلا يبعد صحتها كلها أو أكثرها ، ولا سيما الواردة منها عن أئمة الهدى عليهم السلام فإن الجمع بينها ممكن ولا مانع منه خصوصاً إذا علمنا أن لكلام الله وكلام رسله وأنبيائه وأفعالهم أهدافاً وحكماً عديدة ، والغرض منها الهداية العامة للجميع ، ومن هنا كان الجواب من الله عملية أخذ الطيور وتقطع أجزائهن ووضع كل جزء منهن على جبل ليشاهد إبراهيم عليه السلام وقومه ذلك ، حتى تكون المشاهدة زيادة يقين لبعض ، وإزالة الشبهات والشكوك للبعض الآخر ، وإقامة الحجة الواضحة على آخرين وكل ذلك تربية من رب العالمين ،

لذا ﴿ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ أَجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ أَدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ﴾ .

وحين قام إبراهيم عليه السلام بهذه العملية التي أمره الله بامثالها، قطعاً ما قام بها إلا أمام أكبر عدد ممكن من أمته لتحقيق تلك الأهداف السامية التي أشرنا إليها.

وأنواع الطيور التي أخذها إبراهيم عليه السلام سيأتي الكلام عنها في عرض الأحاديث والأخبار الواردة فيها، وقد كانت مختلفة الأجناس، وإنما خص الطير من بين سائر الحيوان لخاصية الطيران، ولأنه أقرب إلى الإنسان وأجمع لخواص الحيوان.

وقوله تعالى: ﴿ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ﴾ أي الطيور اجمعهن إليك فقطعهن، وحذفت جملة (فقطعهن) لدلالة الكلام عليها لأن قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ أَجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ﴾ يدل على التقطيع، وكانت الجبال عشرة باتفاق أحاديث أهل البيت عليه السلام ﴿ ثُمَّ أَدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ﴾ أي أدعو تلك الطيور بعد تقطيعهن وتوزيع أجزائهن فإنهن سيأتينك سعيًا كما كنَّ قبل التقطيع والتوزيع، وبذلك تتضح الحقيقة للجميع قال الرازي في (تفسيره) ج ١ ص ٣٣٣: أجمع أهل التفسير على أن المراد بالآية قطعهن وأن إبراهيم عليه السلام قطع أعضائها ولحومها وريشها ودماءها وخلط بعضها على بعض وقوله تعالى في خاتمة الآية ﴿ وَأَعْلَمَ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ أي أنه عزيز لا يفقد شيء بزواله عنه، وقوي لا يعجز عن شيء، وحكيم في أفعاله لا يفعل شيئاً إلا من طريقه اللائق به فهو جلّ وعلا يوجد الأجساد بإحضار الأرواح وإيجادها ذلك لأنَّ أجسادها تابعة لأرواحها لا بالعكس، والأرواح كلها بيد خالقها الواحد القهار لا بيد غيره قال عزّ شأنه: ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [الإسراء/٨٦].

الأخبار والأحاديث حول القصة

١ - جاء في حديث مسند عن أبي بصير عن الإمام أبي عبد الله الصادق عليه السلام يقول فيه: إن إبراهيم عليه السلام لما أرى ملكوت السماوات والأرض، التفت فرأى جيفة على ساحل البحر بعضها في الماء وبعضها في البر تجيء سباع البحر فتأكل ما في الماء ثم ترجع فيشتمل بعضها على بعض فيأكل بعضها بعضاً، ويجيء سباع البر فيأكل ما في البر فتأكل منها فيشتمل بعضها على بعض فيأكل بعضها بعضاً فعند ذلك تعجب إبراهيم عليه السلام مما رأى و﴿قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى﴾ أي هذه أمم يأكل بعضها بعضاً كيف يخرج ما تناسخ ﴿أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمِئِنَّ قُلُوبِي﴾ حتى أرى كما رأيت الأشياء كلها، قال خذ أربعة من الطير فقطعهن وأخلطهن كما اختلطت هذه الجيفة في هذه السباع التي أكلت بعضها بعضاً ﴿ثُمَّ أَجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا﴾ فلما دعاهن أجبنه وكانت الجبال عشرة.

وفي نص أخذ إبراهيم الطاووس والديك، والحمام والغراب، وقال الله عز وجل (فَصُرُّهُنَّ إِلَيْكَ) أي قطعهن ثم اخلط لحمهن وفرقها على عشرة جبال ثم خذ مناقيرهن وأدعهن يأتينك سعياً، ففعل إبراهيم ذلك وفرقهن على عشرة جبال ثم دعاهن فقال: أجيبيني بإذن الله تعالى، فكان يجتمع ويتألف لحم كل واحد وعظمه إلى رأسه، وطارت إلى إبراهيم، فعند ذلك قال إبراهيم: ﴿إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (راجع تفسير العياشي ج ١ ص ١٤٢ ونسبه المعلق في حاشيته إلى الكليني في الكافي أيضاً، ورواه بسنده القمي في تفسيره ج ١ ص ٩١ ونقله المجلسي في (البحار) ج ١٢ ص ٦١ عن العياشي وص ٦٥ عن القمي، و(علل الشرائع) للصدوق، تجده ص ٥٨٦ باب ٣٨٥ من كتاب العلل، ونقله أيضاً المولى محسن الفيض في تفسيره (الصافي) عن الكليني في (الكافي)،

ويرويه أيضاً البحراني في تفسيره (البرهان) ج ١ ص ٢٥١ على ما في حاشية العياشي، ونقله عن القمي، والعياشي الطباطبائي في (الميزان) ج ٢ ص ٤٠٠، ونقله الطبرسي عن القمي ٨٣، كما نقله عن القمي الحر العاملي في (الإيقاظ) ص ١٣٨، وروى بعض الحديث عن الصادق عليه السلام الطبرسي في (مجمع البيان) ج ١ ص ٣٧٣ وبمعنى هذا الحديث مروي أيضاً من طرق العامة عن ابن عباس وقتادة وغيرهما كما سيأتي إن شاء الله.

دفع شبهة الآكل والمأكول

وهذا الحديث يدل على أن الشبهة التي دعت إبراهيم عليه السلام أن يسأل ربه بقوله: ﴿أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى﴾ هي ما رآه من تفريقه أجزاء الجسد الواحد بعد الموت تفريقاً يؤدي إلى تغير تلك الأجزاء، وانتقالها إلى أجساد مختلفة وأمكنة متنوعة بحيث لا يبقى معها من الأصل شيء.

والظاهر أن هذه الشبهة (الآكل والمأكول) حيث اشتمل الحديث على وثوب بعض الحيوانات على بعض، وأكل بعضها بعضاً، ثم فرّع الحديث على ذلك تعجب إبراهيم عليه السلام وسؤاله وربما تكون الشبهة هنا شبهتان أحدهما تفرق أجزاء الجسد الواحد وفناء أصلها من الصور والأعراض، وهنا قد يقال: إذاً كيف تتميز تلك الأجزاء وتركبها، الحياة؟ وثانيها صيرورة أجزاء بعض الحيوانات جزءاً من أجساد بعض آخر مما يؤدي بالتالي إلى استحالة إحياء الحيوانين ببدنهما تامين معاً، وهذه هي شبهة الآكل والمأكول والذي أجاب الله سبحانه به وهو ما معناه تبعية البدن للروح لا بالعكس هذا المعنى كان كافياً ووافياً لدفع الشبهتين معاً.

وإيضاح ذلك وبيانه هو أن الله أمر إبراهيم عليه السلام أن يأخذ أربعة من الطير ليعرفها تماماً حتى لا يشك فيها بعد إعادة الحياة إليها ولا ينكرها، وليرى ما هي عليه من الاختلاف والتمييز بعضها عن بعض قبل تقطيعها ثم أمره ثانياً بتقطيعهن

بعد ذبحهن بحيث كلها تصير كعجينة واحدة مكونة من أربعة طيور مختلفة، ثم أمره ثالثاً أن يجعلها أجزاءً وأن يجعل على كل جبل منهن جزءاً لتتباع تلك الأجزاء بتباعد الجبال بعضها عن بعض، والجبال كانت عشرة باتفاق روايات أهل البيت عليهم السلام والأجزاء - طبعاً - غير متميزة بل مخلوطة من الجميع، ثم أمره رابعاً أن يدعهن إليه بأن ينادي الطيور كل طير بنوعه: يا طاووس، يا حمام، وهكذا بقية تلك الطيور الأربعة ثم أخبره جلّ وعلا خامساً أنهم سيأتينك سعيّاً، أي يتجسّدن ويتصفن بالإتيان والإسراع إليك كما كن أولاً، وهذا ما قام به إبراهيم عليه السلام بالفعل امتثالاً لأمر ربه وحين دعاهن بإذن الله جعل سبحانه إتيانهن سعيّاً وهو إيداع الحياة فيهن مشاهد له، ورأى كيفية فيضان الأمر بالحياة على تلك الأجزاء المتباعدة والمختلطة من الله العزيز الحكيم الذي تترشح منه حياة الأحياء كلها.

ومن هنا اتضح لنا أن أجساد الطيور كانت تابعة لأرواحها لا بالعكس لأن البدن فرع تابع للروح وبها حياته، قال أمير المؤمنين عليه السلام في بعض كلماته القصار: الروح حياة البدن، والعقل حياة الروح.

فالله سبحانه إذا أوجد حياً من الأحياء أو أعاد الحياة إلى أجزاء مسبقة بالحياة فإنما يتعلق بإيجادها بالروح الواجدة للحياة أولاً ثم تتبعها أجزاء المادة بروابط محفوظة عنده سبحانه وتعالى لا نحيط بها علماً، قال تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾ ثم يقول: ﴿وَمَا أُوْتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [سورة الإسراء/ ٨٦].

والخلاصة يتعين الجسد بتعيين الروح من غير فصل ولا مانع وبذلك يشعر قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا﴾ أي مسرعات مستعجلات، وبذلك اندفعت الشبهتان معاً، شبهة تفرق الأجزاء وتغيرها، وشبهة انتقالها إلى أجساد مختلفة التي هي شبهة (الآكل والمأكول) والحمد لله رب العالمين

الذي يحي ويميت ويميت ويحي وهو حي لا يموت بيده الخير وهو على كل شيء قدير .

والآن نعود لاستعراض الأخبار والأحاديث .

٢ - وجاء في حديث آخر مسند عن صالح بن سهيل الحمداني عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام في قوله تعالى : ﴿ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا ﴾ الآية فقال : أَخَذَ الْهَدَّهْدَ وَالصَّرْدَ ^(١) وَالطَّائِرَ وَالغُرَابَ فَذَبَحَهُنَّ وَعَزَلَ رُؤُوسَهُنَّ ثُمَّ نَحَرَ أَبْدَانَهُنَّ بِالْمِنْحَازِ (أي دق أبدانهم بالهاون) بَرِيشَهُنَّ وَلَحُومَهُنَّ وَعِظَامَهُنَّ حَتَّى اخْتَلَطَتْ ، ثُمَّ جَزَأَهُنَّ عَشْرَةَ أَجْزَاءَ عَلَى عَشْرَةِ جِبَالٍ ، ثُمَّ وَضَعَ عِنْدَهُ حَبًّا وَمَاءً ثُمَّ جَعَلَ مَنَاقِيرَهُنَّ بَيْنَ أَصَابِعِهِ ثُمَّ قَالَ : أَتَيْنِي سَعِيًّا بِإِذْنِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فَتَطَايَرَتْ بَعْضُهُنَّ إِلَى بَعْضِ اللَّحُومِ وَالرِّيشِ وَالْعِظَامِ حَتَّى اسْتَوَتْ بِالْأَبْدَانِ كَمَا كَانَتْ وَجَاءَ كُلُّ بَدَنٍ حَتَّى التَّرَقُّ بِرَقَبَتِهِ الَّتِي فِيهَا الْمَنْقَارُ ، فَخَلَّى إِبْرَاهِيمُ عَنْ مَنَاقِيرِهَا فَوَقَعْنَ وَشَرِبْنَ مِنْ ذَلِكَ الْمَاءِ ، وَالتَّقَطْنَ مِنْ ذَلِكَ الْحَبِّ ، ثُمَّ قُلْنَ يَا نَبِيَّ اللَّهِ أَحْيَيْتُنَا أَحْيَاكَ اللَّهُ ، فَقَالَ : بَلِ اللَّهُ يَحْيِي وَيُمِيتُ ، الْحَدِيثُ .

رواه العياشي في (تفسيره) ج ١ ص ١٤٥ ، ونقله عنه البحراني في تفسيره (البرهان) ج ١ ص ٢٥٣ على ما في حاشية العياشي ، والمولى محسن الفيض في تفسيره نقلاً عن العياشي والصدوق في (الخصال) وقد رواه الصدوق في الخصال باب الأربعة ص ٢٦٤ ج ١ ، ونقله عنه المجلسي في (البحار) ج ١٢ ص ٦٣ ، ونقله عن الصادق عليه السلام البهادلي في كتابه (فلسفة الشهادة) ص ١٠٢ ، وأشار إليه الطباطبائي في (الميزان) ج ٢ ص ٤٠ .

٣ - ما رواه العياشي في تفسيره ج ١ ص ١٤٣ عن معروف بن خربوذ أنه

(١) الصرد : طائر فوق العصفور يصيد العصافير .

قال: سمعت أبا جعفر (أي الباقر عليه السلام) يقول: إن الله لما أوحى إلى إبراهيم عليه السلام أن خذ أربعة من الطير، عمد إبراهيم فأخذ النعامة والطاووس والوزة (والوزة لغة من الأوز وهو البط) والديك فنتف ريشهن بعد الذبح ثم جعلهن في مهراسة (أي هاون) فهرسهن، ثم فرقهن على جبال الأرض وكانت عشرة جبال فوضع على كل جبل منهن جزءاً ثم دعاهن بأسمائهن فأقبلن إليه سعيّاً، يعني مسرعات، فقال إبراهيم عند ذلك: اعلم أن الله على كل شيء قدير ونقله عن العياشي المجلسي في (البحار) ج ٢ ص ٧٣ والبحراني في تفسيره (البرهان) ج ١ ص ٢٥١.

٤ - عن علي بن محمد بن الجهم قال: سأل المأمون الرضا عليه السلام عن قول إبراهيم عليه السلام ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أُولِمَ تُوْمِنُ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمِئِنَّ قُلُوبُكَ﴾ قال الرضا عليه السلام أن الله تبارك وتعالى كان أوحى إلى إبراهيم عليه السلام في أي متخذ من عبادي خليلاً أن سألني أحياء الموتى أجبتة فوقع في نفس إبراهيم عليه السلام أنه ذلك الخليل، فقال: ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أُولِمَ تُوْمِنُ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمِئِنَّ قُلُوبُكَ﴾ على الخلّة ﴿قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ أَجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ فأخذ إبراهيم عليه السلام نسرأ وبطاً وطاووساً وديكاً فقطعهن فخلطهن ثم جعل على كل جبل من الجبال التي حوله، وكانت عشرة منهن جزءاً وجعل مناقيرهن بين أصابعه ثم دعاهن بأسمائهن ووضع عنده حباً وماءً، فتطايرت تلك الأجزاء بعضها إلى بعض حتى استوت الأبدان، وجاء كل بدن حتى أنضم إلى رقبته ورأسه فخلى إبراهيم عن مناقيرهن فطرن ثم وقعن فشربن من ذلك الماء والتقطن من ذلك الحب وقلن: يا نبي الله احييتنا أحياك الله، فقال إبراهيم عليه السلام بل الله يحيي الموتى وهو على كل شيء قدير، قال المأمون: بارك الله فيك يا أبا الحسن . . الخ.

رواه الصدوق في كتابه (عيون أخبار الرضا) ج ١ ص ١٩٨ ، و(التوحيد) ص ٨٢ باب القدرة ونقله عن المصدرين السابقين المجلسي في (البحار) ج ١٢ ص ٦٣ ، ورواه الطبرسي في (الاحتجاج) ج ٢ ص ٢١٧ ، ونقله عنه المجلسي في (البحار) أيضاً ص ٦٤ ، كما نقل المجلسي الحديث بكامله عن العيون ، والطبرسي في ج ١١ ص ٧٨ - ٨٥ ، والمتعلق بقصة إحياء الطيور ص ٧٩ ، ونقل المولى محسن الفيض في تفسيره عن العيون للصدوق وكذلك الحر العاملي في كتابه (الإيقاظ) ص ١١٨ نقلاً عن (العيون) ، و(التوحيد) ، و(الاحتجاج) للطبرسي ، والطباطبائي في تفسيره (الميزان) ج ٢ ص ٤٠٢ نقلاً عن (العيون) .

٥ - عن عبد الصمد بن بشير قال : جُمِعَ لأبي جعفر المنصور القضية ، فقال لهم : رجل أوصى بجزء من ماله فكم الجزء ؟ فلم يعلموا كم الجزء ، واشتكموا إليه فيه ، فأبرد بريداً إلى صاحب المدينة (أي إلى عامله فيها) أن يسأل جعفر بن محمد (أي الصادق عليه السلام) : رجل أوصى بجزء من ماله فكم الجزء ؟ فقد أشكل ذلك على القضية فلم يعلموا كم الجزء ؟ فإن هو أخبرك به وإلا فاحمله على البريد ووجهه إليّ ، فأتى صاحب المدينة أبا عبد الله عليه السلام فقال له : إن أبا جعفر بعث إليّ أن أسألك عن رجل أوصى بجزء من ماله ، وسأل من قبله من القضية فلم يخبروه ما هو ، وقد كتب إليّ ان فسرت ذلك له وإلا حملتك على البريد إليه ، فقال أبو عبد الله عليه السلام هذا في كتاب الله بين أن الله يقول : **لَمَّا قَالَ إِبْرَاهِيمُ : ﴿ رَبِّ ارْنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى ﴾ إِلَى قَوْلِهِ : ﴿ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ﴾ فَكَانَتِ الطَّيْرُ أَرْبَعَةً وَالْجِبَالُ عَشْرَةً يَخْرُجُ الرَّجُلُ مِنْ كُلِّ عَشْرَةٍ أَجْزَاءً جُزْءًا وَاحِدًا ، ثُمَّ قَالَ عليه السلام وَأَنَّ إِبْرَاهِيمَ دَعَا بِمَهْرَاسٍ فَدَقَّ فِيهِ الطَّيْرُ جَمِيعاً وَحَبَسَ الرُّوּسَ عِنْدَهُ ، ثُمَّ أَنَّهُ دَعَا بِالَّذِي أَمَرَ بِهِ فَجَعَلَ يَنْظُرُ إِلَى الرِّيشِ كَيْفَ يَخْرُجُ وَإِلَى الْعُرُوقِ عِرْقاً عِرْقاً حَتَّى تَمَّ جَنَاحَهُ مُسْتَوِياً فَأَهْوَى نَحْوَ**

إبراهيم، فمال إبراهيم ببعض الرؤوس فاستقبله به، فلم يكن الرأس الذي استقبله به لذلك البدن حتى أنتقل إلى غيره، فكان موافقاً للرأس، فتمت العدة، وتمت الأبدان.

رواه العياشي في تفسيره ج ١ ص ١٤٣، ونقله عنه كل من المجلسي في (البحار) ج ١٢ ص ٧٢، والبحراني في تفسيره (البرهان) ج ١ ص ٢٥١، والمولى محسن الفيض في تفسيره والبهادلي ففي (فلسفة الشهادة) ص ١٠٣.

هذا مما ورد عن طريق أهل البيت عليهم السلام عن هذه القصة أما ما ورد من طرق أخرى فأليك بعض مما رواه المفسرون وغيرهم.

٦ - قال السيوطي في تفسيره (الدر المنثور) ج ١ ص ٣٣٤: أخرج ابن أبي حاتم، وأبو الشيخ في (العظمة) عن ابن عباس قال: أن إبراهيم مرّ برجل ميت زعموا أنه حبشي على ساحل البحر فرأى دواب البحر تخرج فتأكل منه، وسباع الأرض تأتیه فتأكل منه والطير تقع عليه فتأكل منه، فقال: إبراهيم عند ذلك ربّ هذه دواب البحر تأكل من هذا وسباع الأرض والطير ثم تميت هذه فتبلى ثم تحيها فأرني كيف يحي الموتى: قال: (أَوَلَمْ تُؤْمِنْ) يا إبراهيم أني أحيي الموتى: ﴿قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِنْ لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾، يقول لأرى من آياتك وأعلم أنك قد أجبتني، فقال الله: خذ أربعة من الطير، فصنع ما صنع، والطير الذي أخذه رال وديك ووز وطاووس، وأخذ نصفين مختلفين ثم أتى أربعة جبال فجعل على كل جبل نصفين مختلفين وهو قوله: ﴿ثُمَّ أَجْعَلَ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْأً﴾ ثم تنحى ورؤوسها تحت قدميه فدعا باسم الله الأعظم فرجع كل نصف إلى نصفه وكل ريش إلى طائره ثم أقبلت تطير بغير رؤوس إلى قدمه تريد رؤوسها بأعناقها فرفع قدمه فوضع كل طائر منها عنقه في رأسه، فعادت كما كانت ﴿وَأَعْلَمَ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ يقول: مقتدر على ما يشاء (حكيم) يقول: مُحْكَم لما أراد: الرال فرخ النعام.

٧ - وأخرج عبد بن حميد، وابن جرير عن قتادة نحوه .

٨ - وأخرج عبد بن حميد، وابن المنذر عن الحسن نحوه .

٩ - وأخرج بن جرير عن ابن جريح عن ابن عباس قال : بلغني أن

إبراهيم عليه السلام بينما هو يسير على الطريق إذا هو بجيفة حمار عليها السباع والطير قد مزقت لحمها وبقي عظامها فوقف فعجب ثم قال : ربّ قد علمت لتجمعنها من بطون هذه السباع والطير ﴿ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أُولَئِمُتُؤْمِنٌ قَالَ بَلَىٰ ﴾ ولكن ليس الخبر كالمعاينة .

١٠ - وأخرج سعيد بن منصور، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي

حاتم والبيهقي في الأسماء والصفات عن سعيد بن جبير في قوله : ﴿ وَلَكِن لِّيُطَمِّنَ قَلْبِي ﴾ قال : بالخلة قال الدميري في كتابه (حياة الحيوان) باب الحمار ص ٤١٥ ج ١ : قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى ﴾ قال الحسن، و قتادة وعطاء الخراساني ، والضحاك وابن جرير رحمهم الله : كان السبب في هذا السؤال من إبراهيم عليه السلام أنه مرّ على دابة ميتة . قال ابن جريح : كانت جيفة حمار بساحل البحر ، قال عطاء بحيرة طبرية قالوا : فأها وقد توزعتها دواب البحر والبر إذا أمدّ جاءت الحيتان ودواب البحر فأكلت منها ، فما وقع منها يصير في البحر ، وإذا جزر جاءت السباع فأكلت منها فما وقع منها يصير تراباً فإذا ذهبت السباع جاءت الطير فأكلت منها فما سقط منها قطعته الرياح في الهواء ، فلما رأى إبراهيم ذلك تعجب منها ، وقال : يا رب قد علمت لتجمعها من بطون السباع وحواصل الطير وأجواف دواب البحر ، فأرني كيف تحييها لأعين ذلك فأزداد يقيناً : فعاتبه الله على ذلك فقال : ﴿ أُولَئِمُتُؤْمِنٌ ؟ ﴾ فقال بلى يا ربّ قد علمت ولكن ليطمئن قلبي : أي يسكن إلى المعاينة والمشاهدة . ثم قال الدميري : فإبراهيم عليه السلام كان يعلم يقيناً أن الله يحيي الموتى ، ولكنه أراد أن يصير له علم اليقين عين اليقين لأن الخبر ليس كالمعاينة ، وما أحسن قول بعضهم :

لئن كلمت بالتفريق قلبي فأنت بخاطري أبداً مقيمٌ
ولكن للعيان لطيف معناً... له سأل المعاينة الكليم

وقيل كان سبب هذا السؤال من إبراهيم أنه لما احتج على نمرود فقال:
ربي الذي يحيي ويميت، فقال نمرود: أنا أحيي وأميت، قتل رجلاً وأطلق آخر
فجعل ترك القتل إحياءً، فقال إبراهيم: إن الله يقصد إلى جسد ميت فيحييه فقال
له نمرود: أنت عايته؟ فلم يقدر أن يقول نعم، فانتقل إلى حجة أخرى، ثم
سأل ربه أن يريه إحياء الموتى قال: ﴿أَوَلَمْ تُؤْمِنْ؟﴾ ﴿قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِنْ لِّيَطْمَئِنَّ
قَلْبِي﴾ بقوة حجتي، وإذا قيل لي أنت عايته أقول نعم قد عايته.

١١ — ثم قال الدميري، وقال سعيد بن جبیر: لما اتخذ الله إبراهيم خليلاً
سأل ملك الموت ربه أن يأذن له فيبشر إبراهيم بذلك، فأذن له.

فأتى ملك الموت إبراهيم في داره ولم يكن في الدار، فدخل داره، وكان
إبراهيم من أغبر الناس، إذا خرج أغلق بابه، فلما جاء وجد في داره رجلاً فثار
عليه إبراهيم ليأخذه، فقال له: مَنْ أنت؟ وَمَنْ أذن لك أن تدخل داري بغير
أذني؟ فقال: أذن لي رب هذه الدار، فقال له إبراهيم: صدقت وعرف أنه ملك
الموت، فقال له مَنْ أنت؟ فقال له: أنا ملك الموت، جئت أبشرك بأن الله قد
اتخذك خليلاً، فحمد الله تعالى ثم قال: ما علامة ذلك؟ قال: إجابة الله دعاءك،
وإحياء الموتى بسؤالك، فحينئذ قال إبراهيم: ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ﴾
﴿قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ﴾ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِنْ لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ﴿إِنَّكَ قَدْ أَخَذْتَنِي خَلِيلًا، وَأَجَبْتَنِي
إِذَا دَعَوْتُكَ.

وذكر هذا الحديث السيوطي في (الدر المنثور) ج ١ ص ٣٣٤ نقلاً عن ابن
جرير، وابن أبي حاتم عن السدي وفيه زيادة على ما ذكره الدميري، راجعها
بالحاشية (١) وحديث سعيد بن جبیر هذا، والسدي والحديث الذي ذكرناه برقم
(٤) عن الإمام الرضا عليه السلام فيه دلالة بيّنة على أن مقام الخلّة يستلزم استجابة

الدعاء، واللفظ يساعد عليه فإن الخلّة هي الحاجة والخليل يسمى خليلاً لأن الصداقة إذا كملت رفع الصديق حوائجه إلى صديقه. ولا معنى لرفعها مع عدم قضائها له، وإعطائه حوائجه وطلباته. ولذلك دعا إبراهيم ربّه أن يُريّه كيف يحي الموتى ليطمئن قلبه بأنه خليل لله عز وجل وأجاب الله له دعاءه وأعطاه سؤاله.

كما نلاحظ في هذه الأحاديث والأخبار الاختلاف في أنواع الطيور التي أخذها ﷺ والظاهر أن منشأ هذا الاختلاف هو تسامح الرواة في ضبط تلك الأنواع ولعلمهم تسامحوا في ضبطها لعلمهم أنه لا يترتب على معرفتها حكم إسلامي، بل ولا فائدة يعتد بها لتعيينها، والذي اتفقوا عليه من تلك الأنواع هو الطاووس، وأكثرها تذكر معه الديك والله أعلم بواقع الحال ومجمل أن هذه القصة بآياتها البينة، والتدبر فيها وما ورد فيها من أخبار وأحاديث من طرق عديدة ممّا ذكرناه وممّا لم نذكره كلها دالة على أنّ إحياء الموتى في أي وقت أراد الباريء إيقاعه أوقعه، وأن ذلك ليس عليه بعزيز ولا يمنعه منه مانع مطلقاً.

فإذا له أن يعيد نفوساً سعيدة، ونفوساً شقية إلى الدنيا بعد الموت وإفاضة الروح عليها عند ظهور المهدي المنتظر (عج) وهو القادر على ما يشاء ﴿قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ اللَّهِ فَمَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا﴾ [النساء / ٧٩].

سادساً: قصة أصحاب الكهف وإرجاعهم إلى الدنيا

من الآيات التي صرحت بوقوع الرجعة إلى الدنيا بعد رقدة طويلة استغرقت مئات السنين هي الآيات التي تستعرض - للنبي ﷺ وللأجيال - قصة أصحاب الكهف، نذكر الآيات الأولى منها بتفسيرها وهي قوله تعالى:

﴿ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ ءَايَتِنَا عَجَبًا ۚ إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهِيَئْ لَنَا مِنْ أَمْرٍ نَارْشِدًا ۚ فَضَرْبْنَا عَلَىٰ ءَاذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ۚ ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا ۚ ﴾ [الكهف/ ١٠ - ١٣].

قوله تعالى: ﴿ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ ءَايَتِنَا عَجَبًا ۚ ﴾.

الحُسبان هو الظن، والكهف هو المغارة الواسعة في الجبل، والرقيم من الرقم وهو الكتابة المرقمة كالجريح والقتيل بمعنى المجروح والمقتول، و(عجبا) مصدر بمعنى التعجب أريد به المبالغة في وصف التعجب وظاهر سياق القصة أن أصحاب الكهف هم أصحاب الرقيم لا غيرهم، وهم جماعة بأعيانهم والقصة قصتهم جميعاً فهم المُسَمُّون أصحاب الكهف وأصحاب الرقيم أما تسميتهم أصحاب الكهف فلدخولهم الكهف ووقوع ما جرى عليهم فيه، وأما تسميتهم أصحاب الرقيم فقد قيل: إن قصتهم كانت منقوشة في لوح منصوب هناك، أو محفوظة في خزانة الملوك فلذلك سموا أصحاب الرقيم، وقيل إن الرقيم اسم الجبل الذي فيه الكهف، وذكر المفسرون أقوالاً آخر في معنى الرقيم والقول الأول هو الأظهر والمؤيد ببعض الأحاديث مما سنذكره إن شاء الله في استعراض الأخبار.

والظاهر من سياق القصة أيضاً وخاصة قوله تعالى مخاطباً النبي ﷺ ﴿ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ ءَايَتِنَا عَجَبًا ۚ ﴾ أن القصة كانت

معلومة للنبي ﷺ إجمالاً، وأن الذي كشف عنه الوحي هو تفصيل تلك القصة، ويؤيد ذلك تعقيبه في الآيات الثلاث بذكر القصة إجمالاً التي كانت معلومة لديه، ثم ذكر له بعدها تفصيل قصتهم الآخذ من قوله تعالى: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ﴾ . . إلى آخر الآيات .

أما قوله تعالى: ﴿إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾ أي إذ رجع الفتية إلى الكهف ليستقروا فيه والفتية جمع لفتى والفتى هو الشاب، ولكن لا تخلو كلمة (الفتية) هنا من إشعارهم بمدحهم، ومن هنا روى العياشي في (تفسيره) ج ٢ ص ٣٣٣ وغيره عن سليمان بن جعفر النهدي قال: قال لي جعفر بن محمد (أي الصادق عليه السلام): يا سليمان من الفتى؟ فقلت له: جعلت فداك الفتى عندنا الشاب، قال لي: أما علمت أن أصحاب الكهف كانوا كلهم كهولاً فسماهم الله فتية بإيمانهم، يا سليمان من آمن بالله وأتقى فهو الفتى .

ونقله عنه البحراني في (تفسيره) ج ٢ ص ٤٥٧ على ما في حاشية تفسير العياشي ونقله عنه المجلسي في (البحار) ج ١٤ ص ٤٢٨، والمولى محسن الفيض في تفسيره، كما نقله أيضاً عن الكافي الكليني عن الصادق عليه السلام أنه قال لرجل: ما الفتى عندكم؟ فقال له: الشاب، فقال: لا الفتى المؤمن، إن أصحاب الكهف كانوا شيوخاً فسماهم الله فتية بإيمانهم ونقله عن العياشي الطباطبائي في (الميزان) ج ١٣ ص ٣٠٣، وقال: وروي ما في معناه في (الكافي) عن القمي مرفوعاً عن الصادق عليه السلام كما نقله عن الكافي البحراني في تفسيره ومما يؤيد هذا المعنى نداء جبرئيل يوم أحد بين السماء والأرض: لا سيف إلا ذو الفقار ولا فتى إلا علي (راجع الغدير) ج ٢ ص ٥٤ في ذكر مصادر هذا النداء يوم أحد، وبدر، وخير، و(إحقاق الحق) ج ٦ ص ١٢ - ص ٢٣ .

وقول أهل الكهف بعد أن استقروا فيه : ﴿ رَبَّنَا إِنَّا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴾ كأنهم قد ألتجأوا بانقطاع تام - لفقد القوة وانقطاع الحيلة - إلى المبادرة بالمسألة من لدن الله عز وجل أن يرحمهم ، والمراد بالرحمة المسؤولة من لدنه أيضاً بعض المواهب والنعم المختصة به تعالى كالهداية التي يصرح في مواضع من كلامه بأنها منه خاصة لا من غيره كقوله تعالى مخاطباً رسوله الأعظم ﷺ : ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾ [القصص / ٥٧] ولذلك قالوا : ﴿ رَبَّنَا إِنَّا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ﴾ ولم يقولوا : آتنا رحمة . ثم قالوا في مسألتهم من الله تعالى : ﴿ وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴾ الرشد خلاف الغي ويستعمل استعمال الهداية ، والمراد من أمرهم هو الشأن الذي يخصهم فيما هم عليه حيث قد هربوا من سلطة قوم يتتبعون المؤمنين ويسفكون دماءهم ويكرهونهم على عبادة غير الله ، والتجأوا إلى الكهف وهم لا يدرون ماذا سيجري عليهم ولا يهتدون إلى أي سبيل للنجاة يسلكون ، ومن هنا يظهر أن المراد بالرشد الاهتداء إلى ما فيه نجاتهم ، فهم يسألون الله تعالى التأييد والاهتداء مرة بعد أخرى وقد استجاب الله دعاءهم وأنجاهم من أعدائهم حيث قال تعالى : (فَضَرْبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا) .

قال الزمخشري في تفسيره (الكشاف) ج ٢ ص ٧٠٥ : أي ضربنا على آذانهم حجاباً من أن تسمع يعني أنماهم إنامة ثقيلة لا تنبههم فيها الأصوات كما ترى المستثقل في نومه يُصاح به فلا يسمع ولا يستنبه . فحذف المفعول الذي هو الحجاب كما يقال :

بنى على امرأته يريدون بنى عليها قبة .

وقال الطبرسي في (مجمع البيان) م ٣ ص ٤٥١ : والضرب معروف ، ومعنى ضربنا على آذانهم سلطنا عليهم النوم وهو من الكلام البالغ في الفصاحة . الخ .

وقال أيضاً ص ٤٥٢ : معناه أنماهم سنين ذات عدد، وتأويله فأجبنا دعاءهم وسددنا آذانهم بالنوم الغالب على نفوذ الأصوات إليها سنين كثيرة لأن النائم إنما ينتبه بسماع الصوت ، ودل سبحانه بذلك على أنهم لم يموتوا وكانوا نياماً في أمن وراحة وجمام نفس ، وهذا من فصيح لغات القرآن التي لا يمكن أن يترجم بمعنى يوافق اللفظ انتهى ، وما ذكره الطبرسي من المعنى أبلغ مما ذكره الزمخشري .

وقال العلامة الطباطبائي في تفسيره (الميزان) ج ١٣ ص ٢٦٦ بعد ما نقل قول الزمخشري والطبرسي قال : وهناك معنى ثالث وأن لم يذكروه وهو أن يكون إشارة إلى ما تصنعه النساء عند إنامة الصبي غالباً من الضرب على أذنه بدق الأكف أو الأنامل عليها دقاً نعيماً (أي خفيفاً) لتتجمع حاسته عليه فليأخذ النوم بذلك ، فالجملة كناية عن إنامتهم سنين معدودة بشفقة وحنان كما تفعل الأم المرضع بطفلها الرضيع .

وقوله تعالى : ﴿ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمْدًا﴾ .

المراد من البعث هنا هو الإيقاظ دون الأحياء بقرينة الآية السابقة ، والمراد بالعلم العلم الفعلي المشاهد عند حدوثه ، وهو ظهور الشيء وحضور وجوده الخاص عند الله وقد كثر ورود العلم بهذا المعنى في القرآن المجيد كقوله تعالى : ﴿وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحديد/ ٢٥] ، وكقوله تعالى : ﴿لِيَعْلَمَ أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا رَسُولَ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَخْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا﴾ [الجن/ ٢٨] ، وكقوله تعالى : ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجْتَهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّادِقِينَ وَنَبْلُوا أَخْبَارَكُمْ﴾ [محمد/ ٣١] ، إلى غير ذلك من الآيات التي تذكر ما سيعلمه الله علم مشاهدة بعد علمه به بالغيب والمراد بالحزبين الطائفتين من أصحاب الكهف حين سأل بعضهم وهذا ما يفيد قوله تعالى في الآيات التالية : ﴿وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَسْأَلُوا بَيْنَهُمْ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا

لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ ﴿١﴾ والمراد بالأمد المدة التي لبثوا فيها في الكهف أيهم أحصى عدداً لمدة لبثهم فيه أو أيهم أدق أحصاءاً لمدة لبثهم.

ففي هذه الآيات الأربع تلخيص يجمل القصة ويرسم خطوطها الرئيسية العريضة فنعرف منها أن قصة أصحاب الكهف والرقيم قصة واحدة، وأنها على غرابتها ليست بأعجب آيات الله، بل في صفحات هذا الكون الواسع من العجائب وفي ثناياه من الغرائب ما يفوق قصتهم عجباً وغرابة.

كما نعرف أنهم فتية - لا نعلم عددهم - آووا إلى الكهف وهم مؤمنون بربهم خائفون من أعدائهم الكافرين فسألوا عند ذلك ربهم قائلين ﴿رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً﴾ ننجوا بها مما يهددنا بالتخيير بن عبادة غيرك وبين القتل والتعذيب، وأعد لنا من أمرنا هدى نهتدي به إلى النجاة، فاستجاب لهم ربهم بأن أنامهم في الكهف سنين معدودة، ثم أيقظهم ليبين أي الحزبين أعداً أمداً للبثهم.

هذا مجمل القصة، ثم تأخذ الآيات التالية بتفصيلها مبتدأ بقوله تعالى: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى﴾ إلى آخر الآيات.

وقد أعطى العلامة الطباطبائي صورة عن قصتهم في القرآن في تفسيره (الميزان) ج ١٢ ص ٣١٣ بعد ما فسر الآيات وأوضح مفاهيمها تحت عنوان:

قصة أصحاب الكهف في القرآن

جاء فيها ما يلي: كان أصحاب الكهف والرقيم - فتية نشأوا في مجتمع مشرك لا يرى إلا عبادة الأوثان (وكان قد) تسرب في المجتمع دين التوحيد فأمن بالله قوم منهم فأنكروا عليهم ذلك وقابلوهم بالتشديد والتضييق والفتنة

والعذاب وأجبروهم على عبادة الأوثان ورفض دين التوحيد فمن عاد إلى ملتهم تركوه ومن أصرّ على المخالفة قتلوه شرّ قتلة .

وكانت الفتية ممّن آمن بالله إيماناً على بصيرة فزادهم الله هدى على هداهم وأفاض عليهم المعرفة والحكمة وكشف بما آتاهم من النور عمّا يهتمهم من الأمر وربط على قلوبهم فلم يخشوا إلا الله ولا أوحشهم ما يستقبلهم من الحوادث والمكاره فعلموا أنهم لو أداموا المكث في مجتمعهم الجاهل المتحكم لم يسعهم دون أن يسيروا بسيرتهم فلا يتفوّهوا بكلمة الحق ولا يشترعوا بشريعة الحق، وعلموا أن سبيلهم أن يقوموا على التوحيد ورفض الشرك ثم اعتزالهم القوم، وعلموا أن لو اعتزلوهم ودخلوا الكهف أنجاهم الله مما هم فيه من البلاء .

فقاموا وقالوا ردّا على القوم في اقتراحهم^(١) وتحكمهم: ﴿ رَبَّنَا رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لِنَ نَدْعُو مِنْ دُونِهِ إِلَهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذَا شَطَطًا ۖ هَؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ ءَالِهَةً لَوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ﴾ ثم قالوا: ﴿ وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مَرْفَقًا ﴾ .

ثم دخلوا الكهف واستقروا على فجوة منه وكلبهم باسط ذراعيه بالصيد

(١) ذكر السيوطي أن إبراهيم(ع) قال لملك الموت: يا ملك الموت أرني كيف تقبض أرواح الكفار، قال: يا إبراهيم لا تطبق ذلك، قال: بلى، قال فأعرض، فأعرض إبراهيم(ع) ثم نظر فإذا هو برجل أسود ينال رأسه السماء، ويخرج من فيه لهب النار، ليس من شعرة في جسده إلا في صورة رجل يخرج من فيه ومسامعه لهب النار فغشي على إبراهيم، ثم أفاق وقد تحول ملك الموت في الصورة الأولى، فقال يا ملك لو لم يلق الكافر عند موته من البلاء والحزن إلا صورتك لكفاه، فأرني كيف تقبض أرواح المؤمنين، قال، فأعرض، فأعرض إبراهيم(ع) ثم التفت فإذا هو برجل شاب أحسن الناس وجهاً وأطيبه ريحاً في ثياب بياض، قال: يا ملك الموت لو لم ير المؤمن عند موته من قرة العين والكرامة إلا صورتك هذه لكان يكفيه . الخ .

فدعوا ربهم بما تفرسوا من قبل أنه سيفعل بهم ذلك فقالوا: ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيئ لنا من أمرنا رشداً، فضرب الله على آذانهم في الكهف سنين ولبثوا في كهفهم - وكلبهم معهم - ثلاث مائة سنين وازدادوا تسعاً وترى الشمس إذا طلعت تزاور عن كهفهم ذات اليمين وإذا غربت تقرضهم ذات الشمال وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد لو اطلعت عليهم لو ليت منهم فراراً ولمِثَّتْ منهم رعباً.

ثم أن الله بعثهم بعد هذا الدهر الطويل وهو ثلاثمائة وتسع سنين من يوم دخلوا الكهف ليريهم كيف نجاهم من قومهم فاستيقظوا جميعاً ووجدوا أن الشمس تغير موقعها وفيهم شيء من لوثة نومهم الثقيل قال قائل منهم: كم لبثتم؟ قال قوم منهم لبثنا يوماً أو بعض يوم لما وجدوا من تغير موقع الشعاع وترددوا، هل مرت عليهم ليلة، أو لا؟ وقال آخرون منهم: بل ربكم أعلم بما لبثتم ثم قال: فابعثوا (أحدكم) بورقكم هذه (أي درهمكم الفضي) إلى المدينة فلينظر أيها أزكى طعاماً (أي أطهر) فليأتكم برزق منه فأنكم جياع وليلطف الذهاب منكم إلى المدينة في مسيره إليها وشرائه الطعام ولا يشعرن بكم أحداً أنهم إن علموا بمكانكم يرموكم أو يعيدوكم في ملتهم ولن تفلحوا إذا أبدا.

وهذا آوان أن يُعثر الله سبحانه الناس عليهم فأن القوم الذين اعتزلوهم وفارقوهم يوم دخلوا الكهف قد انقضوا وذهب الله بهم وبملكهم وملتهم وجاء بقوم آخرين الغلبة فيهم لأهل التوحيد، وقد اختلفوا أعني أهل التوحيد وغيرهم في أمر المعاد فأراد الله سبحانه أن يظهر لهم آية في ذلك فأعثرهم على أصحاب الكهف.

فخرج المبعوث من الفتية وأتى المدينة وهو يظن أنها التي فارقها البارحة لكنه وجد المدينة قد تغيرت بما لا يعهد مثله في يوم ولا في عمر والناس غير

الناس والأوضاع والأحوال غير ما كان يشاهده بالأمس فلم يزل على حيرة من الأمر حتى أراد أن يشتري طعاماً بما عنده من الورق وهي يومئذ من الورق الرائجة قبل ثلاثة قرون فأخذت المشاجرة فيها ولم تلبث دون أن كشف عن أمر عجيب وهو أن الفتى ممّن كانوا يعيشون قبل ذلك بثلاثة قرون وهو أحد الفتية (الذين) كانوا في مجتمع مشرك ظالم فهجروا الوطن واعتزلوا الناس صوناً لإيمانهم ودخلوا الكهف فأنامهم الله لهذا الدهر الطويل ثم بعثهم، وهامهم الآن في الكهف في انتظار هذا الذي بعثوه إلى المدينة ليشتري لهم طعاماً يتغذون به .

فشاع الخبر في المدينة لساعته واجتمع جمع غفير من أهلها فساروا إلى الكهف ومعهم الفتى المبعوث من أصحاب الكهف فشاهدوا ما فيه تصديق الفتى فيما أخبرهم من نبأ رفقته وظهرت لهم الآية الإلهية في أمر المعاد .

ولم يلبث أصحاب الكهف بعد بعثتهم كثيراً بل توفاهم الله سبحانه وعند ذلك اختلف المجتمعون على باب الكهف من أهل المدينة ثانياً فقال المشركون منهم : ابنوا عليهم بنياناً ربهم أعلم بهم ، قال الذين غلبوا على أمرهم وهم الموحدون : لننخذنّ عليهم مسجداً . انتهى .

هذه هي قصة أصحاب الكهف في القرآن على ما ذكرها العلامة الطباطبائي في (الميزان) ، والجدير بالذكر أنّ الذي يلزم ألفات النظر إليه وإيضاحه هو أن الله سبحانه قد جعل إعتار الناس عليهم - أي اطلاع الناس عليهم من دون أن يطلبوا ذلك بالإطلاع - دليلاً وبرهاناً وجدانياً على أن وعد الله حق ، وأن الساعة لا ريب فيها ، حيث كان الناس في ذلك الوقت يتنازعون في أمر المعاد والبعث يوم القيامة فمن موحدين لله يرون أحقية وواقعية إرجاع الأرواح إلى أجسادها يوم القيامة وبعثهما معاً ، ومن مشركين ينكرون البعث ولا يؤمنون به ، ويستبعدونه ويشكون فيه ، وقد يقولون بالتناسخ ، لذلك بعث الله

سبحانه أصحاب الكهف - بعد انتزاع أرواحهم من أجسادهم دهرًا طويلًا - لإزالة الشكوك عن قلوبهم في أمر البعث ورفع عدم الإيمان به أو الاستبعاد لوقوعه ولذلك قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَغْتَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا﴾ ومعنى الآية الكريمة كما أنماهم ثم بعثناهم ليتساءلوا بينهم، كذلك اطلعنا الناس عليهم بعد بعثهم في زمان يتنازع فيه الناس في أمر البعث ليعلموا أن وعد الله حق في كل ما وعد به، وأن الساعة - التي وعد بها أيضاً حق - لا ريب فيها ومن هنا يتجلى لنا أن رقدتهم أو نومهم دهرًا طويلًا كان في حقيقته موتاً وفراقاً للحياة، إذ لولا انتزاع أرواحهم عن أجسادهم لاحتاجوا إلى الغذاء من الطعام والشراب كما هو معلوم، ولما تعطل شعورهم وركدت حواسهم عن أعمالها، ولما سقطت قواهم البدنية من النشوء والنماء ونبات الشعر والظفر، وظهور الشيب وغير ذلك مما عليه الأحياء عادة.

فحدوث هذه الحادثة بإرجاع أرواحهم إلى أجسادهم واطلاع الناس عليهم لا يدع ريباً - لهم ولا لغيرهم من الناس - في أنها آية إلهية قصد بها إزالة الشك عن القلوب في أمر البعث، وأن البعثين معاً أي بعثهم بعد رقدتهم، وبعث الناس عموماً بعد موتهم من خوارق العادات لله الذي لا يعجزه شيء، وهو على كل شيء قدير فلا يستبعدهما أو ينكرهما إلا الجاهل الذي يُعمى أو يتعمى عن الدلائل الواضحة للقدرة الإلهية الباهرة.

أما أجسامهم - بعد خروج الروح منها - فقد بقيت سالمة على حالها، وعيونهم مفتحة لرائيها وقد أشار القرآن الكريم لذلك بقوله تعالى: ﴿وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ﴾ وهم في فجوة منه أي قلبهم تارة من اليمين إلى الشمال، وأخرى من الشمال إلى اليمين ليكون ذلك القلب سبباً تاماً لحفظهم ولئلا تأكلهم الأرض ولا تبلى ثيابهم، ولا تبطل قواهم البدنية بواسطة الركود والخمود بطول المكث، نعم هذه هي إرادة الله

الحكيمة ، وقدرته التامة أن أبقى أجسادهم سالمة إلى أن أعاد أرواحهم وبعثهم كما كانوا أولاً ليكونوا عبرة لمن اعتبر .

فهم إذا ممّن أماتهم الله في الأمم الماضية دهرأ طويلاً ثم أرجعهم بعد موتهم وأحياهم ثم أماتهم ثانياً بعد سويعات قليلة من إحيائهم ، ومن هنا ورد عن الإمام الصادق عليه السلام في حديث أنه قال فيه : وقد رجع إلى الدنيا ممّن مات خلق كثير منهم أصحاب الكهف أماتهم الله ثلاثمائة عام وتسعة ثم بعثهم في زمان قوم أنكروا البعث ليقطع حجتهم ويريههم قدرته ، وليعلموا أن البعث حق . الخ . (راجع الاحتجاج للطبرسي) ج ٢ ص ٨٨ ونقله عنه الفيض في تفسيره (الصافي) .

وتنص بعض الأخبار أن الله سبحانه أحياهم مرة أخرى أيام النبي صلى الله عليه وآله ثم أماتهم ، وأن الله سيحييهم مرة أخرى أيام الإمام المهدي (عج) ويكونوا من أصحابه وأعوانه كما سنذكر ذلك في عرض الأحاديث والأخبار حول قصتهم إن شاء الله تعالى .

الأخبار والأحاديث حول القصة

قد تكاثرت الروايات والأخبار حول قصة أصحاب الكهف وكيفيتها من طرق الفريقين ولكن أغلبها متهافة ومختلفة اختلافاً كثيراً حتى لا يكاد يوجد منها خبران متوافقان في المضمون من جميع الجهات ، لذلك نختصر على ذكر بعضها ممّا قد يكون أقرب إلى الحقيقة والله ولي التوفيق .

١ - جاء في تفسير القمي ج ٢ ص ٣١ : قوله تعالى : ﴿ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ ءَايَتِنَا عَجَبًا ﴾ يقول قد آتيناك من الآيات ما هو أعجب منه وهم فتية كانوا في الفترة بين عيسى بن مريم عليه السلام ومحمد صلى الله عليه وآله ، وأما الرقيم فهما لوحان من نحاس مرقوم أي مكتوب فيهما أمر الفتية وأمر إسلامهم وما أراد منهم دقيانوس الملك وكيف كان أمرهم وحالهم .

قال القمي: حدثني أبي عن ابن أبي عمير عن أبي عبد الله عليه السلام قال، كان سبب نزولها يعني سورة الكهف أن قريشاً بعثوا ثلاثة نفر إلى نجران وهم النضر بن الحارث بن كلدة، وعقبة بن أبي مُعيط، والعاص بن وائل السهمي ليتعلموا من اليهود والنصارى مسائل يسألونها رسول الله ﷺ فخرجوا إلى نجران إلى علماء اليهود فسألوهم، فقالوا: سلوه عن ثلاث مسائل فإن أجابكم فيها على ما عندنا فهو صادق، ثم سلوه عن مسألة واحدة فإن ادعى علمها فهو كاذب، قالوا: وما هذه المسائل؟ قالوا: سلوه عن فتية كانوا في الزمن الأول فخرجوا وغابوا وناموا، وكم بقوا في نومهم حتى انتبهوا؟ وكم كان عددهم؟ وأي شيء كان معهم من غيرهم، وما كان قصتهم؟^(١) واسألوه عن موسى حين أمره الله أن يتبع العالم ويتعلم منه مَنْ هو وكيف تبعه وما كانت قصته معه؟ واسألوه عن طائف طاف مغرب الشمس ومطلعها حتى بلغ سدّ يأجوج ومأجوج مَنْ هو وكيف كانت قصته؟ ثم أملوا عليهم أخبار هذه الثلاث مسائل وقالوا لهم إن أجابكم بما أملينا عليكم فهو صادق وإن أخبركم بخلاف ذلك فلا تصدقوه، وقالوا: فما المسألة الرابعة؟ قال: سلوه متى تقوم الساعة؟ فإن ادعى علمها فهو كاذب، فإن قيام الساعة لا يعلمها إلا الله تبارك وتعالى فرجعوا إلى مكة واجتمعوا إلى أبي طالب عليه السلام فقالوا: يا أبا طالب أن ابن أخيك يزعم أن خبر السماء يأتيه ونحن نسأله عن مسائل فإن أجابنا عنها علمنا أنه صادق وإن لم يجبنا علمنا أنه كاذب، فقال أبو طالب: سلوه عما بدا لكم، فسألوه عن الثلاث مسائل، فقال رسول الله ﷺ: غداً أخبركم ولم يستثن، أي لم يقل إن شاء الله، فاحتبس الوحي عليه أربعين يوماً حتى اغتم النبي ﷺ وشك أصحابه الذين آمنوا به، وفرحت قريش واستهزؤا وآذوا، وحزن أبو طالب فلما كان بعد أربعين يوماً نزلت عليه سورة الكهف، فقال رسول الله ﷺ يا جبرئيل لقد

(١) لعل الصحيح، في افتراءهم.

أبطأت؟ فقال: إنا لا نقدر أن ننزل إلا بإذن الله فأنزل: (أَمْ حَسِبْتَ) يا محمد ﴿أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ ءَايَاتِنَا عَجَبًا﴾ ثم قص قصتهم فقال: ﴿إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾.

فقال الصادق عليه السلام: إن أصحاب الكهف والرقيم كانوا في زمن ملك جبار عاتٍ، وكان يدعو أهل مملكته إلى عبادة الأصنام فمن لم يجبه قتله، وكان هؤلاء قومًا مؤمنين يعبدون الله عز وجل ووكل الملك بباب المدينة وكلاء ولم يدعوا أحداً يخرج حتى يسجد للأصنام، فخرج هؤلاء بحيلة الصيد وذلك أنهم مروا براع في طريقهم فدعوه إلى أمرهم فلم يجبهم وكان مع الراعي كلب فأجابهم الكلب وخرج معهم. فقال الصادق عليه السلام: فلا يدخل الجنة من البهائم إلا ثلاثة حمار بلعم بن باعوراء، وذئب يوسف وكلب أصحاب الكهف، ثم قال عليه السلام: فخرج أصحاب الكهف من المدينة بحيلة الصيد هرباً من دين ذلك الملك، فلما أمسوا دخلوا ذلك الكهف والكلب معهم فألقى الله عليهم النعاس كما قال الله تعالى: ﴿فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا﴾ فناموا حتى أهلك الله ذلك الملك وأهل مملكته وذهب ذلك الزمان وجاء زمان آخر وقوم آخرون، ثم انتبهوا فقال بعضهم لبعض: كم لبثنا هاهنا؟ فنظروا إلى الشمس قد ارتفعت فقالوا نمنا يوماً أو بعض يوم، ثم قالوا لواحد منهم: خذ هذا الورق وادخل المدينة متكرراً لا يعرفوك فاشتر لنا طعاماً فإنهم إن علموا بنا وعرفونا يقتلونا أو يردونا في دينهم، فجاء ذلك الرجل فرأى مدينة بخلاف الذي عهدا ورأى قوماً بخلاف أولئك لم يعرفهم ولم يعرفوا لغته ولم يعرف لغتهم فقالوا له من أنت ومن أين جئت؟ فأخبرهم فخرج ملك تلك المدينة مع أصحابه والرجل معهم حتى وقفوا على باب الكهف وأقبلوا يتطلعون فيه فقال بعضهم فهؤلاء ثلاث ورابعهم كلبهم وقال بعضهم خمسة وسادسهم كلبهم وقال بعضهم: هم سبعة وثامنهم كلبهم، وحجبهم الله عز وجل بحجاب من الرعب فلم يكن أحد

يتقدم بالدخول عليهم غير صاحبهم فإنه لما دخل إليهم وجدهم خائفين أن يكون أصحاب دقيانوس شعروا بهم، فأخبرهم صاحبهم أنهم كانوا نائمين هذا الزمن الطويل وأنهم آية للناس، فبكوا وسألوا الله تعالى أن يعيدهم إلى مضاجعهم نائمين كما كانوا، ثم قال الملك: ينبغي أن نبني هنا مسجداً ونزوره فإن هؤلاء قوم مؤمنون، فلهم في كل سنة نقلتان ينامون ستة أشهر على جنوبهم اليمنى وستة أشهر على جنوبهم اليسرى، والكلب معهم قد بسط ذراعيه بفناء الكهف وذلك قوله: ﴿وَكَلْبُهُمْ بَسِطَ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ﴾ أي بالفناء ﴿وَكَذَلِكَ أَغْتَرْنَا عَلَيْهِمْ﴾ وهم الذين ذهبوا إلى باب الكهف . الخ .

ونقله عن القمي المجلسي في (البحار) ج ١٤ ص ٤٢٢، والمولى محسن الفيض في تفسيره، والطباطبائي في (الميزان) ج ١٣ ص ٢٩٨، ورواه البحراني في تفسيره م ٢ ص ٤٥٨ عن القمي .

٢ - نقل المجلسي في (البحار) ج ١٤ ص ٤١١ عن كتاب قصص الأنبياء للراوندي، ونقله أيضاً عن الثعلبي في قصص الأنبياء المسمى بالعرائس، وأن حديث الراوندي مختصر حديث الثعلبي، ونحن نقله عن البحار بنص الراوندي وقد نشير في الحاشية إلى بعض الزيادات التي ذكرها الثعلبي وتجد حديث الثعلبي بنصه في كتاب العرائس ص ٢٣٢ نقل الراوندي عن ابن بابويه بسنده عن ابن عباس قال: لما كان في عهد خلافة عمر أتاه قوم من أحبار اليهود فسألوه عن أقفال السموات^(١) ما هي؟ وعن مفاتيح السموات ما هي؟ وعن قبر سار بصاحبه ما هو؟ وعن أنذر قومه ليس من الجن ولا من الأنس؟ وعن خمسة أشياء مشت على وجه الأرض لم يخلقوا في الأرحام؟ وما يقول الدراج في صياحه، وما يقول الديك، والفرس، والحمار، والضفدع، والقنبر، فنكس

(١) هكذا جاء في مصادر القصة ولعل الصحيح و(ما كانت قصتهم) أو ما كان من قصتهم، أو أن (المقام) يستوي فيه التذكير والتأنيث .

عمر رأسه وقال: يا أبا الحسن ما أرى جوابهم إلا عندك؟ فقال له علي عليه السلام إن لي عليكم شريطة^(١) إذا أنا أخبرتكم بما في التوراة دخلتم في ديننا؟ قالوا: نعم، فقال علي عليه السلام: أما أقفال السموات فهو الشرك بالله، فإن العبد والأمة إذا كانا مشركين ما يرفع لهما إلى الله سبحانه عمل فقالوا: ما مفاتيحها؟ فقال علي عليه السلام شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله.

فقالوا: أخبرنا عن قبر سار بصاحبه قال: ذاك الحوت حين ابتلع يونس عليه السلام فدار به في البحار السبعة فقالوا: أخبرنا عمن أنذر قومه لا من الجن ولا من الانس، قال: تلك نملة سليمان إذ قالت: ﴿يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسْكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ﴾.

قالوا: فأخبرنا عن خمسة أشياء مشت على الأرض ما خلقوا في الأرحام. قال ذاك آدم وحواء وناقة صالح وكبش إبراهيم وعصا موسى. قالوا: فأخبرنا ما تقول هذه الحيوانات؟ قال: الدراج يقول: الرحمن على العرش استوى، والديك يقول: اذكروا الله يا غافلين، والفرس يقول: إذا مشى المؤمنون إلى الكافرين^(٢): اللهم انصر عبادك المؤمنين على عبادك الكافرين، والحمار يلعن

(١) في العرائس هنا زيادة وهي هكذا، فقالوا له: أنت ولي أمر محمد(ص) وصاحبه، وإنا نريد أن نسألك عن خصال إن أخبرتنا علمنا أن الإسلام حق وإن محمداً كان نبياً، وإن لم نخبرنا علمنا أن الإسلام باطل وإن محمداً لم يكن نبياً، فقال: سلوا عما بدا لكم، قالوا: أخبرنا عن أقفال السموات... الخ.

(٢) في العرائس: ما يقول الدراج في صياحه؟ وما يقول الديك في صراخه؟ وماذا يقول الفرس في صهيله وما يقول (الضفدع في نقيقه؟ وما يقول الحمار في نهيقه؟ وما يقول القنبر في صفيره) قال فنكس عمر رأسه في الأرض ثم قال: لا عجب بعمر إذا سأل عما لا يعلم أن يقول لا أعلم. فوثب اليهود وقالوا، نشهد أن محمداً لم يكن نبياً، وإن الإسلام باطل، فوثب سلمان الفارسي وقال لليهود: قفوا قليلاً ثم توجه نحو علي بن أبي طالب كرم الله وجهه حتى دخل عليه فقال: يا أبا الحسن أغث الإسلام، فقال وما ذاك؟ فأخبره، فأقبل يرقل في بردة رسول الله(ص) فلما نظر إليه عمر وثب قائماً فعانقه، وقال: يا أبا الحسن أنت لكل معظلة =

الشيطان، والصفدع يقول: سبحان ربي المعبود المُسَبَّح في لجج البحار،
والقنبر يقول: اللهم العن مبغضي محمد وآل محمد.

قال: وكانت الأخبار ثلاثة فوثب اثنان وقالا: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله. قال: فوقف الحبر الآخر وقال: يا علي لقد وقع في قلبي ما وقع في قلوب أصحابي ولكن بقيت خصلة أسألك عنها، فقال علي عليه السلام سل قال: أخبرني عن قوم كانوا في أول الزمان فماتوا ثلاثمائة وتسع سنين ثم أحياهم الله ما كان قصتهم؟ فابتدأ علي عليه السلام وأراد أن يقرأ سورة الكهف فقال الحبر: ما أكثر ما سمعنا قرآنكم فإن كنت عالماً بهم أخبرنا بقصة هؤلاء وبأسمائهم وعددهم واسم كلهم واسم كهفهم واسم مدينتهم. فقال علي عليه السلام لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم يا أخا اليهود حدثني محمد صلى الله عليه وآله وسلم أنه كان بأرض الروم مدينة يقال لها أقسوس، وكان لها ملك صالح فمات ملكهم فاختلفت كلمتهم فسمع بهم ملك من ملوك فارس يقال له دقيانوس فأقبل في مائة ألف حتى دخل مدينة أقسوس فاتخذها دار مملكته واتخذ فيها قصرأ طوله فرسخ في عرض فرسخ واتخذ في ذلك القصر مجلساً طوله ألف ذراع في عرض مثل ذلك من الرخام الممّرد، واتخذ في ذلك المجلس أربعة آلاف اسطوانة من ذهب، واتخذ ألف قنديل من ذهب لها سلاسل من اللجين تسرج بأطيب الأدهان، واتخذ في شرقي المجلس ثمانين كوة، والغربية كذلك، وكانت الشمس إذا طلعت طلعت في المجلس كيفما دارت، واتخذ فيه سريرأ من ذهب طوله ثمانون ذراعاً في عرض أربعين ذراعاً، له قوائم من فضة مرصعة بالجواهر وعلاه بالنمارق واتخذ من يمين السرير

وشدة تدعى، فدعا علي كرم الله وجهه اليهود فقال: سلوا عما بدا لكم، فإن النبي (ص) علمني ألف باب من العلم فتشعب لي من كل باب ألف باب فسألوه عنها فقال علي كرم الله وجهه إن لي عليكم شريطة . . الخ.

كرسياً من الذهب مرصعة بالزبرجد الأخضر فأجلس عليها بطارقه، واتخذ من يسار السرير ثمانين كرسياً من الفضة مرصعة بالياقوت الأحمر فأجلس عليها هراقته، ثم علا السرير فوضع التاج على رأسه.

فوثب اليهودي فقال: ممّ كان تاجه؟ قال: من الذهب المشبك له سبعة أركان على كل ركن لؤلؤة بيضاء تضيء كضوء المصباح في الليلة الظلماء واتخذ خمسين غلاماً من أولاد الهراقلة فقرطهم الديباج الأحمر، وسرولهم بسرّاويل الحرير الأخضر، وتوّجهم ودملجهم وخلخلهم، وأعطاهم أعمدة من الذهب وأوقفهم على رأسه، واتخذ ستة غلّة وزراءه فأقام ثلاثة عن يمينه وثلاثة عن يساره، فقال اليهودي ما كان أسماء الثلاثة والثلاثة؟ فقال علي عليه السلام الذين عن يمينه أسماؤهم تملّخا ومكسلينا وميشيلينا، وأما الذين عن يساره فأسماهم مرنوس وديرنوس وشاذريوس وكان يستشيرهم في جميع أموره، وكان يجلس في كل يوم في صحن داره والبطارقة عن يمينه والهراقلة عن يساره، ويدخل ثلاثة غلّة في يد أحدهم جام من ذهب مملوء من المسك المسحوق، وفي يد الآخر جام من فضة مملوء بماء الورد، وفي يد الآخر طائر أبيض له منقار أحمر، فإذا نظر الملك إلى ذلك الطائر صفر به فيطير الطائر حتى يقع في جام ماء الورد فيتمرغ فيه، ثم يقع على جام المسك فيحمل ما في الجّام بريشه وجناحه، ثم يصفر به الثانية فيطير الطائر على تاج الملك فينفض ما في ريشه وجناحه على راس الملك.

فلما نظر الملك إلى ذلك عتا وتجبر فادعى الربوبية من دون الله ودعا إلى ذلك وجوه قومه، فكل من أطاعه على ذلك أعطاه وحباه وكساه وكلّ من لم يبايعه قتله فاستجابوا له رأساً واتخذ لهم عيداً في كل سنة مرة، فبينما هم ذات يوم في عيدهم والبطارقة عن يمينه والهراقلة عن يساره إذ آتاه بطريق فأخبره أن عساكر الفرس قد غشيته فاغتم لذلك حتى سقط التاج عن رأسه فنظر إليه أحد

الثلاثة الذين كانوا عن يمينه يقال له تملixa وكان غلاماً فقال في نفسه : لو كان دقيانوس إلهاً كما يزعم إذاً ما يغتم ولا يفزع وما كان يبول ولا يتغوط وما كان ينام وليس له من فعل الإله ، قال : وكان الفتية الستة كل يوم عند أحدهم وكانوا ذلك اليوم عند تملixa ، فاتخذ لهم من طيب الطعام ، ثم قال لهم : يا أخوتاه قد وقع في قلبي شيء منعني الطعام والشراب والمنام ، قالوا : وما ذاك يا تملixa؟ قال أطلت فكري في هذه السماء فقلت : مَنْ رفع سقفها محفوظة بلا عمد ولا علاقة مِنْ فوقها؟ وَمَنْ أجرى فيها شمساً وقمرأ (وهما) آيتان مبصرتان؟ وَمَنْ زينها بالنجوم؟ ثم أطلت الفكر في الأرض فقلت : من سطحها على ظهر اليم الزاخر ، ومن حبسها بالjبال أن تميد على كل شيء وأطلت فكري في نفسي مَنْ أخرجني جنيأ من بطن أمي؟ وَمَنْ غذاني؟ إِنَّ لها صانعأ ومدبرأ غير دقيانوس الملك ، وما هو إلا ملك الملوك ، وجبار السماوات . فانكبت الفتية على رجله يقبلونها ، وقالوا : بك هدانا الله من الضلالة إلى الهدى ، فأشر علينا : قال : فوثب تملixa فباع تمرأ من حائط أي بستان له بثلاثة آلاف درهم وصرها في رده^(١) وركبوا خيولهم وخرجوا من المدينة ، فلما ساروا ثلاثة أميال قال لهم تملixa يا أخوتاه جاءت مسكنة الآخرة وذهب ملك الدنيا إنزلوا عن خيولكم وامشوا على أرجلكم لعل الله أن يجعل من أمركم فرجأ ومخرجأ ، فنزلوا عن خيولهم ومشوا على أرجلهم سبعة فراسخ في ذلك اليوم فجعلت أرجلهم تقطر دماً .

قال فاستقبلهم راع فقالوا : أيها الراعي هل من شربة لبن أو ماء؟ فقال الراعي : عندي ما تحبون ولكن أرى وجوهكم وجوه الملوك ، وما أظنكم إلا هربأ من دقيانوس الملك : قالوا : أيها الراعي لا يحل لنا الكذب ، فينجينا منك الصدق؟ (قال نعم) فأخبروه بقصتهم فانكب الراعي على أرجلهم

(١) زاد في العرائس : إلى الجهاد .

يقبلها، ويقول يا قوم لقد وقع في قلبي ما وقع في قلوبكم ولكن أمهلوني حتى أرد الأغنام إلى أربابها وألحق بكم فتوقفوا له فرد الأغنام وأقبل يسعى يتبعه كلب له .

قال : فوثب اليهودي فقال يا علي ما كان اسم الكلب؟ وما لونه؟ فقال علي عليه السلام : لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، أما لون الكلب فكان أبلق بسواد، وأما اسم الكلب فقطمير، فلما نظر الفتية إلى الكلب قال بعضهم : إنا نخاف أن يفضحنا بنباحه فألحوا عليه بالحجارة، فأنطق الله تعالى الكلب وقال : ذروني حتى أحرسكم من عدوكم فلم يزل الراعي يسير بهم حتى علا بهم جبلاً فانحط بهم على كهف يقال له الوصيد، فإذا بفناء الكهف عيون وأشجار مثمرة فأكلوا من الثمر وشربوا من الماء وجنهم الليل فأووا إلى الكهف وربض الكلب على باب الكهف ومدّ يديه عليه، فأوحى الله تعالى إلى ملك الموت بقبض أرواحهم، ووكل الله بكل رجل ملكين يقلبانه من ذات اليمين إلى ذات الشمال، ومن ذات الشمال إلى ذات اليمين، فأوحى الله عز وعلا إلى خزان الشمس فكانت تزاور عن كهفهم ذات اليمين وتقرضهم ذات الشمال فلما رجع دقيانوس من عيده، سأل عن الفتية فأخبروه أنهم خرجوا هراباً فركب في ثمانين ألف حصان فلم يزل يقفوا أثرهم حتى علا فانحط إلى كهفهم فلما نظر إليهم إذا هم نيام، فقال الملك : لو أردت أن أعاقبهم بشيء لما عاقبتهم بأكثر مما عاقبوا به أنفسهم، ولكن ائتوني بالبنائين فسدّ باب الكهف بالكلس والحجارة، وقال لأصحابه : قولوا لهم يقولوا لإلههم الذي في السماء لينجيهم وأن يخرجهم من هذا الموضع .

قال علي عليه السلام يا أخا اليهود فمكثوا ثلاث مائة سنة وتسع من السنين، فلما أراد الله أن يحييهم أمر إسرافيل الملك أن ينفخ فيهم الروح فنفخ فقاموا من رقدتهم فلما أن بزغت الشمس قال بعضهم : قد غفلنا في هذه الليلة عن عبادة

إله السماء فقاموا فإذا العين قد غارت وإذا الأشجار قد يبست ، فقال بعضهم إن أمرنا لعجب ، مثل تلك العين الغزيرة قد غارت والأشجار قد يبست في ليلة واحدة؟ ومستمهم الجوع فقالوا: ابعثوا بورقكم هذه إلى المدينة فلينظر أيها أذكى طعاماً فليأتكم برزق منه وليتلطف ولا يشعرن بكم أحداً. قال تمليخا لا يذهب في حوائجكم غيري ، ولكن إُدفع أيها الراعي إليّ ثيابك ، قال : فدفع الراعي ثيابه ومضى يؤم المدينة فجعل يرى مواضع لا يعرفها وطرقاً هو ينكرها حتى آتى باب المدينة وإذا عليه علم أخضر مكتوب عليه لا إله إلا الله عيسى رسول الله ، قال : فجعل ينظر إلى العلم ويمسح عينيه ويقول : أراني نائماً ثم دخل المدينة حتى آتى السوق فأتى رجلاً خبّازاً : (فقال : أيها الخباز ما اسم مدينتكم هذه؟ قال : أقسوس قال : وما أسم ملككم؟ قال : عبد الرحمن ، قال : إُدفع إليّ بهذه الورق طعاماً ، فجعل الخباز يتعجب من ثقل الدراهم ومن كبرها قال : فوثب اليهودي وقال : يا علي وما كان وزن كل درهم منها؟ قال : وزن كل درهم عشرة دراهم وثلاثا درهم ، فقال الخباز يا هذا أنت أصبت كنزاً؟ فقال تمليخا : ما هذا إلا ثمن تمر بعته منذ ثلاث وخرجت من هذه المدينة وتركت الناس يعبدون دقيانوس الملك ، قال : فأخذ الخباز بيد تمليخا وأدخله على الملك فقال : ما شأن هذا الفتى؟ قال الخباز هذا رجل أصاب كنزاً ، فقال الملك : (يا فتى لا تخف فإن نبينا عيسى أمرنا أن لا نأخذ من الكنز إلا خمسة فأعطني خمسة وامضِ سالماً).

فقال تمليخا : انظر أيها الملك في أمري ، ما أصبت كنزاً ، أنا رجل من أهل هذه المدينة ، فقال الملك ، أنت من أهلها؟ قال : نعم ، قال : فهل تعرف بها أحداً؟ فقال : نعم ، قال : ما اسمك؟ قال اسمي تمليخا ، قال : وما هذه أسماء زماننا ، فقال الملك : فهل لك في هذه المدينة دار؟ قال : نعم اركب أيها الملك معي ، قال فركب الملك والناس معه فأتى بهم أرفع دار في المدينة ، قال تمليخا : هذه الدار لي ففرع الباب فخرج إليهم شيخ وقد وقع حاجباه على عينيه

من الكبر، فقال: ما شأنكم؟ فقال الملك: أتاننا هذا الغلام بالعجائب، يزعم أن هذه الدار داره، فقال له الشيخ: من أنت؟ قال: أنا تمليخا بن قسطيكين، قال فانكب الشيخ على رجليه يقبلهما ويقول: هو جدي ورب الكعبة، فقال، أيها الملك هؤلاء الستة الذين خرجوا هرباً من دقيانوس الملك^(١) قال فنزل الملك عن فرسه وحمله على عاتقه وجعل الناس يقبلون يديه ورجليه، فقال: يا تمليخا ما فعل أصحابك؟ فأخبر أنهم في الكهف، وكان يومئذ بالمدينة ملك مسلم (أي مسلم بعيسى عليه السلام) وملك يهودي فركبوا في أصحابهم فلما صاروا قريباً من الكهف قال لهم تمليخا: إني أخاف أن تسمع أصحابي أصوات حوافر الخيول فيظنون أن دقيانوس الملك قد جاء في طلبهم، ولكن أمهلوني حتى أتقدم فأخبرهم فوقف الناس فاقبل تمليخا حتى دخل الكهف فلما نظروا إليه اعتنقوه وقالوا: الحمد لله الذي نجاك من دقيانوس، قال تمليخا: دعوني عنكم وعن دقيوسكم، قال: كم لبثتم؟ قالوا: لبثنا يوماً أو بعض يوم؟ قال تمليخا: بل لبثتم ثلاث مائة وتسع سنين وقد مات دقيانوس وانقرض قرن بعد قرن، وبعث الله نبياً يقال له المسيح عيسى بن مريم عليه السلام ورفع الله إليه^(٢)، وقد أقبل إلينا الملك والناس معه قالوا: يا تمليخا أتريد أن تجعلنا فتنة للعالمين؟ قال تمليخا: فما تريدون؟ قالوا: ادع الله جل ذكره وندعوه معك حتى يقبض أرواحنا فرفعوا أيديهم، فأمر الله تعالى بقبض أرواحهم وطمس الله باب الكهف على الناس، فأقبل الملكان يطوفان على باب الكهف سبعة أيام لا يجدان للكهف باباً، فقال الملك المسلم: ماتوا على ديننا، ابني على باب الكهف مسجداً، وقال

(١) الرदन أصل الكم وهو طرفه الواسع وكانت العرب تضع فيه الدراهم والدنانير، وفي العرائس زيادة، إن تمليخا قال لهم، إخواني ما أجد لي ولكم حيلة إلا الهرب من هذا الجبار إلى ملك السماوات والأرض، فقالوا الرأي ما رأيت، فوثب تمليخا فابتاع تمراً بثلاثة دراهم وصرها في ردائه . الخ .

(٢) في العرائس زيادة، ولقد كان عيسى (ع) أخبرنا بقصتهم وأنهم مسيحيون .

اليهودي، لا بل ماتوا على ديني، ابني على باب الكهف كنيسة، فاقتتلا، فغلب المسلم وبنى مسجداً عليه .

يا يهودي أوافق هذا ما في توراتكم؟ قال: ما زدت حرفاً ولا أنقصت، وأنا أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً عبده ورسوله .

نقل الحديث بطوله عن الثعلبي في العرائس شيخنا الأميني في كتابه (الغدير) ج ٦ ص ١٣٥ ورواه البحراني في تفسيره (البرهان) م ٢ ص ٤٦٠ عن الحسن بن أبي الحسن الديلمي مسنداً عن ابن عباس، ونقله عن البحراني مختصراً الطبسي في كتابه (الشيعه والرجعة) ج ٢ ص ١١٤، كما نقله عن المجلسي في (البحار)، ونقله بالتفصيل الشيخ نجم الدين العسكري في كتابه (علي والخلفاء) ص ١٥٦ عن عدة مصادر منها (العرائس) للثعلبي وعن (الفتح المبين في كشف حق اليقين) لمحمد بن علي الحكيم الترمذي وغيرهما .

ونقله البهادلي في كتابه (فلسفة الشهادة) عن الثعلبي في (العرائس) ص ١١٣، ونقله السيد نعمة الله الجزائري في كتابه (النور المبين في قصص الأنبياء والمرسلين) ص ٢٤٦ عن قصص الراوندي إلى غير ذلك ممن نقل الحديث أو أشار إليه ونكتفي الآن بهذين الحديثين عن ذكر بقية الأحاديث الأخرى التي تستعرض قصتهم وهي كثيرة روماً للاختصار ونعود إلى ذكر أحاديث آخر تتعلق بإحيائهم مرة أخرى .

إحياء أهل الكهف أيام النبي ﷺ في أحاديث

جاءت أحاديث كثيرة من طرق متعددة من الخاصة والعامة تصرّح بأن الله تعالى شأنه قد أحيى أهل الكهف أيام النبي ﷺ وأنهم آمنوا به وأبلغوا سلامهم عليه على لسان بعض أصحابه، وصرحوا بأن علياً عليه السلام هو الوصي للرسول ﷺ من بعده، ثم عادوا إلى رقدتهم، كما تصرّح تلکم الأحاديث أيضاً أن الله سيحييهم مرة أخرى أيام المهدي (عج) ويكونون من أعوانه .

وإليك بعض: تلك الأحاديث بنصوصها ورواتها من الأئمة الطاهرين
والصحابه المكرمين عن الصادق الأمين عليه السلام ، والإشارة إلى ما في بعضها
الأخر من زيادة أو نقصان والله هو المستعان .

٣ - نقل المجلسي في (البحار) ج ١٤ ص ٤٢٠ عن كتاب (قصص
الأنبياء) للراوندي بسنده عن الصدوق عن أبيه عن سعد، عن ابن عيسى، عن
القاسم بن يحيى، عن جده الحسن بن راشد، عن جابر (أي جابر الجعفي) عن
أبي جعفر (أي الباقر عليه السلام) قال: صلى النبي عليه السلام ذات ليلة ثم توجه إلى البقيع
فدعا أبا بكر وعمر وعثمان وعلياً فقال: امضوا حتى تأتوا أصحاب الكهف
وتقرؤوهم مني السلام وتقدم أنت يا أبا بكر فإنك أسن القوم، ثم أنت يا عمر،
ثم أنت يا عثمان، فإن أجابوا واحداً منكم وإلا تقدم أنت يا علي كن آخرهم، ثم
أمر الريح فحملتهم حتى وضعتهم على باب الكهف، فتقدم أبو بكر فسلم فلم
يردوا فتنحى، فتقدم عمر فسلم فلم يردوا عليه، وتقدم عثمان وسلم فلم يردوا
عليه، وتقدم علي وقال: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، أهل الكهف الذين
آمنوا بربهم وزادهم هدى، وربط على قلوبهم، أنا رسول رسول الله إليكم
فقالوا: مرحباً برسول الله وبرسوله وعليك السلام يا وصي رسول الله ورحمة الله
وبركاته. قال: فكيف علمتم أني وصي النبي عليه السلام؟ فقالوا: إنه ضربَ على
أذاننا ألا نكلم إلا نبياً أو وصيَ نبي، فكيف تركت رسول الله عليه السلام؟ وكيف
حشمه؟ وكيف حاله؟ وبالغوا في السؤال، وقالوا: خبر أصحابك هؤلاء إنا لا
نكلم إلا نبياً أو وصيَ نبي، فقال لهم: أسمعتم ما يقولون؟ قالوا: نعم، قال:
فاشهدوا، ثم حوّلوا وجوههم قبل المدينة فحملتهم الريح حتى وضعتهم بين
يدي رسول الله عليه السلام فأخبروه بالذي كان، فقال لهم النبي عليه السلام: قد رأيتم
وسمعتم فاشهدوا قالوا: نعم، فانصرف النبي عليه السلام إلى منزله وقال لهم:
احفظوا شهادتكم.

وروى هذا الحديث البحراني في تفسيره (البرهان) ج ٢ ص ٤٥٧ ، ونقله عن الراوندي مسنداً السيد نعمة الله الجزائري في كتابه (النور المبين) ص ٣٥١ .

٤ - قال الشيخ سليمان الحنفي في كتابه (ينابيع المودة) ص ١٤١ : أخرج الثعلبي (أي في تفسيره الكشف والبيان) عن أبان عن أنس ، وأيضاً عن مجاهد عن ابن عباس^(١) . قال : أهدى لرسول الله ﷺ بساط من خندف ، فقال : يا أنس ابسطه فبسطته ، ثم قال لي : ادعُ العشرة من الأصحاب فدعوتهم فلما دخلوا أمرهم بالجلوس على البساط ، فدعا علياً عليه السلام فناجاه طويلاً ثم أمره بالجلوس على وسط البساط ، فجلس علي على وسطه ، فقال يا ربح احملينا فحملتنا الريح ، قال أنس : فإذا البساط يدف بنا دفأً ثم قال يا ربح ضعينا فوضعتنا في موضع ، وقال علي عليه السلام هل تدرون أنتم في أي مكان؟ قلنا : لا ندري ، قال : هذا موضع أصحاب الكهف والرقيم قوموا وسلموا على إخوانكم فسلمنا عليهم فلم يردوا علينا السلام فقام علي عليه السلام وقال : السلام عليكم أيها الصديقون ، فقالوا : وعليك السلام ورحمة الله وبركاته . قال أنس ، قال لهم عليّ : ما بالكم لم تردوا السلام على إخواني؟ قالوا نحن معشر الصديقين لا نكلم إلا نبياً أو وصياً ، فصاروا إلى رقدتهم إلى خروج المهدي (عج) فيحييهم الله عند خروجه : ثم جلسنا على البساط وقال علي : يا ربح احملينا فحملتنا تدف بنا دفأً ، ثم قال : يا ربح ضعينا فوضعتنا في الحرة^(٢) فقال علي ندرك النبي ﷺ في آخر ركعة ، وأتينا ولحقنا في آخر ركعة .

قال الشيخ سليمان الحنفي بعدما نقل الحديث عن الثعلبي :

أيضاً أخرج هذا الحديث ابن المغازلي عن معمر عن أنس بن مالك ، ثم

(١) لم يذكر في العرائس بعث المسيح ورفع ، بل قال ، وآمن أهل المدينة بالله العظيم .

(٢) الحرة : أرض قرب المدينة المنورة .

قال : أيضاً أخرجه صاحب المناقب عن ثابت عن أنس ، وأيضاً عن الزهري عن أنس — وأيضاً عن قتادة البصري عن أنس . الخ .

ونقل الحديث بنصه عن الثعلبي الشيخ نجم الدين العسكري في كتابه (علي والوصية) ص ٢٩٠ ، ونقل قبله ص ٢٨٩ حديث الفقيه أبي الحسن ابن المغازلي في المناقب بسنده عن معمر ، عن أبان ، عن أنس ، وقال بعد ذكر الحديثين : أخرج السيد البحراني في (غاية المرام) ص ٦٣٤ حديث البساط من مناقب ابن المغازلي ، ومن تفسير الثعلبي ، ثم قال : وأخرج في (غاية المرام) حديثاً آخر في قضية سلام الأصحاب على أصحاب الكهف نقلاً من تفسير آخر لعلماء السنة - وهذا نصه :

٥ — من تفسير أبي إسحاق بن إبراهيم بن أحمد القزويني في تفسير سورة الكهف بسنده عن محمد بن يعقوب الحوال الدينوري قال حدثني جعفر بن نصر بجمص (قال حدثنا) عبد الرزاق عن معمر ، عن ثابت ، عن أنس بن مالك قال : أهدي لرسول الله ﷺ بساط من قرية يقال لها خندف فقعده عليه علي وأبو بكر وعمر وعثمان والزبير وعبد الرحمن بن عوف وسعد ، فقال النبي ﷺ يا علي قل يا ريح احملينا فقال علي ﷺ يا ريح احملينا فحملتهم حتى أتوا أصحاب الكهف فسلم أبو بكر وعمر فلم يردوا عليهما السلام ، ثم قام علي فسلم فردوا عليه السلام ، فقال أبو بكر : يا علي ما بالهم ردوا عليك وما ردوا علينا؟ فقال لهم علي ، فقالوا : إنا لا نرد بعد الموت إلا على نبي أو وصي نبي ، ثم قال علي : يا ريح احملينا ، ثم قال : يا ريح ضعينا فوضعنا ، فركز برجله الأرض فخرج الماء ، فتوضأ علي وتوضأنا ، ثم قال يا ريح احملينا فحملتنا فوافينا المدينة والنبي ﷺ في صلاة الغداة وهو يقرأ ﴿ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا ﴾ فلما قضى النبي الصلاة قال : يا علي أخبرونا عن مسيركم أو تحبون أنا أخبركم قالوا : بل تخبرنا يا رسول الله ، فقال أنس : فقص

القصة كأنه كان معنا، ونقله بنصه عن القزويني ابن طاووس في (سعد السعود) ص ١١٣ على ما نقله عنه المجلسي في (البحار) ج ٣٩ ص ١٤١ فراجع قال الشيخ نجم الدين العسكري بعد ذكر هذا الحديث ص ٢٩٢: وأخرج العلامة السيد هاشم البحراني في (غاية المرام) ص ٦٣٥ حديث آخر من طرق أهل السنة فيه إضافات وتفصيل للقصة أكثر من الأحاديث السابقة ثم ذكره بنصه عن الزهري وعن قتادة عن أنس فراجع إذا شئت.

وقال العسكري أيضاً ص ٢٦٤: ثم لا يخفى أن رواة حديث البساط - على ما عثرنا عليه - في كتب أهل السنة والإمامية هم عليّ أمير المؤمنين عليه السلام وابن عباس، وجابر بن عبد الله، وأنس بن مالك ومن أهل البيت عليهم السلام الإمام الصادق، وأحاديثهم مختلفة اللفظ ويزيد بعضها على بعض في اللفظ والمعنى. وأما العشرة الذين أمر أنس بإحضارهم فهم حسب ما عثرنا عليهم في أحاديث الفريقين - سيدهم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، وسلمان، وطلحة، والزبير وسعد، وسعيد، وعبد الرحمان بن عوف، وأبو بكر، وعمر وعثمان.. الخ.

وذكر حديث ابن المغازلي في (المناقب) المرعشي في تعليقاته على كتاب (إحقاق الحق) ج ٤ ص ٩٨ نقلاً عن كتاب (الدر الثمين) مخطوط، ونقل المجلسي في (البحار) ج ٣٩ ص ١٤٩ حديث ابن المغازلي في كتاب (المناقب) والثعلبي في تفسيره بواسطة كتاب (الطرائف) ص ٢١، كما نقل حديث ابن المغازلي بسنده ص ١٥٠ عن كتاب العمدة، وروى الحديث ابن شهر آشوب في (المناقب) ج ٢ ص ٣٣٧ عن عدة مصادر منها كتاب ابن بابويه (أي الصدوق) وأبي القاسم البستي، والقاضي أبو عمر وابن أحمد، عن جابر وأنس ونقله الطبرسي في (الشيعة والرجعة) ج ١ ص ١١٨ نقلاً عن ابن البطريق في كتابه العمدة ص ١٩٤ مسنداً عن أنس، ومن أراد الإطلاع على نصوص تلك الأحاديث

ومصادرها الكثيرة فعليه مراجعة كتاب (علي والوصية) للعسكري من ص ٢٨٩ - ص ٢٩٨ ، والمجلسي في (البحار) ج ٣٩ من ص ١٣٦ - ص ١٥٠ ، و(غاية المرام) ص ٦٣٤ وما بعدها وما قبلها .

هذا وقد أكثر الشعراء نظم حديث البساط قديماً وحديثاً، وقد ذكر ابن شهر آشوب قسماً من أشعارهم فمنها ما نقله عن خطيب منيح ج ٢ ص ٣٣٨ :

وَمَنْ حَمَلْتَهُ رِيحَ اللَّهِ حَتَّى أَتَى أَهْلَ الرِّقِيمِ الرَّاqِدِينَ
وَمَنْ نَادَى بِأَهْلِ الْكَهْفِ حَتَّى أَقْرُوا بِالْوَلَايَةِ مَفْرَحِينَ
وقال العوني :

وَمَنْ حَمَلْتَهُ الرِّيحُ فَوْقَ بَسَاطِهِ فَأَسْمَعَ أَهْلَ الْكَهْفِ حِينَ تَكْلِمَا
وله أيضاً :

عَلَيَّ طَارِقَ الْكَهْفِ بِإِعْلَانٍ وَإِجْهَارٍ
وللسيد الحميري :

لَهُ الْبَسَاطُ إِذْ سَرَى فَمَا أَجَابُوا فِي النِّدَا
وَفَتِيَّةَ الْكَهْفِ دَعَا سَوَى الْوَصِيِّ الْمُرْتَضَى
وله أيضاً :

سَلُوا فَتِيَّةَ الْكَهْفِ الَّذِينَ أَتَاهُمْ فَأَيُّقُظُ فِي رَدِّ السَّلَامِ مَنَامَهَا
وقال ابن العميد :

مَنْ كَلَّمَ الْفَتِيَّةَ فِي الْكَهْفِ وَلَمْ يَكْلَمْوا حَقّاً سِوَاهُ إِذْ دَعَا
وقال علاء الدين الحلبي في إحدى قصائده الرائعة :

وَعَلَوْتَ مِنْ فَوْقِ الْبَسَاطِ مَخَاطِباً أَهْلَ الرِّقِيمِ فَخَاطَبُوكَ مَعْجَلاً
أَمْخَاطَبَ الْأَذْيَابِ فِي فَلَوَاتِهَا وَمَكْلَمَ الْأَمْوَاتِ فِي رَمْسِ الْبَلَا

حَدِيثٌ مُخَرَّفٌ

نعم هكذا جاء في حديث البساط الشهير مسانيد عديدة، ومصادر كثيرة من طرق الفريقين، وعن جملة من أئمة الهدى، والصحابة الكرام، والتابعين لهم بإحسان، ولكن هناك بعض من لا يروق له أن يختص علي أمير المؤمنين عليه السلام وحده بمخاطبة أهل الكهف والسلام عليهم، وردهم السلام على رسول الله ﷺ وعليه، وإعلانهم بأنه وصي النبي دون غيره، وأنهم مأمورون من الله أن لا يكلموا إلا نبياً أو وصياً فخرّف الحديث وغير مضامينه حسب ميوله ورغباته وإليك الحديث المتخرف بنصه الذي نقله الثعلبي في كتابه (قصص الأنبياء والمعروف بالعرائس) ص ٢٤١ مقطوع السند، ولا راوٍ له معيّن حيث قال :

٦ - ويروى إن النبي ﷺ سأل ربه أن يراهم، فقال، إنك لن تراهم في دار الدنيا^(١) ولكن إبعث إليهم أربعة من خيار أصحابك ليبلغوهم رسالتك ويدعوهم إلى الإيمان بك، فقال رسول الله ﷺ لجبرئيل: كيف أبعثهم؟ قال: ابسط كساءك وأجلس على طرف من أطرافه أبا بكر وعلى الثاني عمر وعلى الثالث علي بن أبي طالب كرم الله وجهه وعلى الرابع أبا ذر، ثم ادعُ الريح الرخاء المسخرة لسليمان بن داود فإن الله أمرها أن تطيعك ففعل النبي عليه الصلاة والسلام ما أمره به فحملتهم الريح حتى انطلقت بهم إلى باب الكهف، فلما دنوا من باب الكهف قلعوا منه حجراً فقام الكلب حين أبصر الضوء وهزّ وحمل عليهم فلما رأهم حرك رأسه وبصّبص بذنبه وأوماً برأسه أن ادخلوا

(١) حاشا لله أن يرد سؤال حبيبه محمد(ص) في طلبه رؤية أهل الكهف ويقول له: أنك لن تراهم في دار الدنيا، وما أدري ما العلة أو الحكمة في عدم إجابة سؤاله لو كان ذلك حقيقة واقعة على ما يقول هذا المتخرف للحديث؟ إقرأ واحكم.

الكهف فدخلوا وقالوا، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته فرد الله عليهم أرواحهم فقاموا بأجمعهم وقالوا: وعليكم السلام، فقالوا: وعلى محمد رسول الله السلام ما دامت السموات والأرض وعليكم بما بلغتكم، ثم أنهم جلسوا بأجمعهم يتحدثون، فآمنوا بمحمد ﷺ وقبلوا دين الإسلام وقالوا: أقرءوا محمداً ﷺ منا السلام، ثم أنهم أخذوا مضاجعهم وصاروا إلى رقدتهم إلى آخر الزمان عند خروج المهدي، فيقال: إن المهدي يسلم عليهم فيحييهم الله تعالى ثم أنهم يرجعون إلى رقدتهم فلا يقومون إلى يوم القيامة، ثم جلس كل واحد منهم على مكانه وحملتهم الريح الرخاء فهبط جبرئيل عليه السلام فأخبر النبي ﷺ بما كان منهم، فلما أتوا النبي ﷺ قال: كيف وجدتموهم وما الذي أجابوكم؟ فقالوا: يا رسول الله دخلنا عليهم وسلمنا عليهم فقاموا فردوا السلام بأجمعهم وبلغناهم رسالتك فأجابوا وأنابوا وشهدوا أنك رسول الله حقاً وحمدوا الله على ما أكرمهم بخروجك وتوجيه رسلك إليهم وهم يقرؤون عليك السلام فقال عليه الصلاة والسلام: اللهم لا تفرق بيني وبين أصهاري وأحبائي واغفر لمن أحبني وأحب أهلي بيتي وأحب أمتي وأحب أصحابي.

ونقله عن الثعلبي الدميري في (حياة الحيوان) ج ٢ ص ٥١٧.

أهل الكهف أعوان الإمام المهدي (عج)

٧ — قال السيوطي في تفسيره (الدر المنثور) ج ٤ ص ٢١٥: وأخرج ابن مردويه عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: أصحاب الكهف أعوان الإمام المهدي (عج).

ونقله عن (الدر المنثور) الطباطبائي في تفسيره (الميزان) ج ١٣ ص ٣١٠.

٨ — قال الدميري في كتابه (حياة الحيوان) ج ٢ ص ٥١٨: وقد رأيت في كتاب (الشفاء) للإمام أبي ربيع سليمان بن سبع ما نصه: روي أن عيسى عليه السلام يعمر بعد الدجال ويأجوج ومأجوج أربعين سنة، ويكون حواريوه أصحاب

الكهف والرقيم، ويحتجون معه لأنهم لم يحجوا ومن المعلوم، والمتفق عليه بالإجماع أن عيسى بن مريم عليه السلام ينزل من السماء عند ظهور الإمام المهدي (عج) ويكون من أصحابه ويصلي خلفه، فهو إذاً من جملة أعوانه وأنصاره وكذلك أصحاب الكهف يكونون من أنصاره وأعوانه كما جاء في الأحاديث السابقة.

٩ - ويؤيد ما تقدم ما ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: يخرج مع القائم من ظهر الكعبة وفي نص: من ظهر الكوفة سبعة وعشرون رجلاً، خمسة عشر من قوم موسى عليه السلام الذين كانوا يهدون بالحق وبه يعدلون^(١) وسبعة من أهل الكهف، ويوشع بن نون وسليمان، وأبو دجاجة الأنصاري، والمقداد ومالك الأشتر، فيكونون بين يديه أنصاراً وحكاماً. هذا الحديث رواه كثير من العلماء والمؤلفين منهم الشيخ المفيد في (الإرشاد) ص ٣٤٤، والطبرسي في كتابه (إعلام الوري بأعلام الهدى) ص ٤٣٣ عن المفضل بن عمر عن الإمام الصادق عليه السلام ونقله عن المصدرين السابقين المجلسي في (البحار) ج ٥٣ ص ٩٠، ونقله عن المفيد الحر العاملي في (الإيقاظ) ص ٢٤٩، ورواه عن الإمام الصادق عليه السلام الفتال النيسابوري في كتاب (روضة الواعظين) ج ٢ ص ٢٦٦ ونقله عن المولى محسن الفيض في تفسيره (الصافي) ورواه البحراني في تفسيره (البرهان) ج ٢ ص ٤٦٠ عن ابن الفارسي عن الصادق عليه السلام ونقله عنه العلامة الطباطبائي في تفسيره (الميزان) ج ١٣ ص ٣١٠، كما نقله عنه أيضاً الطبرسي في (الشيعة والرجعة) ج ١ ص ١١٨، ورواه العياشي في (تفسيره) ج ٢ ص ٣٢ بهذا النص عن المفضل بن عمر عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إذا قام قائم آل محمد استخرج من ظهر الكعبة سبعة وعشرين رجلاً خمسة عشر من قوم موسى الذين يقضون بالحق وبه يعدلون، وسبعة من أصحاب الكهف ويوشع بن

(١) إشارة إلى قوله تعالى في الأعراف/ ١٦٠ (وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ).

نون وصي موسى ، ومؤمن آل فرعون وسلمان الفارسي وأبا دجانة الأنصاري ومالك الأشتر ، ونقله عنه المجلسي في (البحار) ج ٥٢ ص ٣٤٦ ، والبحراني في تفسيره (البرهان) ج ٢ ص ٤١ والمولى محسن الفيض في تفسيره (الصافي) ، و(إثبات الهداة) ج ٧ ص ٩٨ .

راجع حاشية العياشي ، ونقله عنه الحر العاملي في (الإيقاظ) ص ٢٥٠ ، كما نقله عن علي بن عيسى الأربلي في كشف الغمة نقلاً عن (إرشاد المفيد) ج ٣ ص ٢٥٦ ، ورواه زين الدين العاملي في كتابه (الصراط المستقيم) ج ٢ ص ٢٥٤ ، والسيد عبد الله شبر في كتابه (حق القين) ج ٢ ص ١٨ عن العياشي والمفيد .

أرأيت كيف جاءت أخبار الخاصة والعامة عن النبي ﷺ وأهل بيته الأطهار وأصحابه الكرام صريحة برجعة أهل الكهف إلى الدنيا أيام النبي ﷺ ، وقد أرجعهم الله الذي هو على كل شيء قدير لاقتضاء حكمته في إثبات الوصاية لعلي عليه السلام بعد الرسول ﷺ ، وأن الله سيرجعهم مرة أخرى أيام المهدي (عج) ليكونوا من أنصاره وأعوانه كما ويصرح الحديث السابق المرقم / ٩ عن الإمام الصادق عليه السلام أنه سيرجع معهم أيضاً خمسة عشر من قوم موسى عليه السلام ممن وصفهم الله في كتابه العزيز أنهم ﴿أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾ ويرجع معهم أيضاً يوشع بن نون وصي موسى . وسلمان الفارسي وأبو دجانة ، والمقداد ومالك الأشتر . وفي نص :

بدل المقداد مؤمن آل فرعون ، وأن هؤلاء كلهم يجعلهم الله أنصاراً للإمام وأعواناً له ، وحكاماً يحكمون بحكم الله العزيز الحكيم في دولة الحق المرتقبة ، والمؤكد بقوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ﴾ [الأنبياء / ١٠٥] .

إسرار أهل الكهف إيمانهم في دولة الكفر

نختتم الأخبار والأحاديث حول قصة أهل الكهف بأحاديث إسرارهم للإيمان، وإجهارهم للكفر في دولة الكفر والعدوان قبل هجرتهم وإيوائهم إلى الكهف، وأن الله قد أجرهم على ذلك مرتين حيث :

١٠ - روي العياشي في تفسيره ج ٢ ص ٣٢١ عن أبي بصير عن أبي عبدالله عليه السلام قال : إن أصحاب الكهف أسروا الإيمان وأظهروا الكفر فأجرهم الله مرتين .

ونقل هذا الحديث المجلسي في (البحار) ج ١٤ ص ٤٢٨ ، والبحراني في تفسيره (البرهان) ج ٢ ص ٤٥٦ والطباطبائي في تفسيره (الميزان) ج ١٢ ص ٣٠٤ وفند العلامة الطباطبائي قول من زعم أنهم لم يستعملوا التقية بإسرارهم الإيمان وإظهارهم الكفر بالأدلة فراجع . وما في معنى حديث أبي بصير ، عن الإمام الصادق عليه السلام جاءت أحاديث أخر من طرق عديدة ومصادر كثيرة ونصوص تؤيد بعضها بعضاً فمن تلك النصوص أيضاً ما رواه العياشي .

١١ - عن الكاهلي ج ٢ ص ٣٢٣ عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال : إن أصحاب الكهف أسروا الإيمان وأظهروا الكفر، وكانوا على إجهارهم الكفر أعظم أجراً منهم على الإسرار بالإيمان ونقله عن العياشي المجلسي في (البحار) ص ٤٢٦ ، والبحراني في تفسيره (البرهان) ج ٢ ص ٤٥٧ والمولى محسن الفيض في تفسيره (الصافي)، والعلامة الطباطبائي في (الميزان) ج ١٢ ص ٣٠٤ والجزائري في (النور المبين) ص ٣٥٢ .

١٢ - في نص آخر عن درست عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال : ما بلغت تقية أحد ما بلغت تقية أصحاب الكهف، وكانوا ليشدّون الزنانير^(١) ويشهدون

(١) الزنانير : جمع زنار ، وهو ما يشد أو يلبس على وسط النصارى والمجوس ، (القاموس فصل الزاي باب الراء ج ٢ ص ٤١) .

الأعياد وأعطاهم الله أجرهم مرتين، (المصادر السابقة). ورواه الكليني في أصول الكافي بسنده عن درست الواسطي ج ٥ ص ٢٩١ من شرحه الشافي للمظفري ونقله عنه المجلسي في (البحار) ج ١٤ ص ٤٢٨.

١٣ - وفي نص آخر عن عبيد الله بن يحيى عن أبي عبد الله عليه السلام أنه ذكر أصحاب الكهف فقال: لو كلفكم قومكم ما كلفهم قومهم، (وفي نص يضيف): فافعلوا فعلهم فقليل له ما كلفهم قومهم: فقال: كلفوهم الشرك بالله العظيم.

فأظهروا لهم الشرك وأسروا الإيمان حتى جاءهم الفرج (المصادر السابقة)، وقصص الأنبياء للراوندي على ما في (البحار) ص ٤٢٥.

١٤ - وفي نص رواه الكليني في (الكافي) ج ٤ ص ٥٧٥ من شرحه الشافي بسنده عن هشام بن سالم عن أبي عبد الله عليه السلام والصدوق في (الأمالي) ص ٣٦٦ بسنده عن عبد الله بن الفضل الهاشمي عن الصادق جعفر ابن محمد عليه السلام أنه قال: أن مثل أبي طالب مثل أصحاب الكهف حين أسروا الإيمان وأظهروا الشرك فاتاهم الله أجرهم مرتين. ونقله بالسندين، وعن المصدرين الكافي والأمالي، المجلسي في (البحار) ج ٣٥ ص ٧٢، والبحراني في تفسيره (البرهان) ج ٢ ص ٤٥٦ نقلاً عن الكافي والشيخ نجم الدين العسكري في كتابه (محمد وعلي وبنوه الأوصياء) ج ٢ ص ٣٢٥ نقلاً عن الكافي والأميني في كتابه (الغدير) ج ٧ ص ٣٨١ - ص ٣٩١ عن الكافي والأمالي والحجة ص ١١٥، و(روضة الواعظين) ص ١٢١ وفي طبعة ص ١٣٩ ورواه المفيد في كتابه الاختصاص ص ٢٣٤ عن الإمام الصادق عليه السلام.

١٥ - وفي حديث آخر رواه الصدوق في (الأمالي) ص ٣٦٦ بسنده عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أنه سأله رجل فقال له، يا بن عم رسول الله أخبرني

عن أبي طالب هل كان مسلماً؟ فقال : كيف لم يكن مسلماً وهو القائل :

وقد علموا أنّا لا مكذبٌ لدينا ولا يعبأ بقول الأباطل

ثم قال : أن أبا طالب كان مثله كمثل أصحاب الكهف حين أسروا الإيمان وأظهروا الشرك فآتاهم الله أجرهم مرتين . ونقله عن الأمالي المجلسي في (البحار) ج ٣٥ ص ٧٢ ، ثم قال : رواه السيد فخار بن معدّ الموسوي عن شاذان بن جبرئيل ، بإسناده إلى ابن الوليد ، وفي حاشية البحار عين المصدر حيث قال : الحجة على الذهاب إلى تكفير أبي طالب ص ٩٤ : نقله عن الأمالي أيضاً الشيخ نجم الدين العسكري في كتابه (محمد وعلي وبنوه الأوصياء) ج ٢ ص ٢٣٦ ، والأميني في كتابه (الغدير) ج ٧ ص ٣٩٧ عن الأمالي والحجة للسيد ابن معدّ ، وقال : ذكره غير واحد من أئمة الحديث . ورواه الفتال النيسابوري في (روضة الواعظين) ج ١ ص ١٣٩ .

١٦ — روى الراوندي في قصص الأنبياء بسنده عن الفضيل بن يسار عن أبي جعفر (أي الباقر عليه السلام) قال : أن أصحاب الكهف كذبوا الملك فأجروا ، وصدقوا فأجروا . ونقله عنه المجلسي في (البحار) ج ١٤ ص ٤٢٦ .

١٧ — روى السيد بن معدّ في كتابه (الحجة) ص ١٧ بسنده عن عبد الرحمن بن كثير قال : قلت لأبي عبد الله عليه السلام أن الناس يزعمون أن أبا طالب في ضحضاح من نار ، فقال : كذبوا ما بهذا نزل جبرئيل على النبي ﷺ ، قلت وبم نزل؟ قال : أتى جبرئيل في بعض ما كان عليه فقال : يا محمد إن ربك يُقرؤك السلام ويقول لك : إن أصحاب الكهف أسروا الإيمان وأظهروا الشرك فآتاهم الله أجرهم مرتين ، وإن أبا طالب أسر الإيمان وأظهر الشرك فآتاه الله أجره مرتين ، وما خرج من الدنيا حتى أتته البشارة من الله تعالى بالجنة ثم قال ﷺ : كيف يصفونه بهذا وقد نزل جبرئيل ليلة مات أبو طالب فقال : يا

محمد أخرج من مكة فما لك بها ناصر بعد أبي طالب^(١) نقل هذا الحديث بهذا النص الأميني في (الغدير) ج ٧ ص ٣٩١ عن المصدر المذكور، وقال: وذكره العلامة المجلسي في (البحار) ج ٩ ص ٢٤ والسيد في الدرجات الرفيعة، والفتوني في (ضياء العالمين)، وروى شيخنا أبو الفتوح الرازي هذا الحديث في تفسيره ج ٤ ص ٢١٢، راجع (البحار) ط الجديد ج ٣٥ ص ١١١، و(الدرجات الرفيعة) ص ٤٩ ونص حديثه: روي عن أبي عبد الله عليه السلام جعفر بن محمد الصادق أنه قال: إن رسول الله ﷺ قال: إن أصحاب الكهف أسروا الإيمان وأظهروا الشرك فأتاهم الله أجرهم مرتين، وأن أبا طالب عليه السلام أسر الإيمان وأظهر الشرك فأتاه الله أجره مرتين. وبهذا النص ذكره بن أبي الحديد في شرح (نهج البلاغة) م ٣ ص ٣١٢، ونقله عنه الأميني في (الغدير) ج ٧ ص ٣٨١، والعسكري في كتابه (محمد وعلي وبنوه الأوصياء) ج ٢ ص ٢٤٧ وص ٣٢٥، ونقل حديث السيد ابن معاذ بنصه ص ٣٢٦.

التقية ومشروعيتها لهذه الأمة والأمة الماضية

هذه الأحاديث الواردة عن الله تعالى ورسوله ﷺ وعن الإمام الباقر وابنه الإمام الصادق عليه السلام من طرق متعددة وعن ابن عباس من رقم ١٠ - ١٧ تثبت لنا:

أولاً: - أن التقية عند الحاجة والضرورة - كانت مشرعة من الله لعباده المؤمنين به ورسوله في الأمم الماضية، ولذلك عمل بها أهل الكهف وغيرهم كثير، ومنهم مؤمن آل فرعون على ما نطقت به الآية الشريفة: ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ

(١) إذا أردت أن تعلم علم اليقين، وبالأدلة القطعية إثبات إيمان أبي طالب (ع) وحسن عاقبته فارجع إلى كتاب (الغدير) ج ٧ من ص ٣٣٠ - إلى آخر ص ٤١٠، وج ٨ ص ٢٣ - ص ٢٩ وكتاب (محمد وعلي وبنوه الأوصياء) ج ٢ من ص ١٢٤ - إلى آخر ص ٣٣٦.

رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكُ كَذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِيبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَابٌ ﴿[المؤمن/ ٢٨]﴾.

كما هي مشرعة للمؤمنين من هذه الأمة الإسلامية، وقد نصّ على تشريعها لهذه الأمة القرآن المجيد أيضاً في العديد من آياته البينات مثل قوله تعالى: ﴿لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَنَّةً وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾ [آل عمران/ ٢٨]، ومثل قوله تعالى: ﴿مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [النحل/ ١٠٦]، ومثل قوله تعالى في وصف بعض المؤمنين: ﴿أُولَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا وَيَذَرُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [القصص/ ٥٤]، حيث جاء في هذه الآية عن هشام بن سالم وغيره عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام في قول الله عز وجل: ﴿أُولَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا﴾ قال: بما صبروا على التقية، ﴿وَيَذَرُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ﴾ قال الحسنه التقية والسيئة الأذاعة (راجع الشافي في شرح الكافي ج ٥ ص ٢٨٩) ونقله عن الكافي المولى محسن الفيض في (تفسيره) والمجلسي في (البحار) ج ٧٥ ص ٤٢٢، ورواه البرقي أيضاً في (المحاسن) ص ٢٠٣، ونقله عنه أيضاً المجلسي في (البحار) ج ٧٥ ص ٣٩٧.

ثانياً: تُثبت لنا هذه الأحاديث الظروف القاسية التي عاشها أهل الكهف ومن كان معهم من المؤمنين الآخرين والضغط الشديد الذي كانوا يعانون منه من قبل جبار زمانهم وأعدوانه الظالمين قبل هجرتهم وإيوائهم إلى الكهف بحيث أجبروهم حتى على الشرك بالله العظيم، ومزاولة أعمالهم الفاسدة، ولكنهم مع ذلك كله كانوا محافظين على إيمانهم وكاتمين له ومظهرين لهم الشرك حفظاً على إزهاق أرواحهم حتى فرّج الله عنهم بالكيفية التي استعرضها القرآن المجيد

وبذلك الصبر والثبات على الإيمان آتاهم الله أجرهم مرتين أي أن الله أجرهم في كلتي الحالتين حيث أنهم عملوا بما يقتضيه التكليف في كل حالة منها امتثلوا فيها أمر خالقهم من كتمان الإيمان والإجهار بالكفر تقية وخوفاً وقد عبر القرآن العزيز عن ذلك الضغط الذي كانوا يعانون منه على لسانهم بعد أن أحياهم الله بقولهم: ﴿إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذَا أَبَدًا﴾ .

وهكذا استمروا على إيمانهم إلى قبض أرواحهم في الكهف، ثم وفقهم الله تعالى لإظهار إيمانهم بالنبي والوصي بعد أن أحياهم الله على يدي عليّ أمير المؤمنين عليه السلام كما مرّ في الأحاديث السابقة وسيحييهم الله مرة أخرى ليكونوا من أنصار الإمام المهدي وأعوانه في دولة الحق على ما أوضحتها الأحاديث قال تعالى: ﴿فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ﴾ [الرعد/ ١٧] .

سابعاً: قصص عيسى عليه السلام في إحيائه الموتى بإذن الله

ومن الآيات القرآنية التي يستفاد منها وقوع الرجعة في الأمم الماضية الآية التي تستعرض بعض معجزات عيسى عليه السلام والتي منها إحياءه الموتى وإرجاعهم أحياءً بعد موتهم بإذن الله حيث:

قال عز من قائل في محكم كتابه المجيد حاكياً على لسان عيسى مخاطباً قومه، ﴿أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّي أَخْلَقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُخِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدْخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران/ ٥٠] .

التدبر لمفاد الآية الكريمة

ذكرت هذه الآية الكريمة من سورة آل عمران مجيء عيسى عليه السلام رسولا إلى قومه بآية من الله سبحانه والمراد من هذه الآية الجنس لا الفرد لأنه عدّد ههنا أنواعاً من الآيات والمعجزات كلّ واحدة منها خارقة للعادة المعتادة بين بني الإنسان أيد الله بها رسوله عيسى بن مريم عليه السلام وجعلها دليلاً على صدق رسالته، وأحقية دعوته وبشائره وإنذاراته.

وهذه الآيات التي شاء الله إجرائها على يده كانت تتعلق حسب ترتيبها في الآية:

أولاً: بمنحه الحياة - بإذن الله - لمن لم تكن له حياة وهذا ما تضمنه النص القرآني في الآية: ﴿أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ وفي هذا النص ﴿أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ﴾ نسبة الخلق إلى غير الله تعالى، وهذا ما يُشعر به أيضاً قوله تعالى: ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ [المؤمنون/ ١٥]، ولكن هذه النسبة في الخلق لا تكون لغير الله عز وجل إلا بإذن خاص منه لمن شاء من حججه على خلقه، إذ لا خالق سواه إلا ما شاء وأذن هذا أولاً.

وثانياً: تتعلق بعض هذه الآيات برّد العافية لمن فقدتها، وهذا ما تضمنه قوله: ﴿وَأُبْرِئِ الْأَكْمَةَ وَالْأَبْرَصَ﴾ قيل: الأكمة هو الذي يولد أعمى وهذا وارد عن ابن عباس، وقتادة وهو الذي يذكره أغلب المفسرين وقد يؤيده بعضهم، والقول الثاني في معنى الأكمة هو مطلق العمى سواء كان منذ الولادة أو حدث بعدها، وهو وارد عن أبي جعفر الباقر عليه السلام في بعض أحاديثه، كما ورد أيضاً عن الحسن والسدي ولعله هو الأصح لإشتماله على المعنيين، وفي المعنى التالي يقول الشاعر العربي سويد بن أبي كاهل:

كمهت عيناه حتى ابيضتا فهو يلحي نفسه لما نزع

والأبرص من كان به برص وهو مرض جلدي معروف يتعذر غالباً شفاؤه
ورد العافية لهذين الصنفين هي درجة من درجات الحياة أيضاً.

وثالثاً: تتعلق بعض هذه الآيات برّد الحياة لمن فقدتها بعد الموت وهذا ما
تضمّنه قوله تعالى: ﴿وَأُخِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ وهذا النص يدلّ دلالة واضحة
على إحيائه العديد من الموتى أو الكثير منهم، كما أن الأحاديث تصرّح أيضاً
بذلك، والمفسرون يذكرون العديد ممّن أحياهم عيسى بعد الموت كما سيأتي
بإذن الله.

رابعاً: تتعلق بعض الآيات بالأخبار بالغيب المختص بالله تعالى ومن
خصه به من حججه بالوحي والإلهام قال تعالى: ﴿عَلِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى
غَيْبِهِ أَحَدًا إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا﴾
[الجن/ ٢٦ - ٢٧]، وهذا ما تضمّنه قوله: ﴿وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدْخِرُونَ
فِي بُيُوتِكُمْ﴾ ونلاحظ في هذه الآية الكريمة في استعراضها لتلك الآيات
والمعجزات أنها قيّدت اثنين منهما فقط بإذن الله وهما الخلق والإحياء، في
حين أن من المعلوم والمقطوع به أن أية آية ومعجزة يؤيد الله بها من شاء من
حججه إنما تكون بإذن خاص من الله تعالى وهذا ما يصرّح به القرآن في بعض
آياته مثل قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَكَ بِشَايَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ
فُضِيَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ﴾ [المؤمن/ ٧٨].

وإذا كان ذلك كذلك - وهو حقاً كذلك - إذا لم قيّد الآية المبحوث عنها
تلك الآيتين - الخلق والإحياء - بالأذن دون غيرهما من تلك الآيات الأخرى؟ وما
الحكمة من ذلك؟

الجواب:

من المعلوم أن هذا الكلام - في الآية الكريمة - جاء على لسان عيسى عليه السلام لقومه بعد أن بعثه الله رسولا إليهم لذا كان من الواجب عند مخاطبتهم أن يقيد لهم الآيتين المذكورتين بالخصوص بإذن الله واستناداً إليه من غير أن يستقل هو بشيء من ذلك لئلا يحصل الضلال لهم أو لبعضهم بسببها فيقولون بألوهيته من دون الله تعالى، وذلك لأن النفوس الساذجة تقبل بسرعة وبأدنى وسوسة شيطانية ومغالطة من جاهل ألوهية من منح الحياة لمن لم تكن له حياة كالطين، أو من ردّ الحياة لمن فقدتها بعد الموت بخلاف الآيات الأخرى التي يكفي فيها مجرد أخبارهم إنها آية من ربهم، وخاصة إذا ألقى الخطاب - في مثل تلك الآيات - إلى قوم يدّعون أنهم مؤمنون، ولذلك بدأ كلامه بقوله: ﴿أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ وذيله بقوله في ختامه: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ أي إن كنتم صادقين في دعواكم الإيمان، هذا من جهة.

ومن جهة أخرى أن الله علم، وكان من المترقب أيضاً أن كثيراً من قومه سيغالون فيه ويتوهمون ألوهيته بسبب تولده من غير أب وعلى غير العادة الجارية في سائر الناس خصوصاً بعدما يشاهدون منه أي معجزتي الخلق والإحياء، فبتلك الآيات الإلهية ستحصل عندهم الشبهة والتوهم في ألوهيته، ودفعاً لذلك التوهم وتلك الشبهة كان من الواجب التأكيد لهم بتكرير كلمة (بإذن الله) بعد ذكر تلکم الآيتين بالخصوص ليكون هذا التأكيد والتصريح حجة لله وللرسول على المخالفين المتبعين للشبهات والمغالطات فترقب حدوث تلك الشبهات هي التي دعت عيسى عليه السلام أن يكرر لقومه بأن الله هو ربه ورب قومه، وإن معجزاته من صنع الله سبحانه لا من صنعه، وأن يؤكد عليهم بدعوتهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له، وتظهر تقواه وطاعته لله أمامهم وأنه عبد لله تعالى ورسول من عنده، وكل هذه التأكيدات لها قيمتها نظراً لما لا يس مولده ومعجزاته من شبهات تحولت فيما بعد إلى ترّهات وخرافات.

وجدير بالذكر الذي يلزم ألفات النظر إليه هو أن الظاهر من الآية المبحوث عنها إن هذه المعجزات والآيات التي جاء بها عيسى عليه السلام إلى قومه وذكرها لهم كانت تصدر منه بالفعل مرة بعد أخرى لا لأن الكلام فيها مسوق لمجرد الاحتجاج فقط كما توهمه البعض ولو كان مجرد قول لقطع العذر وإتمام الحجة لكان من حق الكلام أن يقيد بقيد يفيد ذلك مثل كلمة إن سألتهم أو أردتم أو نحو ذلك، ويوضح هذه الحقيقة أكثر ما يحكيه الله سبحانه من مشافهته لعيسى يوم القيامة الذي يدل أتم الدلالة على وقوع هذه الآيات وصدورها منه، قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَعْيسَى ابْنُ مَرْيَمَ أَذْكَرٌ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَلَدَتِكَ إِذْ أُيِّدْتُكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنْفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الْأَكْمَةَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِي وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَنْكَ إِذْ جِئْتَهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾ [المائدة/ ١١١].

ومن هنا ترى أن المفسرين على اختلافهم يصرحون بصدور تلك المعجزات منه بالفعل ويذكرون بعض النماذج من تلك المعجزات، ففي قوله: ﴿أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ يقول الكثير منهم: إنه صنع من الطين كهية الطير الخفاش ونفخ فيه وصار طائراً ذا لحم ودم وقومه ينظرون إليه وقد طار في الجو بين السماء والأرض ويقول الرازي في تفسيره في ج ٢ ص ٤٥٩ بعدما ذكر صنعه من الطين على هيئة خفاش ونفخ فيه وصار خفاشاً، قال: وقال آخرون: إنه خلق أنواعاً من الطير وكانت قراءة الباقر عليه، وقال أيضاً، ج ٣ ص ٤٦٦: (المسألة الأولى) قرأ نافع (فيكون طائراً) والباقر (طيراً) بغير ألف، والطير جمع طائر كضأن وضائن وركب وراكب.

ومعلوم أن القراءة الثانية في الآية (طيراً) بالجمع يدل على تكرار هذه المعجزة منه ، وهي القراءة الثابتة في القرآن .

ويقول ابن كثير الدمشقي في (تفسيره) ج ١ ص ٣٦٤ ، وكذلك يفعل بصور من الطين بشكل طير ثم ينفخ فيه فيطير عياناً بإذن الله عز وجل الذي جعل هذا معجزة له تدل على أنه أرسله .

وفي قوله تعالى :

(وَأُبْرِئِ الْأَكْمَةَ وَالْأَبْرَصَ) يقولون ربما اجتمع على عيسى عليه السلام من المرضى في اليوم خمسون ألفاً من أطاق منهم بلغه ، ومن لم يطق أتاه عيسى يمشي إليه ، وإنما كان يداويهم بالدعاء وحده على شرط الإيمان راجع (مجمع البيان) ج ١ ص ٤٤٥ و (الكشاف) للزمخشري ج ١ ص ٤٦٤ ، و (مفاتيح الغيب) للرازي ج ٢ ص ٤٥٩ و (العرائس) للثعلبي ص ٢١٩ وغيرهم كثير .

وفي قوله : ﴿وَأُخِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ قال الفخر الرازي : قال الكلبي : كان عيسى عليه السلام يحيى الأموات بيا حي يا قيوم وأحى عازر كان صديقاً له ودعا سام بن نوح من قبره وخرج حياً ومر على ابن ميت لعجوز فدعا الله فنزل من سريره حياً ورجع إلى أهله وبقي وولد له .

وقال أيضاً ج ٣ ص ٤٦٦ في قوله تعالى : ﴿وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَى بِإِذْنِي﴾ أي وإذ تخرج الموتى من قبورهم أحياء بإذني أي بفعلي ، وذلك عند دعائك وعند قولك للميت اخرج بإذن الله من قبرك فيخرج . . . الخ .

وقال الزمخشري في قوله تعالى : ﴿وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَى بِإِذْنِي﴾ ج ١ ص ٦٩١ : تخرجهم من القبور وتبعثهم ، قيل : أخرج سام بن نوح ، ورجلين وامرأة وجارية ، وصرح بهذا المعنى الكثير منهم .

وقال شيخنا الطبرسي في (مجمع البيان) ج ١ ص ٤٤٥ : في قوله تعالى :

﴿وَأُخِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ إنما أضاف الإحياء إلى نفسه على وجه المجاز والتوسع، ولأن الله تعالى كان يحيي الموتى عند دعائه، وقيل: أنه أحيى أربعة أنفس عازر وكان صديقاً له وقد مات منذ ثلاثة أيام فقال لأخته: انطلقيني بنا إلى قبره، ثم قال: اللهم رب السماوات السبع ورب الأرضين السبع إنك أرسلتني إلى بني إسرائيل أدعوهم إلى دينك وأخبرهم بأني أحيي الموتى فأحي عازر فخرج من قبره وبقي وولد له، وابن العجوز مرّ به ميتاً على سريرته فدعا الله عيسى عليه السلام فجلس على سريرته ونزل على أعناق الرجال ولبس ثيابه ورجع إلى أهله وبقي وولد له، وابنة العاشر قيل له: أتحيتها وقد ماتت أمس فدعا الله فعاشت وولدت، وسام بن نوح دعا عليه باسم الله الأعظم فخرج من قبره وقد شاب نصف رأسه، فقال: قد قامت القيامة؟ قال: لا: ولكني دعوتك باسم الله الأعظم، قال ولم يكونوا يشيرون في ذلك الزمان لأن سام بن نوح قد عاش خمسمائة وهو شاب، ثم قال له مت، قال: بشرط أن يعيذني الله من سكرات الموت، فدعا الله ففعل ثم قال الطبرسي وقال الكلبي:

كان يحيي الأموات بيا حيّ يا قيوم، ثم قال الطبرسي وإنما خص عيسى عليه السلام بهذه المعجزات لأن الغالب في زمانه الطب فأراهم الله الآيات من جنس ما هم عليه لتكون المعجزة أظهر، كما أن الغالب لما كان في موسى السحر أتاهاهم من جنس ذلك بما أعجزهم عن الإتيان بمثله، وكان الغالب في زمان نبينا ﷺ البيان والبلاغة والفصاحة فأراهم الله تعالى المعجزة بالقرآن الذي بهرهم ما فيه من عجائب النظم وغرائب البيان ليكون أبلغ في باب الإعجاز بأن يأتي (أي الرسول) كلاً من أمم الأنبياء بمثل ما هم عليه ويعجزون عن الإتيان بمثله، إذ لو أتاهاهم بما لا يعرفون لكان يجوز أن يخطر ببالهم أن ذلك مقدور للبشر غير أنهم لا يهتدون إليه.

وهذا المعنى ذكره بعض المفسرين من العامة كابن كثير الدمشقي في

(تفسيره) ج ١ ص ٣٦٤، نقلاً عن كثير من العلماء، والمراغي في (تفسيره) ج ٣ ص ١٥٨ وغيرهما.

وما في معناه ورد أيضاً في حديث مسند عن الإمام الرضا (١) عليه السلام وفي قوله تعالى: ﴿وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدْخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ﴾ قال المفسرون: أي أخبركم بالذي تأكلونه وتدخرونه، كان يقول للرجل تغذيت بكذا وكذا، ورفعت إلى الليل كذا وكذا.

وجاء في (الدر المنثور) ج ٢ ص ٣٥: أخرج الفريابي، وعبد بن حميد، وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن مجاهد في قوله: ﴿وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدْخِرُونَ﴾ قال: بما أكلتم البارحة من طعام، وما خبأتم منه. وأخرج سعيد بن منصور، وابن جرير وابن أبي حاتم عن سعيد بن جبیر قال: كان عيسى عليه السلام يقول للغلام في الكتاب: إن أهلك قد خبئوا لك كذا وكذا فذلك قوله: (وَمَا تَدْخِرُونَ). وأخرج ابن عساكر عن عبد الله ابن عمرو بن العاص قال: كان عيسى بن مريم وهو غلام يلعب مع الصبيان فكان يقول لأحدهم: تريد أن أخبرك بما خبأت لك أمك، فيقول: نعم فيقول خبأت لك كذا وكذا فيذهب الغلام فيقول لها: أطعميني ما خبأتي لي، قالت وأي شيء خبأت لك فيقول كذا وكذا، فتقول: من أخبرك فيقول: عيسى بن مريم... الخ.

وأخرج عبد الرزاق، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن عمار بن ياسر قال: أنبئكم بما تأكلون من المائدة وما تدخرون منها وكان أخذ عليهم في المائدة حيث نزلت أن يأكلوا ولا يدخروا فادخروا وخانوا فجعلوا قردة وخنازير. نعم هكذا أيد الله عز وجل كافة حججه على عباده من رسل وأنبياء وأوصياء بأنواع، المعجزات وألوان الآيات الباهرات التي أجراها على أيديهم ومنها منح الحياة لمن لم تكن له حياة ونشر الأموات من قبورهم أحياء وكل

ذلك لإقامة الحجة على الناس وعدم الحجة لهم على ربهم، قال تعالى: ﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النساء/ ١٦٦].

الأحاديث والأخبار حول القصص

أولاً: روى العياشي في (تفسيره) ج ١ ص ١٧٤ عن الهذلي عن رجل قال: مكث عيسى عليه السلام حتى بلغ سبع سنين، أو ثمان سنين فجعل يخبرهم بما يأكلون وما يدخرون في بيوتهم فقام بين أظهرهم يحيي الموتى يبري الأكمه والأبرص، ويعلمهم التوراة، وأنزل الله عليه الإنجيل بما أراد أن يتخذ عليهم حجة^(١).

ونقله عن العياشي المجلسي في (البحار) ج ١٤ ص ٢٣٣، والبحراني في تفسيره (البرهان) ج ١ ص ٢٨٤ والمولى محسن الفيض في (تفسيره)، ونقله عن العياشي، والمولى محسن الفيض والطبسي في (الشيعة والرجعة) ج ٢ ص ٩٠، ورواه الراوندي في (قصص الأنبياء) عن الصدوق مسنداً عن الصادق عليه السلام ونقله عنه المجلسي في (البحار) ج ١٤ ص ٢٥١.

ثانياً: روى العياشي في (تفسيره) ج ١ ص ١٧٤، والراوندي في (قصص الأنبياء) عن محمد بن أبي عمير عن ذكره رفعه قال: إن أصحاب عيسى عليه السلام سألوه أن يحيي لهم ميتاً قال: فأتى بهم إلى قبر سام بن نوح فقال له: قم بإذن الله يا سام بن نوح قال: فانشق القبر ثم أعاد الكلام فتحرك، ثم أعاد الكلام

(١) راجع الحديث في تفسير (الميزان) للعلامة الطباطبائي وقد نقله عن كتاب المعاني، ورواه الصدوق بسنده في كتابه (عيون أخبار الرضا) ج ٢ ص ٧٩ باب ٣٢، كما رواه أيضاً في كتابه (علل الشرائع) ج ١ ص ١٢١ ورواه الكليني في أصول الكافي (راجع الشافي) ج ١ ص ٨٣، والبرقي في (المحاسن) ونقله عن المصادر الأربعة الحر العاملي في (الإيقاظ) ص ١٢٢ وما بعدها.

فخرج سام بن نوح . فقال له عيسى عليه السلام : أيهما أحب إليك تبقى أو تعود؟ قال : فقال يا روح الله بل أعود، إني لأجد حرقه الموت أو قال : لذعة الموت في جوفي إلى يومي هذا .

ونقله المجلسي في (البحار) ج ١٤ ص ٢٣٣ عن المصدرين السابقين والبحراني في (تفسيره) عن العياشي والحر العاملي في (الإيقاظ) ص ١٨٤ والطبسي في (الشيعة والرجعة) ج ٢ ص ٩٠ ، نقلاً عن العياشي والمولى محسن الفيض .

ثالثاً: روى شيخنا الكليني في (روضة الكافي) ص ٢٧٨ بسنده عن أبان بن تغلب عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام أنه سُئِلَ هل كان عيسى بن مريم أحياً أحداً بعد موته حتى كان له أكل ورزق ومدة وولد؟ قال : فقال عليه السلام : نعم إنه كان له صديق وأخ له في الله ، وكان عيسى يمر به فينزل عليه ، وأن عيسى عليه السلام غاب عنه حيناً ، ثم مر به ليسلم عليه فخرجت إليه أمه فسألها عنه ، فقالت أمه : مات يا رسول الله ، فقال لها : أتحيين أن تريه؟ قالت : نعم ، قال لها إذا كان غداً أتيتك حتى أحييه لك بإذن الله ، فلما كان من الغد أتاه فقال لها : انطلقني معي إلى قبره ، فانطلقا حتى أتيا قبره فوقف عيسى عليه السلام ثم دعا الله فانفرج القبر وخرج ابنها حياً ، فلما رآته أمه ورآها بكيا فرحمهما عيسى عليه السلام فقال له ، أحب أن تبقى مع أمك في الدنيا؟ فقال : يا رسول الله بأكل وبرزق ومدة أو بغير أكل ولا رزق ولا مدة فقال له عيسى : بل برزق وأكل ومدة تعمر عشرين سنة ، وتزوج ويولد لك ، قال ، فنعم إذن قال : فدفعه عيسى إلى أمه ، فعاش عشرين سنة وتزوج وولد له .

ونقله المجلسي في (البحار) ج ١٤ ص ٢٣٣ عن المصدرين السابقين كما ذكره البحراني في (تفسيره) ج ١ ص ٢٨٤ ونقله المولى محسن الفيض في تفسيره عن الكليني والعياشي أيضاً ، ونقله العلامة الطباطبائي في (الميزان) ج ٦

ص ٢٣٨ عن الكليني ، وكذا الحر العاملي في (الإيقاظ) ص ١٢٦ ، والطبسي في (الشيعة والرجعة) ج ٢ ص ٩١ .

رابعاً: روى الصدوق في ثلاثة من مؤلفاته (معاني الأخبار) ص ٣٢٣ و(علل الشرائع) ج ٢ ص ٤٦٦ و(عقاب الأعمال) ص ٢٥٤ بسنده عن سعيد الحلواني عن أبي عبد الله عليه السلام قال: بينما عيسى بن مريم عليه السلام في سياحته إذ مر بقرية فوجد أهلها موتى في الطرق والدور، قال: فقال: إن هؤلاء ماتوا بسخطة ولو ماتوا بغيرها تدافنوا، قال، فقال أصحابه، وددنا أنا عرفنا قضيتهم، فقليل له يا روح الله نادهم، قال، فقال: يا أهل القرية؟ فأجابه مجيب منهم لبيك يا روح الله قال: ما حالكم وما قصتكم؟ قال: أصبحنا في عافية وبتنا في الهاوية، فقال: ما الهاوية؟ فقال: بحار من نار فيها جبال من نار قال: وما بلغ بكم ما أرى؟ قال: حب الدنيا، وعبادة الطاغوت، قال: وما بلغ بكم من حب الدنيا: قال: كحب الصبي لأمه إذا أقبلت فرح وإذا أدبرت حزن، قال: وما بلغ من عبادتكم الطاغوت؟ قال: كانوا إذا أمرونا أطعناهم، قال: فكيف أجبتني من دونهم، قال: لأنهم ملجمون بلجم من نار عليهم ملائكة غلاظ شداد وإنني كنت فيهم ولم أكن منهم فلما أصابهم العذاب أصابني معهم فأنا معلق بشجرة أخاف أن أنكب في النار، قال: فقال عيسى عليه السلام لأصحابه: النوم على دبر المزابل وأكل خبز الشعير خير كثير مع سلامة الدين .

ونقله عن المصادر الثلاثة المجلسي في (البحار) ج ٧٣ ص ١٠١ ، ونقله عن (عقاب الأعمال والعلل) الحر العاملي في (الإيقاظ) ص ١٢٧ .

وروى هذا الحديث أيضاً الكليني في (أصول الكافي) كما في شرحه الشافي ج ٦ ص ٤١٨ بسند آخر عن مهاجر الأسدي، عن أبي عبد الله عليه السلام وفيه زيادات مهمة، ونقله عنه أيضاً المجلسي في (البحار) ج ٣٧ ص ١٠ وعلق عليه ببيان مسهب من ص ١١ - ١٦ ، ورواه الشيخ البهائي في بعض مؤلفاته وشرحه

كما يظهر من (البحار) وأشار الحر العاملي في (الإيقاظ) ص ١٢٨ إلى حديث الكليني بعدما ذكر الحديث عن الصدوق .

خامساً: روى الكليني في فروع الكافي ج ١ ص ٧٢ بسنده عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: إن عيسى بن مريم عليه السلام جاء إلى قبر يحيى بن زكريا عليه السلام وكان سأل ربه أن يُحيه له، فدعاه فأجابه وخرج إليه من القبر فقال له، ما تريد مني؟ فقال له: أريد أن تؤنسني كما كنت في الدنيا، فقال له: يا عيسى ما سكنت عني حرارة الموت وأنت تريد أن تعيدني إلى الدنيا وتعود إليّ مرارة الموت فتركه فعاد إلى قبره .

ونقله عن المصدر المذكور المجلسي في (البحار) ج ١٤ ص ١٨٧، ونقله عن (البحار، والكافي) الطبسي في (الشيعة والرجعة) ج ٢ ص ٨٩، ونقله عن الكليني الحر العاملي في (الإيقاظ) ص ١٥٧، وذكره المجلسي في (البحار) باب سكرات الموت ج ٦ ص ١٧٠، وفي حاشيته ما يدل على أن من جملة من رواه صاحب تفسير الوافي .

سادساً: روى الصدوق في (الأمالي) ص ١٠٩ بسنده عن عبد الله بن طلحة وإسماعيل بن جابر وعمار بن مروان عن الصادق جعفر بن محمد عليه السلام أنه قال: إن عيسى بن مريم عليه السلام توجه في بعض حوائجه ومعه ثلاثة نفر من أصحابه، فمر بلبنات ثلاث من ذهب على ظهر الطريق فقال عيسى عليه السلام لأصحابه: إن هذا يقتل الناس، ثم مضى فقال: أحدهم إن لي حاجة قال: فانصرف، ثم قال الآخر: إن لي حاجة فانصرف ثم قال الآخر: لي حاجة فانصرف، فوافوا عند الذهب ثلاثتهم، فقال اثنان لواحد اشتر لنا طعاماً، فذهب يشتري لهما طعاماً فجعل فيه سمّاً ليقتلها كي لا يشاركاه في الذهب، وقال الاثنان إذا جاء قتلناه كي لا يشاركنا، فلما جاء قاما إليه فقتلاه، ثم تغديا فماتا، فرجع إليهم عيسى عليه السلام وهم موتى حوله فأحياهم بإذن الله تعالى ذكره، ثم

قال: ألم أقل لكم: إن هذا يقتل الناس؟ ونقله عن (الأمالى) المجلسي في (البحار) ج ١٤ ص ٢٨٤.

سابعاً: نقل المجلسي في (البحار) ج ٦ ص ١٧١ عن الكافي للكليني وعن تحف العقول ج ١ ص ٧٢ لابن شعبة بسندهما: عن يزيد الكناسي عن أبي جعفر عليه السلام أنه قال: إن فتية من أولاد ملوك بني إسرائيل كانوا متعبدين، وكانت العبادة في أولاد ملوك بني إسرائيل، وأنهم خرجوا يسرون في البلاد ليعتبروا فمروا بقبر على ظهر الطريق قد سفا عليه السافي ليس يتبين منه إلا رسمه، فقالوا: لو دعونا الله الساعة فينشر لنا صاحب هذا القبر فسألناه كيف وجد طعام الموت؟ فدعوا الله، وكان دعاؤهم الذي دعوا الله به: أنت إلهنا ليس لنا إله غيرك، والبديع الدائم غير الغافل الحي الذي لا يموت، لك في كل يوم شأن، تعلم كل شيء بغير تعليم، أنشر لنا هذا الميت بقدرتك قال: فخرج من ذلك القبر رجل أبيض الرأس واللحية ينفذ رأسه من التراب فزعاً شاخصاً بصره إلى السماء، فقال لهم: ما يوقفكم على قبري؟ فقالوا: دعوناك لنسألك كيف وجدت طعام الموت؟ فقال لهم: لقد سكنت في قبري تسعاً وتسعين سنة ما ذهب عني ألم الموت وكربه ولا خرج مرارة طعام الموت من حلقي، فقالوا له، مُت يوم مُت وأنت على ما نرى أبيض الرأس واللحية؟ قال لا، ولكن لما سمعت الصيحة (أخرج) اجتمعت تربة عظامي إلى روحي، فبقيت فيه فخرجت فزعاً شاخصاً بصري مهطعاً إلى صوت الداعي فابيض إلى ذلك رأسي ولحيتي.

ونقل الحديث الحر العاملي في كتابه (الإيقاظ) ص ٢١٢ عن الكليني باب النوادر من كتاب الجنائز بسنده ونقله أيضاً الطبسي في (الشيعية والرجعة) ج ٢ ص ٩٠ عن (البحار).

أقول: صرح هذا الحديث المسند عن أبي جعفر الباقر عليه السلام بأن الله جل

وعلا قد أحيا ميتاً من قبره بعد موته بتسع وتسعين سنة بدعاء فتية من أولاد الملوك من بني إسرائيل المتعبدين الصالحين وكلمهم وكلموه .

وهذا من جهة يدل على أن إحياء الله لمن شاء من الموتى وإرجاعه إلى الدنيا لم يكن معجزاً منحصراً بعيسى عليه السلام ودعائه فحسب بل يجعل الله ذلك لمن يشاء من حججه على خلقه كما صرحت بذلك العديد من الآيات القرآنية البينة، والأحاديث الصحيحة والكثيرة بما ذكرناه وما سنذكره وما هو مذكور - بكثرة هائلة - في بطون الكتب والتاريخ الإسلامي كما جعل الإحياء أيضاً على يد رسل عيسى عليه السلام إلى قومه من أهل أنطاكية وغيرهم .

ومن جهة أخرى نقول إذا جاز أن يحيي الله الموتى بدعاء أولاد الملوك المتعبدين وغيرهم من سائر حججه وعباده الصالحين فكيف إذن يجوز إنكار إحياء الموتى بدعاء أبناء أفضل النبيين وسيد المرسلين عليه السلام من الأئمة المعصومين الذين هم بعد جدتهم خيرة العالم وصفوة الصفوة من بني آدم، تفكر واحكم واقرأ قوله تعالى: ﴿ مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ [الحج/ ٧٥] .

وبهذه المناسبة نعود إلى ذكر محاجة الإمام أبي الحسن الرضا عليه السلام مع الجاثليق وهو كبير علماء النصارى التي ذكرنا مصادرها وبعضاً يسيراً منها في قصة إحياء الله الألوف^(١) حيث قال عليه السلام للجاثليق الذي اتخذ عيسى رباً بحجة أنه كان يحيي الموتى كما جاء في النص .

ثامناً: قال الرضا عليه السلام يا نصراني أسألك عن مسألة، قال: سل فإن كان عندي علمها أجبتك؟ قال الرضا عليه السلام ما أنكرت أن عيسى كان يحيي الموتى بإذن الله عز وجل؟ قال الجاثليق أنكرت ذلك من أجل أن من أحيا الموتى

(١) هكذا النص في (البحار)، ولعل الصحيح أن يتخذ... الخ .

وأبرىء الأكمه والأبرص فهو رب مستحق لأن يعبد، قال الرضا عليه السلام : فإن اليسع قد صنع مثل ما صنع عيسى ، مشى على الماء ، وأحى الموتى وأبرىء الأكمه والأبرص فلم تتخذة أمته رباً ، ولم يعبداه أحد من دون الله عز وجل ولقد صنع حزقيل النبي مثل ما صنع عيسى بن مريم فأحى خمس وثلاثين ألف رجل من بعد موتهم بستين سنة .

ثم التفت عليه السلام إلى رأس الجالوت (وهو من كبار علماء اليهود) فقال له : يا رأس الجالوت أتجد هؤلاء في شباب بني إسرائيل في التوراة؟ (أي هؤلاء الذين أحياهم حزقيل كانوا من أولئك الشباب) ويحتمل أن يكون اسم الإشارة راجعاً إلى حزقيل واليسع ، واختارهم بخت نصر من سبي بني إسرائيل حيث غزا بيت المقدس ثم انصرف إلى بابل فأرسله الله عز وجل إليهم فاحياهم الله ، هذا في التوراة لا يدفعه إلا كافر منكم قال رأس الجالوت : قد سمعنا به وعرفناه ، قال عليه السلام : صدقت ، ثم قال : يا يهودي خذ عليّ هذا السفر من التوراة ، فتلا عليه السلام علينا من التوراة آيات فأقبل اليهودي يترجّح لقراءته ويتعجب (أي يتحرك ويميل يمينا وشمالاً من كثرة التعجب) ، قال الفيروزآبادي : ترجحت الأرجوحة مالت ، وترجح تذبذب .

ثم أقبل على النصراني فقال : فهؤلاء كانوا قبل عيسى أم عيسى كان قبلهم؟ قال : بل كانوا قبله ، قال الرضا عليه السلام : لقد اجتمعت قريش إلى رسول الله ﷺ فسألوه أن يحيي لهم موتاهم فوجه معهم علي بن أبي طالب عليه السلام فقال له : إذهب إلى الجبانة فنادي بأسماء هؤلاء الرهط الذين يسألون عنهم بأعلى صوتك : يا فلان ويا فلان ويا فلان يقول لكم محمد رسول الله ، قوموا بإذن الله عز وجل ، فقاموا ينفضون التراب عن رؤوسهم ، فأقبلت قريش تسألهم عن أمورهم ، ثم أخبروهم أن محمداً ﷺ قد بعث نبياً وقالوا : وددنا أن أدركناه فنؤمن به ، ولقد أبرأ (أي النبي ﷺ) الأكمه والأبرص والمجانين ،

وكلمته البهائم والطير والجن والشياطين ولم نتخذة رباً من دون الله عز وجل ، ولم ننكر لأحد من هؤلاء فضلهم ، فمتى اتخذتم عيسى رباً جاز لكم أن تتخذوا اليسع وحزقيل ربين ، لأنهما قد صنعا مثل ما صنع عيسى من إحياء الموتى وغيره ، وأن قوماً من بني إسرائيل هربوا من بلادهم من الطاعون وهم ألوف حذر الموت فأماتهم الله في ساعة واحدة ، فعمد أهل تلك القرية فحظروا عليهم حظيرة فلم يزالوا فيها حتى نخرت عظامهم وصاروا رميماً فمربهم نبي من أنبياء بني إسرائيل فتعجب منهم ومن كثرة العظام البالية ، فأوحى الله عز وجل إليه ، أتحب أن أحييهم لك فتندرهم؟ قال : نعم يا رب فأوحى الله عز وجل ، فقاموا أحياء أجمعون ، ينفضون التراب عن رؤوسهم ، ثم إبراهيم خليل الرحمن حين أخذ الطيور فقطعن قطعاً ، ثم وضع على كل جبل منهنّ جزءاً ، ثم ناداهم فأقبلن سعيّاً إليه ، ثم موسى بن عمران وأصحابه السبعون الذين اختارهم صاروا معه إلى الجبل فقالوا له : إنك قد رأيت الله سبحانه فارناهُ كما رأيته ، فقال لهم : لم أراه فقالوا : لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فأخذتهم الصاعقة فاحترقوا في ديارهم جاثمين وبقي موسى وحيداً فقال يا رب إني اخترت سبعين رجلاً من بني إسرائيل فجئت بهم وأرجع وحدي فكيف يصدقني قومي بما أخبرهم به؟ فلو شئت أهلكتهم من قبل وإياي أتهلكنا بما فعل السفهاء منا؟ فأحياهم الله عز وجل من بعد موتهم ، وكل شيء ذكرته لك من هذا لا تقدر على دفعه لأن التوراة والإنجيل والزبور والفرقان قد نطقت به ، فإن كان كل من إحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص والمجانين يتخذ رباً من دون الله فاتخذوا هؤلاء كلهم أرباباً ما تقول يا نصراني ، قال الجاثليق : القول قولك ، ولا إله إلا الله . . . الخ .

أقول : قول الإمام الرضا عليه السلام أثناء احتجاجه على الجاثليق :

ولقد صنع حزقيل مثل ما صنع عيسى بن مريم فأحيا خمسة وثلاثين ألف رجل من بعد موتهم ستين سنة ، وقوله عليه السلام أيضاً : وأن قوماً من بني إسرائيل

هربوا من الطاعون وهم ألوف حذر الموت . . . الخ .

نلاحظ أن الظاهر من هذين القولين هو أن قصة الألوف المنصوص عليها في القرآن غير قصة من أحياءهم حزقيل ، وأن الألوف الهاربين من الطاعون كان إحيائهم على يد بعض أنبياء بني إسرائيل وبدعائه ويسميه شيخنا الصدوق إرميا ، كما مر عند استعراض القصة ، وربما كان احتجاجه عليه السلام بما هو ثابت عند النصارى وفي كتبهم فيكون قد ألزمهم بما ألزموا أنفسهم والله أعلم وكيف ما كان فإن إحياء الموتى قد جعله الله على يد كثير من أنبيائه وأوصيائهم كما جعله الله على يد نبينا ووصيه علي أمير المؤمنين والله هو الذي يحيي ويميت ويُميت ويحيي وهو حي لا يموت بيده الخير وهو على كل شيء قدير .

ونلاحظ ثانياً قول الإمام عليه السلام وكل شيء ذكرته لك من هذا لا تقدر على دفعه لأن التوراة والإنجيل والزبور والفرقان (القرآن) قد نطقته به ، ومعنى هذا أن الرجعة إلى الدنيا قد نصت على وقوعها الكتب الإلهية الأربعة ، فإذا لا يمكن لأحد ممن يؤمن بالله ورسوله وكتبه أن ينكر وقوعها أو إمكانية وقوعها في المستقبل ونلاحظ ثالثاً أن احتجاج الإمام الرضا بما فيه من قوة الحجّة وسطوع البرهان أضطر الجاثليق أخيراً إلى الإذعان بما أدلى به الإمام من الحجج حتى أعترف صراحة بصحة قوله عليه السلام ، وبتوحيد الله عز وجل وأن لا إله إلا هو ، وهكذا الحق يعلو ولا يُعلى عليه والحمد لله رب العالمين .

ونختم ما ورد عن طريق أهل البيت عليه السلام من الأحاديث في هذا الموضوع بالحديث التالي ، كما نختم به بقية قصص إحياء عيسى بإذن الله حذراً من الإطالة والله ولي التوفيق .

تاسعاً: روى المفيد في (الاختصاص) بسنده ص ٢١٥ عن أبي الربيع الشامي قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: من أعجب بنفسه هلك ، ومن أعجب برأيه هلك ، وإن عيسى بن مريم عليه السلام قال :

داويت المرضى فشفيهم بإذن الله ، وأبرأت الأكمه والأبرص بإذن الله ،
وعالجت الموتى فأحييتهم بإذن الله ، وعالجت الأحمق فلم أقدر على إصلاحه ،
ف قيل له يا روح الله وما الأحمق؟ قال المعجب برأيه ونفسه ، الذي يرى الفضل
كله له لا عليه ، ويوجب الحق كله لنفسه ولا يوجب عليها حقاً ، فذلك الأحمق
الذي لا حيلة في مداواته ، نقله المجلسي في (البحار) ج ١٤ ص ٣٢٣ ج ٧٢
ص ٣٢٠ عن المصدر المذكور ، ونقله البهادلي في (فلسفة الشهادة) ص ١١١
عن قصص القطب الراوندي ، بإسناده إلى أبي عبد الله عليه السلام .

ثامناً: قصة أيوب عليه السلام بإيثاره الله أهله بعد موتهم

ومن الآيات القرآنية التي يستفاد منها وقوع الرجعة في الأمم الماضية
الآيات التي تستعرض قصة ابتلاء نبي الله أيوب عليه السلام ، وجاءت تلك القصة
مجملة في سورتين :

أولاً : سورة الأنبياء بقوله عز من قائل :

﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ٨٤﴾ فَاسْتَجَبْنَا
لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِنَا وَذِكْرَىٰ
لِّلْعَالَمِينَ ﴿٨٥﴾ [الأنبياء / ٨٤ - ٨٥] .

وقصة ابتلاء أيوب وصبره الصبر الجميل على ذلك الابتلاء والضرر ذائعة
مشهورة وهي تضرب مثلاً للابتلاء والصبر في جميع الأعصار قديماً وحديثاً كما
أن قصته (كسائر قصص الأنبياء) مشوبة بإسرائيليات تطفئ عليها ، وأخبار غير
ثابتة الصحة لا تخلو من مبالغات ، ولكن الحد المأمون في هذه القصة وصاحبها
هو أن أيوب عليه السلام كان كما جاء في القرآن في الثناء عليه عبداً صالحاً بل هو نعم
العبد أوّاب صابر ، وقد ذكره الله في سورة الأنعام في جملة الأنبياء من ذرية

إبراهيم عليه السلام وأثنى عليهم بكل ثناء جميل ويبدو أن ابتلاءه كان بذهاب المال والأهل والصحة جميعاً، وإن كان القرآن لم يصرّح بذهاب ماله ولكنه جاء ذلك في الروايات الكثيرة، وقد بقي طيلة ابتلائه على صلته بربه وثقته به ورضاه بما قسم له وابتلاءه به حتى فرّج الله عنه وأعاد عليه كلّ ما فقدّه من الصحة والأهل كما قال تعالى: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ ٨٢ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنَّا وَعِندَنَا وَذَكَرَىٰ لِلْعَالَمِينَ ٨٣.

التدبر للآيات التي تستعرض قصّته وتفسيرها

فهاتان الآيتان من سورة الأنبياء تعرضان دعاء أيوب واستجابة الله لدعائه برحمته .

إن السياق في هذه السورة سياق رحمة الله بأنبيائه ورعايته لهم في الابتلاء سواء كان الابتلاء بتكذيب قومهم لهم وإيذائهم كما في قصص إبراهيم ولوط ونوح أو بالنعمة كما في قصة داود وسليمان، أو بالضرر كما في حال أيوب وكلها ابتلاآت حسنة العاقبة .

وأيوب هنا في دعائه لا يزيد على وصف حاله مجملاً: ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ﴾ ووصف ربه بصفته: ﴿وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾، ولم يدع ربه بتغير حاله صبراً على بلائه، ولم يقترح شيئاً عليه تأديباً معه وتواضعاً وتذلاً له، فهو نموذج عالٍ وقدوة صالحة للعبد الصابر الذي لا يضيق صدره بالبلاء وإن عظم ولا يتململ من الضر وإن عمّ، بل إنه ليتحرّج أن يطلب إلى ربه رفع البلاء عنه وإنما يدع الأمر إليه اطمئناناً إلى علمه بالحال وغناه عن السؤال، وإن كان ندائه بلفظ يشعر بأنه يناديه بحاجة ولكنه لم يصرح بطلبها .

وفي اللحظة التي توجه فيها أيوب إلى ربه بهذه الثقة وبذلك الأدب والتواضع كانت الاستجابة لندائه، وكانت الرحمة التي تحققت بها نهاية الابتلاء

وبداية تجديد النعم وإعادتها له : ﴿ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ ﴾ . رفع عنه الضر في بدنه فإذا به قد صار معافى صحيحاً سالماً من كل مرض أصابه، ورفع عنه الضر في أهله الذين فقدهم فأعادهم له جميعاً أي أحياهم بعد موتهم ووهبهم له، وهم (على الظاهر) جميع أهله إلا امرأته التي أبقاها له لتقوم بخدمته، ثم آتاه مثلهم معهم من أولاد وأحفاد آخرين، ﴿ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا ﴾ فكل نعمة هي رحمة من عند الله ﴿ وَذِكْرَى لِلْعَابِدِينَ ﴾ تذكرهم بالله وبحسن بلائه لأولياه قبلاً وبعداً ليكونوا واثقين بحسن تدبيره لهم وحسن عاقبتهم .

والإشارة (للعابدين) بمناسبة البلاء إشارة لها مغزاها، فالعابدون لله وحده لا شريك له معرضون في هذه الحياة للبلاء في تكاليف العبادة وتكاليف العقيدة والإيمان أكثر من غيرهم كما جاء في الحديث الشريف عن النبي ﷺ الصادق الأمين حيث قال : (إن أشد الناس بلاءً النبيون، ثم الأمثل فالأمثل، وإنما يتلى المؤمن على قدر أعماله الحسنة^(١) . . . الخ) فالأمر جد لا لعب والعقيدة أمانة إلهية لا تسلم إلا للأمناء القادرين عليها، المستعدين لتكاليفها، وليست كلمة تقولها الألسن فقط ولا دعوى يدعيها من يشاء بل لا بد من الصبر ليجتاز العابدون البلاء ويصلوا به إلى حسن الجزاء : ﴿ إِنَّمَا يُوفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [الزمر / ١٠] .

ثانياً : ذكر القرآن قصة أيوب عليه السلام في سورة ﷻ :

(١) الحديث بسنده رواه الكليني في (الكافي) كما في شرحه الشافعي للمظفر في م ٦ ص ٣٣٤ - ص ٣٤٢ ونقله عنه المجلسي في (البحار) ج ٦٧ ص ٢٠٧ وص ٢٢٢ وقال المجلسي في (البحار) ج ٦٧ ص ٢٠١ : وقال في النهاية فيه أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل أي الأشرف فالأشرف والأعلى فالأعلى في الرتبة والمنزلة ثم يقال هذا أمثل من هذا أي أفضل وأدنى إلى الخير . . . الخ .

بقوله مخاطباً رسوله الأعظم ﷺ : ﴿وَأَذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ۚ﴾ ﴿١﴾ أَرْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسِلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ۚ﴾ ﴿٢﴾ وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنَّا وَذِكْرَىٰ لِأُولَى الْأَلْبَابِ ۚ﴾ ﴿٣﴾ وَخَذْ بِيَدِكَ صِغَةً فَأَضْرِبْ بِهٖ وَلَا تَحْنَثْ ۚ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِّعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ [ص / ٤١ - ٤٤] .

والتَّصَبُّ هو التعب وفيه لغتان فتح النون وتسكين الصاد وضم النون وتسكين الصاد كما في هذه الآية، والظاهر أن مراد أيوب عليه السلام من النصب والعذاب هو ما أصابه من الضر وسوء الحال الذي ذكره في سورة الأنبياء بقوله : ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ﴾ بناءً على شمول الضر لمجموع ما أصابه في نفسه وبدنه وأهله وماله وسائر ما أصيب به من مصائب عديدة .

والظاهر من مسّ الشيطان له بذلك النصب والعذاب هو ما ذكرته بعض الروايات من حسد إبليس له على ما أنعم الله به عليه من النعم المتنوعة وشكره له ، وأن إبليس سأل الله تعالى أن يُسلّطه على إبادة النعم الدنيوية وإنها لو زالت عنه لما شكرك ، وشاء الله تعالى أن يسلطه على ما سأل لإقتضاء مصلحة وهي إظهار حقيقة انقطاعه لله تعالى بشكره على نعمه وصبره على بلائه وآوبته إليه في كل حالاته كما قال تعالى : ﴿إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِّعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ والأواب هو الذي يرجع إلى الله تعالى في كل حالاته ومن الحالات التي أصيب بها أيوب عليه السلام بسبب الشيطان أنه كان يوسوس للناس عامة أن يجتنبوه ويتعدوا عنه ، ولخلصائه القلائل الذين بقوا على وفائهم له ومنهم زوجته يوسوس لهم بالخصوص بأن الله لو كان يحب أيوب ما ابتلاه ، وكانوا يحدثونه بهذا فيؤذيه في نفسه أشدّ مما يؤذيه الضر والبلاء في بدنه وأهله وماله ، ولما حدثته امرأته وجماعة من خلصائه ببعض تلك الوسوس الشيطانية عندئذ توجه إلى ربه بالشكوى ممّا يلقاه من إيذاء الشيطان له ومداخله حتّى إلى نفوس خلصائه وزوجته فنادى ربه : ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ﴾ وعقب ندائه ومسألته

أدركه الله فوراً برحمته وشاء إنهاء ابتلائه فردّ عليه عافيته حيث أمره أن يضرب الأرض بقدمه فتنفجر عين ماء باردة يغتسل منها ويشرب فيشفى ويبرأ قال تعالى: ﴿أَرْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ﴾ فركض برجله واغتسل وشرب فبرأه الله من مرضه في الحال، كما رد الله تعالى عليه جميع أهله الذين ابتلاه بموتهم فأحياهم له، ووهب له مثلهم معهم كما قال تعالى في سورة الأنبياء: ﴿وَأَتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ﴾ وفي سورة ص: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ﴾ وهذان النصان ظاهران كمال الظهور في أن الله تعالى أحيا له أهله الذين أماتهم كما عافاه من مرضه وأعاد له صحته.

وبهذا صرح الكثير من المفسرين من الصحابة والتابعين والأئمة الطاهرين عليهم السلام وذكره سائر المفسرين في تفاسيرهم قال الطبري في (تفسيره) ج ١٦ ص ٤٢: قال الله تعالى يا أيوب نفذ فيك علمي، وبحلمي صرفت عنك فقد غفرت لك ورددت عليك أهلك ومالك ومثلهم معهم فأغتسل بهذا الماء فإن فيه شفاءك.

وقال الطبرسي في (مجمع البيان) ج ٤ ص ٥٩: قال ابن عباس وابن مسعود: ردّ الله سبحانه عليه أهله الذين هلكوا بأعيانهم، وأعطاه مثلهم معهم، وكذلك ردّ الله عليه أمواله ومواشيه بأعيانها وأعطاه مثلها معها، وبه قال الحسن، وقتادة، وهو المروي عن أبي عبد الله عليه السلام.

وقريب مما ذكره الطبرسي ذكره الشيخ الطوسي في تفسيره (البيان) ج ٧ ص ٢٧١.

وقال الفخر الرازي في (تفسيره) ج ٦ ص ١٢٥ في قوله تعالى: (أَتَيْنَاهُ أَهْلَهُ) فيه قولان أحدهما وهو قول ابن مسعود، وابن عباس، وقتادة، ومقاتل، والكلبي، وكعب: أن الله أحيا له أهله يعني أولاده بأعيانهم، (والثاني) روى (الليث) قال: أرسل مجاهد إلى عكرمة وسأله عن الآية فقال: قيل له إن أهلك

لك في الآخرة فإن شئت عجلناهم لك في الدنيا وإن شئت كانوا لك في الآخرة وآتيناك مثلهم في الدنيا فقال يكون لي في الآخرة وأوتي في الدنيا. ثم قال الرازي والقول الأول أولى، لأن قوله تعالى: ﴿وَأَتَيْنَاهُ أَهْلَهُ﴾: فقد قيل فيه: هم عين أهله وزيادة مثلهم، وقيل غيرهم مثلهم والأول أولى لأنه هو الظاهر فلا يجوز العدول عنه من غير ضرورة. ثم قال الرازي: وقال الحسن عليه السلام: المراد بصحبة الأهل أنه تعالى أحياهم بعد أن هلكوا.

وقريب مما ذكره الرازي ذكره ابن كثير الدمشقي في تفسيره ج ٣ ص ١٨٩، وج ٤ ص ٤٠ وهكذا العوفي وغيرهم من المفسرين - قال القمي في تفسيره في قوله تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنَّا﴾ فرد الله عليه أهله الذين ماتوا قبل البلاء، وردّ عليه أهله الذين ماتوا بعد ما أصابه البلاء كلهم أحياهم الله تعالى فعاشوا معه، وسئل أيوب بعد ما عافاه الله:

أي شيء كان أشد عليك ممّا مرّ عليك؟ فقال: شماتة الأعداء (تفسير القمي ج ٢ ص ٢٤٢ وما في معناه ص ٧٤) ونقله عنه المجلسي في (البحار) ج ١٢ ص ٣٤٤، والعلامة الطباطبائي في (الميزان) ج ١٧ ص ٢٢٨ والمولى محسن الفيض في (تفسيره)، والطبسي في (الشيعة والرجعة) ج ٢ ص ١٥٤، والعاملي في (الإيقاظ) ص ١٤٢ وقوله تعالى: ﴿رَحْمَةً مِنَّا وَذِكْرَى لَأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ أي فعلنا به ما فعلناه من إعادة الصحة والأهل له بعد البلاء ليكون رحمة منا له، ﴿وَذِكْرَى لَأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ يتذكرون ويعرفون به حسن عاقبة الصبر فيصبروا كما صبر، أولوا الألباب وهم ذو العقول السليمة، وأهل العقول السليمة هم الذين أخلصوا لله في عبادتهم له ولذا قال تعالى في سورة الأنبياء: ﴿وَذِكْرَى لِلْعَابِدِينَ﴾ من هذين النصين نعلم أن العابدين لله وحده المخلصين له في العبادة هم أهل العقول السليمة، وهم صفوة العالم وخيرته ولبه الذين تعالوا على الماديات الزائفة والزائلة التي مثلها مثل القشور وقد علم الله منهم ذلك

فاختارهم وفضلهم على من سواهم : ﴿ وَلَقَدْ اخْتَرْنَهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَىٰ الْعَالَمِينَ ﴾ [الدخان/ ٣٢].

وقوله تعالى : ﴿ خُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَاضْرِبْ بِهِ وَلَا تَخْنُثْ ﴾ في (مجمع البيان) ج ٤ ص ٤٧٧ : الضغث ملء الكف من الشجرة والحشيش والشماريخ وما أشبه ذلك ، وكان أيوب عليه السلام قد حلف لئن عوفي أن يجلد امرأته مائة جلدة لأمرٍ نكره عليها فلما عافاه الله تعالى أمره أن يأخذ بيده ضغثاً بعدد ما حلف عليه من الجلدات فيضربها به حتى لا يحنث في يمينه .

وهذا التيسير ، وذلك الإنعام كانا جزاءً على ما علمه الله بعلم المشاهدة من عبده أيوب عليه السلام من الصبر على البلاء وحسن الطاعة والإلتجاء إليه في كل الأحوال ولذا قال تعالى : (إِنَّا وَجَدْنَاهُ) أي شاهدناه (صابراً) أي فيما ابتليناه من المرض وذهاب الأهل والمال .

وقوله : ﴿ صَابِرًا نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴾ مدح له في رجوعه إلى ربه في كل أحواله ، وينبغي لكل مؤمن أن يكون كذلك قال تعالى : ﴿ وَإِنْ يَمَسَّكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ [يونس/ ١٠٧].

الأحاديث والأخبار حول القصة

١ - روى الكليني في (فروع الكافي) بسنده ج ١ ص ٣١ عن عثمان النوا ، عمن ذكره عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال : إن الله عز وجل يبتلي المؤمن بكل بلية ويميته بكل ميتة ، ولا يبتليه بذهاب عقله ، أما ترى أيوب عليه السلام كيف سُلِّطَ إبليس على ماله وعلى ولده وعلى أهله وعلى كل شيء منه ولم يُسلَّطْ على عقله ، وتركه له ليوحد الله به .

وروى مثله بسند آخر عن محمد بن سنان عن أبي عبد الله عليه السلام ، ونقل

الحديث بالسندين عن الكليني المجلسي في (البحار) ج ١٢ ص ٣٤١، والمولى محسن الفيض مرسلًا عن الكليني عن الصادق عليه السلام.

٢ - وروى الكليني أيضاً في (روضة الكافي) ص ٢٤٠ بسنده عن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قلت له: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿[النحل/ ٩٨ - ٩٩]؟ فقال: يا أبا محمد يسلط (أي الشيطان) والله من المؤمن على بدنه ولا يسلط على دينه، قد سلط الله على أيوب عليه السلام فشوه خلقه ولم يسلط على دينه، وقد يسلط من المؤمنين على أديانهم ولا يسلط على دينهم، قلت: قال تعالى: ﴿إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ﴾ [النحل/ ١٠٠]. قال: الذين هم بالله مشركون يسلط على أديانهم وعلى أديانهم. ورواه أيضاً العياشي في (تفسيره) ج ٢ ص ٢٦٩ ونقله عن الكليني، والعياشي العلامة الطباطبائي في (الميزان) ج ١٢ ص ٣٧٥.

الظاهر من هذين الحديثين، ومن الآيات التي سأل أبو بصير عنها الإمام عليه السلام أن المراد من المؤمن الذي لا يسلط الشيطان على عقله ودينه هو المؤمن الذي محض الإيمان محضاً، والثابت عليه في كل أحواله، المتوكل على الله وحده في جميع أموره، وهذه الصفات تنطبق أولاً على جميع حجج الله على خلقه من رسل وأنبياء وأوصياء، وتنطبق بعدهم على المتمسكين بهديهم وإتباعهم والداعين بدعوتهم من أفذاذ المؤمنين (وقليل ما هم) ومن هنا نرى الإمام الصادق عليه السلام استشهد على ذلك بقصة ابتلاء أيوب عليه السلام الذي هو أحد أنبياء الله وحججه على خلقه، ويؤيد ذلك ما ورد أيضاً أن الحسن عليه السلام لما أشرف على الموت قال له أخوه الحسين عليه السلام: أريد أن أعلم حالك يا أخي، فقال له الحسن عليه السلام: سمعت النبي ﷺ يقول: لا يفارق العقل منا أهل البيت ما دام الروح فينا، فضع يدك في يدي حتى إذا عاينت ملك الموت أغمر

يدك . . الخ . (المناقب لابن شهر آشوب ج ٤ ص ٤٤) ونقله عنه المجلسي في (البحار) ج ٤٤ ص ١٦٠ .

وإذا كان العقل لا يفارقهم فكذلك الدين الذي هو مع العقل السليم لا يفارقهم دائماً وأبداً، وهما معاً ملازمان لأفذاذ المؤمنين بقدر ما يستحقونه من لطف الله عز وجل . وأما سائر المؤمنين الذين قد يتبعون هوى أنفسهم الأمانة بالسوء فقد يتسلط الشيطان عليهم ويزيدهم بوساوسه ذنباً على ذنوبهم ومن هنا جاء في دعاء يوم الثلاثاء للإمام علي زين العابدين قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ : الحمد لله والحمد حقه كما يستحقه حمداً كثيراً، وأعوذ به من شر نفسي أن النفس لأمانة بالسوء إلا ما رحم ربي، وأعوذ به من شر الشيطان الذي يزيدني ذنباً إلى ذنبي . . الخ، فأما الذنب الأول يكون من النفس، والثاني من الشيطان وهو العدو الثاني للإنسان .

﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُوا حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾
[فاطر/٦] .

٣ - وروى الكليني أيضاً في (روضة الكافي) في ص ٢١٠ بسنده عن أبي بصير عن أبي عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ في قوله عز وجل : ﴿وَأَتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ﴾ قلت ولده كيف أوتي مثلهم معهم؟ قال : أحيي له من ولده الذين كانوا ماتوا قبل ذلك بأجالهم مثل الذين هلكوا يومئذ ونقله عن الكليني المجلسي في (البحار) ج ١٢ ص ٣٤٧، والمولى محسن الفيض في (تفسيره) في سورة الأنبياء والحر العاملي في (الإيقاظ) ص ١٢٥ .

٤ - روى القمي في (تفسيره) ج ٢ ص ٧٤ بسنده عن عبد الله بن بكير وغيره عن أبي عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ في قول الله : ﴿وَأَتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ﴾ قال : أحيأ الله له أهله الذين كانوا ماتوا قبل البلية وأحيأ له أهله الذين ماتوا وهو في البلية .

ونقله عن القمي المجلسي في (البحار) ج ١٢ ص ٣٤٦، والمولى محسن الفيض في تفسيره سورة ص، ورواه عن الإمام الصادق عليه السلام الطبرسي في (مجمع البيان) م ٤ ص ٤٧٨ في سورة ص، وأشار إليه أيضاً ص ٥٩ في تفسيره سورة الأنبياء، والحر العاملي في (الإيقاظ) ص ١٤٢، ونقله الطبرسي في (الشيعة والرجعة) ج ٢ ص ١٥٢ عن (مجمع البيان).

هذا الحديث والذي قبله لا يدلان على أن الله سبحانه أحى لأيوب عليه السلام أهله الذين ماتوا في البلية فحسب، بل أحيا أيضاً أهله الذين ماتوا بأجالهم قبل البلية وأن هذا المعنى هو المقصود من قوله تعالى: ﴿وَأَتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ﴾، فالمراد من قوله: ﴿وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ﴾ الذين أحياهم الله من أهله الذين ماتوا قبل البلية، فسبحان من يُميت الأحياء ويحيي الموتى وهو حي لا يموت، فاعتبروا يا أولي الأبواب، ولكن ما أكثر العبر وما أقل المعبر.

٥ - روى الصدوق في كتابه (علل الشرائع) ص ٧٦ بسنده عن عبد الله بن مسكان، عن أبي بصير قال: سألت أبا عبد الله الصادق عليه السلام عن بلية أيوب التي أبتلى بها في الدنيا لآية علة كانت؟ قال: لنعمة أنعم الله عليه بها في الدنيا فأدى شكرها وكان في ذلك الزمان لا يحجب إبليس دون العرش^(١) فلما صعد أداء شكر نعمة أيوب حسده إبليس فقال: يا رب إن أيوب لم يؤد إليك شكر هذه النعمة إلا بما أعطيته من الدنيا ولو حرمة دنياه ما أدى إليك شكر نعمة أبداً، قال: فقيل له: إني قد سلطتك على ماله وولده، قال فانحدر إبليس فلم يبق له مالا ولا ولداً إلا أعطبه، فلمّا رأى إبليس أنه لا يصل إلى شيء من أمره قال: يا رب إن أيوب يعلم أنك سترد عليه دنياه التي أخذتها منه فسلطني على بدنه، قال: فقيل له: إني قد سلطتك على بدنه ما خلا قلبه ولسانه وعينه وسمعه.

(١) هكذا في النسخ ولعل الصحيح لا يحجب عما دون العرش.

قال: فأنحدر إبليس مستعجلاً مخافة أن تدركه رحمة الرب عز وجل فتحول بينه وبين أيوب، فلما أشد به البلاء وكان في آخر بلية جاءه أصحابه فقالوا له: يا أيوب ما نعلم أحد ابتلى بمثل هذه البلية إلا لسريرة سوء، فعلك (أي فلعلك) أسررت سوء في الذي تبدي لنا، قال: فعند ذلك ناجى أيوب ربه عز وجل فقال: ربّ ابتليتني بهذه البلية وأنت أعلم أنّي لم يعرض لي أمران قط إلا لزمّت أحسنهما على بدني، ولم أكل أكلة قط إلا على خواني يتيم، فلو أن لي منك مقعد الخصم لأدليت بحجتي، قال: فعرضت له سحابة فنطق فيها ناطق فقال: يا أيوب أدل بحجتك، قال: فشدّ عليه مئزره وجثا على ركبتيه فقال: أبلتني بهذه البلية وأنت تعلم أنه لم يعرض لي أمران قط إلا لزمّت أحسنهما على بدني، ولم أكل أكلة من طعام إلا وعلى خواني يتيم قال: فقيل له: يا أيوب من حب إليك الطاعة؟ قال: فأخذ كفاً من تراب فوضعه في فيه ثم قال أنت يا رب.

وروى الصدوق أيضاً هذا الحديث بسند آخر (ص ٧٥) عن أبي أيوب عن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام باختصار ونقل الحديثين عن الصدوق المجلسي في (البحار) ج ١٢ ص ٣٤٤، والمولى محسن الفيض في تفسير سورة ص.

الأنبياء معصومون من الذنوب

٧ - روى الصدوق في (الخصال) باب السبعة ص ٣٩٩ بسنده عن جعفر بن محمد بن عمارة عن أبيه عن جعفر بن محمد الباقر عليه السلام عن أبيه عليه السلام قال:

إن أيوب عليه السلام ابتلى من غير ذنب، وأن الأنبياء لا يذنبون لأنهم معصومون، ومطهرون لا يذنبون ولا يرتكبون ذنباً صغيراً ولا كبيراً.

وقال عليه السلام: إن أيوب عليه السلام في جميع ما ابتلاه به لم تنتن له رائحة ولا

قبحته له صورة ولا خرجت منه مدة من دم أو قيح ولا استقذره أحد رآه ولا استوحش منه أحد شاهده، ولا تدوّد شيء من جسده، وهكذا يصنع الله عز وجل بجميع من يبتليه من أنبيائه وأوليائه المكرمين عليه، وإنما اجتنبه الناس لفقره وضعفه في ظاهر أمره لجهلهم بما له عند ربه تعالى ذكره من التأيد والفرج، وقد قال النبي ﷺ: (أعظم الناس بلاءً الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل) وإنما ابتلاه الله عز وجل بالبلاء العظيم الذي يهون معه على جميع الناس لئلا يدعوا له الربوبية إذا شاهدوا ما أراد الله أن يوصله إليه من عظام نعمه متى شاهدوا ليستدلوا بذلك على أن الثواب من الله تعالى ذكره على ضربين استحقاق واختصاص ولئلا يحتقروا ضعيفاً لضعفه، ولا فقيراً لفقره ولا مريضاً لمرضه وليعلموا أنه يسقم من يشاء ويشفى من يشاء متى ما شاء، وكيف شاء بأي سبب شاء، ويجعل ذلك عبرة لمن شاء وشقاوة لمن شاء وسعادة لمن شاء، وهو في جميع ذلك عدل في قضائه وحكيم في أفعاله لا يفعل بعباده إلا الأصلح لهم، ولا قوة لهم إلا به.

نقل الحديث عن الخصال المجلسي في (البحار) ج ١٢ ص ٣٤٨، والمولى محسن الفيض في تفسيره (الصافي) في تفسير سورة ص، والعلامة الطباطبائي في (الميزان) ج ١٧ ص ٢٢٧، والطبسي في (الشيعة والرجعة) ج ٢ ص ١٥٥ عن (البحار)، هذه الرواية عن الإمامين الصادق والباقر ﷺ...

أوفق وأصوب بحسب الأصول والقواعد المعتمدة عند المحققين والمفكرين من متكلمي الإمامية وعلمائهم من بعض الروايات الواردة في قصة ابتلاء أيوب عليه السلام التي تقول: أن أيوب صار قرحة واحدة من قرنه إلى قدمه. وأنه وقع في بدنه الدود، وأنه نتن حتى أخرجته أهل القرية إلى خارجها... الخ.

فإن مثل هذه الأعراض والأمراض التي توجب تنفر الطباع عمّن أصابته لا

يمكن أن يبتلي الله بها أنبيائه وحججه على عباده على الظاهر وحفظاً لكرامتهم والله أعلم وأحكم. قال السيد المرتضى في كتابه (تنزيه الأنبياء) ص ٦٣ : قال : فإن قيل : أفتصححون ما روى من أن الجذام أصابه (أي أيوب) حتى تساقطت أعضاؤه؟ قلنا : أما العلل المستقدرة التي تنفر من رآها وتوحشه كالبرص والجذام فلا يجوز شيء منها على الأنبياء عليهم السلام لما تقدم ذكره ، لأن النفور ليس بواقف على الأمور القبيحة ، بل قد يكون من الحسن والقبح معاً ، وليس ينكر أن تكون أمراض أيوب عليه السلام وأوجاعه ومحنته في جسمه ثم في أهله وماله بلغت مبلغاً عظيماً تزيد في الغم والألم على ما ينال المجذوم من تزايد الألم فيه ، وإنما ينكر ما اقتضى التنفير . (راجع البحار ج ١٢ ص ٣٤٩) .

إلى هنا ننهي الحديث عن قصة أيوب عليه السلام بإحياء الله له أهله بعد موتهم سائلين المولى المتعال أن يجعل فرج محمد وآل محمد وسائر المؤمنين والمسلمين ويعيد لهم جميعاً عزتهم وكرامتهم كما أعاد لأيوب صحته وماله وأهله وينصرهم على كافة أعدائهم من المستكبرين والجائرين طبقاً لوعده وهو أحكم الحاكمين ﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ﴾ [الأنبياء / ١٠٥] .

﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ ﴾ [إبراهيم / ٤٣] .

الفصل الثالث

الرجعة من السنن الإلهية في الكون

كل ما كان في الأمم الماضية يكون في هذه الأمة

عزيزي المطالع الكريم استعرضنا لك فيما مضى قصص من أرجع إلى الدنيا بعد موته من الأمم الماضية وقد ذكرنا ثمان من تلك القصص وهي التي ذكرها ونص عليها القرآن ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا﴾ [النساء/ ٨٧]، ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا﴾ [النساء/ ١٢٢].

وهنا نقول: إذا علمنا علم اليقين إن الله جلت قدرته قد أحى كثيراً من الناس بعد موتهم جماعات وأفراداً صالحين وغير صالحين في الأمم الماضية بصريح القرآن، وبالسنة الثابتة عن النبي ﷺ وأهل بيته الأطهار وصحبه الكرام والتابعين لهم بإحسان، وبإجماع المسلمين أجمعين فإذا لا بد وأن يحيي الله أيضاً بعض الناس من مؤمنين وغير مؤمنين في هذه الأمة، وذلك لأنه ثابت بالتواتر القطعي في روايات الخاصة والعامة عن النبي ﷺ وأهل بيته وأصحابه في أن ما وقع في الأمم السالفة يقع مثله في هذه الأمة وإليك بعض نصوص تلك الأحاديث وبعض من أحتج بها على الرجعة في هذه الأمة من أئمة وعلماء عظام وشيعة وسنة.

نصوص من تلك الأحاديث

١ - روى الصدوق في كتابه (من لا يحضره الفقيه) الذي صرح بأنه لا يورد فيه إلا ما يفتي به، ويحكم بصحته، ويعتقد أنه حجة بينه وبين ربه وشهد بأن كل ما فيه مأخوذ من كتب مشهورة عليها المعول وإليها المرجع، قال في باب فرض الصلاة: قال النبي ﷺ: يكون في هذه الأمة كل ما كان في بني إسرائيل حذو النعل بالنعل والقذة بالقذة، نقله عن المصدر المذكور الحر العاملي في (الإيقاظ) ص ٩٩.

وقد احتج بهذا الحديث على صحة الرجعة شيخنا الطبرسي في تفسيره (مجمع البيان) ج ٤ ص ٢٣٤ وصححه حيث قال: بعد احتجاجات عديدة ومنها إرجاع من أرجع إلى الدنيا من الأمم الماضية: وصح عن النبي ﷺ قوله: سيكون في أمتي كل ما كان في بني إسرائيل حذو النعل بالنعل والقذة بالقذة حتى لو كان أحدهم دخل جحر ضب لدخلتموه.

ونقله عن الطبرسي المجلسي في (البحار) ج ٥٣ ص ١٢٧، والحر العاملي في (الإيقاظ) ص ٢٥٠ وص ١٠٧ والطبسي في (الشيعة والرجعة) ج ٢ ص ١٣٣، وروى الشيخ الجليل محمد الخزاز في كتابه الكفاية في باب ابن عباس بسنده عن مجاهد عن ابن عباس عن رسول الله ﷺ في حديث طويل قال: كائن في أمتي ما كان في بني إسرائيل حذو النعل بالنعل والقذة بالقذة. (نقله عن المصدر المذكور العاملي في الإيقاظ ص ١١٠).

٢ - روى الصدوق في كتابه (إكمال الدين) ص ٤٩٤، وص ٥٣٤، وصححه بقوله: قد صح عن النبي ﷺ أنه قال:

كل ما كان في الأمم السالفة يكون مثله في هذه الأمة حذو النعل بالنعل والقذة بالقذة. نقله عن المصدر المذكور الحر العاملي في (الإيقاظ) ص ٩٩.

ورواه الصدوق أيضاً واحتج به على الرجعة في (رسالة العقائد)، ونقل المجلسي في (البحار) احتجاجه ج ٥٣ من ص ١٢٨ - ص ١٣٠، والحر العاملي في (الإيقاظ) ص ٣٩ - ص ٤٢، والطبسي في (الشيعة والرجعة) ج ٢ ص ٢٤٨ - ص ٢٥٠، والسيد عبد الله شبر في (حق اليقين) ج ٢ ص ٤١.

ورواه الطبرسي في كتابه (إعلام الوري) ص ٤٤٥ وصححه بقوله: وقد صح عن النبي رسول الله ﷺ أنه قال: كل ما كان في الأمم السالفة فإنه يكون في هذه الأمة مثله... الخ.

ونقله عن الطبرسي علي بن عيسى الأربلي في (كشف الغمة) ج ٣ ص ٣٣٥، ونقله عن المصدرين الحر العاملي في (الإيقاظ) ص ١٠٣ وقد احتج بهذا الحديث بنصه الإمام الرضا عليه السلام على صحة الرجعة في مجلس المأمون، وكان قد اجتمع في مجلسه الفقهاء وأهل الكلام من الفرق المختلفة ووجه الحاضرون من المأمون والفقهاء عدة أسئلة إلى الإمام وأجاب عنها بأحسن جواب، ومن تلك الأسئلة ما سأله بها المأمون حيث قال: يا أبا الحسن فما تقول في الرجعة؟ فقال الرضا عليه السلام: إنها لحق كانت في الأمم السالفة، ونطق به (أي بهذا الحق) القرآن، وقد قال رسول الله ﷺ: يكون في هذه الأمة كل ما كان في الأمم السالفة حذو النعل بالنعل والقذة بالقذة، ثم قال عليه السلام: إذا خرج المهدي من ولدي نزل عيسى بن مريم عليه السلام فصلى خلفه، وقال ﷺ: أن الإسلام بدأ غريباً وسيعود غريباً فطوبى للغرباء، قيل يا رسول الله ثم يكون ماذا؟ قال: ثم يرجع الحق إلى أهله... الخ.

راجع المحاجة بكاملها في كتاب (عيون أخبار الرضا) ج ٢ ص ٢٠٠ - ص ٢٠٢ باب ٤٦ فإنها مهمة جداً، وقد نقلها عن الصدوق في كتابه (العيون) الحر العاملي في (الإيقاظ) ص ٣٠٣، ونقل بعضها مما يتعلق بالرجعة الطبسي في (الشيعة والرجعة) ج ٢ ص ١٧٢، والمجلسي في (البحار) ج ٥٣ ص ٥٩،

وروى ابن طاووس في كتاب (كشف المحجة من طريق العامة والخاصة) عن رسول الله ﷺ أنه: يجري في أمتي ما جرى في الأمم السالفة: (نقله عن المصدر المذكور الحر العاملي في الإيقاظ ص ١١٠).

٣ - روى شيخنا الكليني في (أصول الكافي) كما في شرحه الشافي للمظفري ج ٤ ص ٦٠٩ بسنده عن أبي بصير قال: دخلت على أبي جعفر عليه السلام فقلت له: أنتم ورثة رسول الله ﷺ؟ قال: نعم، قلت رسول الله ﷺ وارث الأنبياء، علم كل ما علموا؟ قال لي: نعم، قلت: فأنتم تقدرون على أن تحيوا الموتى وتبرؤا الأكمه والأبرص؟ قال: نعم، بأذن الله... الخ.

نقله عن المصدر المذكور الحر العاملي في (الإيقاظ) ص ١٠١ وعن مصادر أخرى منها الخرائج والجرائح للراوندي في الباب السادس، ورجال الكشي ص ١٥٥ و(كشف الغمة) ج ٢ ص ٣٥٤، ونقله المجلسي في (البحار) ج ١٦ ص ٢٣٧ نقلاً عن (بصائر الدرجات) ج ٦ باب ٣ ص ٧٥، و(المناقب) لابن شهر آشوب ج ٤ ص ١٨٤ وقد رواه عن محمد بن أبي عمير وقال: أشهد أن هذا حق كما أن النهار حق، وعن الطبرسي في (إعلام الوري) و(الخرائج) للراوندي والكشي في (رجاله)، وذكره ابن الصباغ المالكي في كتابه (الفصول المهمة) ص ٢٠٠ في أحوال الإمام الباقر عليه السلام والشبلنجي الشافعي في (نور الأبصار) ص ١٣١.

٤ - روى شيخنا الكليني أيضاً في (أصول الكافي) كما في شرحه الشافي ج ٣ ص ١٧٣ بسنده عن أبي الحسن الأول (الإمام موسى بن جعفر عليه السلام) أن أحد أصحابه سأله قائلاً: جعلت فداك أخبرني عن النبي ﷺ ورث النبيين كلهم؟ قال: نعم من لدن آدم حتى انتهى إلى نفسه. قال: ما بعث الله نبياً إلا محمد ﷺ أعلم منه، قال الراوي قلت: إن عيسى بن مريم كان يحيي الموتى بإذن الله، قال: صدقت، وسليمان بن داود كان يفهم منطق الطير وكان رسول

الله ﷻ يقدر على هذه المنازل إلى أن قال ﷺ : وإن الله يقول في كتابه : ﴿ وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كَلِمَ بِهِ الْمَوْتُ ﴾ [الرعد/ ٣٢].

وقد ورثنا نحن هذا القرآن الذي فيه ما تسير فيه الجبال^(١) وتقطع به البلدان وتحيا به الموتى... الخ. ونقله عن المصدر المذكور الحر العاملي في (الإيقاظ) ص ١٠٠.

٥ - روى القطب الراوندي في كتاب إعلام النبي والأئمة عن أبي حمزة الثمالي قال: قلت لعلي بن الحسين ﷺ الأئمة منكم يحيون الموتى ويرؤن الأكمه والأبرص ويمشون على الماء؟ فقال ﷺ ما أعطى الله نبياً شيئاً إلا وقد أعطى الله محمداً ﷺ مثله، وأعطاه ما لم يكن عندهم، وكل ما كان عند رسول الله فقد أعطاه أمير المؤمنين ثم الحسن والحسين ثم إماماً بعد إمام إلى يوم القيامة مع الزيادة التي تحدث في كل شهر وكل يوم... الخ.

٦ - روى الصدوق في كتابه (إكمال الدين) بسنده عن أبي بصير قال: سمعت أبا عبد الله ﷺ يقول: إن سنن الأنبياء بما وقع بهم من الغيبات حادثة (وفي نص جارية) في القائم منا أهل البيت حذو النعل بالنعل والقذة بالقذة.

قال أبو بصير فقلت: يا بن رسول الله ومن القائم منكم أهل البيت؟ فقال: يا أبا بصير هو الخامس من ولد ابني موسى، ذلك ابن سيدة الإمام يغيب غيبة يرتاب فيها المبطلون، ثم يظهره الله عز وجل فيفتح الله على يده مشارق الأرض ومغاربها، وينزل روح الله عيسى بن مريم ﷺ فيصلي خلفه فتشرق الأرض بنور ربها، ولا تبقى في الأرض قطعة عبد فيها غير الله عز وجل إلا عبد الله ويكون الدين كله (الله) ولو كره المشركون.

(١) هكذا جاء في الحديث ما تسير فيه الجبال والصحيح ما تسير به الجبال.

نقله عن المصدر المذكور المجلسي في (البحار) ج ٥١ ص ١٤٦ ، والحر
العاملي في (الإيقاظ) ص ١٠٢ والسيد محسن العاملي في (المجالس السنية)
ج ٥ ص ٥٢٩ .

٧ - روى الحسن بن سليمان في رسالته نقلاً عن كتاب (مختصر البصائر)
لسعد بن عبد الله بسنده عن حمران بن أعين عن أبي جعفر الباقر عليه السلام قال قلت
له : هل كان في بني إسرائيل شيء لا يكون مثله هاهنا؟ قال : لا (الحديث)
ونقله عن المصدر المذكور الحر العاملي في (الإيقاظ) ص ١٠٨ .

هذه بعض الأحاديث التي وردت من طرقنا الدالة على أن كل ما وقع في
الأمم الماضية يقع مثله في هذه الأمة ، وهذا المعنى ورد بالتواتر أيضاً من طرق
أهل السنة في صحاحهم وسننهم ومسانيدهم عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، وقد رواه جملة
من الصحابة والقراة منهم أبو سعيد الخدري ، وعبد الله بن عباس ، وعبد الله بن
مسعود ، وعبد الله بن عمر ، وعمرو بن العاص وشداد بن أوس والمستورد بن
شداد ، وحذيفة بن اليمان وأبو هريرة ، وسهل بن سعد ، وعمرو بن عوف
وغيرهم في ألفاظ متقاربة . (راجع تفسير الميزان ج ١٢ ص ١١٣) .

٨ - والآن نذكر بعض تلك الأحاديث فمنها ما رواه البخاري في
(صحيحه) بسنده عن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : لتبعن
سنن من كان قبلكم شبراً بشبر وذراعاً بذراع حتى لو سلكوا جحر ضب
لسلكتموه قلنا يا رسول الله اليهود والنصارى؟ قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم فمن؟ .

(راجع التجريد الصريح لأحاديث الجامع الصحيح ج ٢ ص ٤٥ ، والميزان
ج ١٢ ص ١١٣ ، والبحار ج ٥٣ ص ١٤٠ نقلاً عن الحميدي في الجمع بين
الصحيحين وأخرجه في مشكاة المصابيح ص ٤٥٨ قال : متفق عليه) .

٩ - روى الحاكم في (مستدرك الصحيحين) ج ١ ص ١٢٩ ، والذهبي في

(التلخيص مسنداً عن عبد الله بن عمر وقال : قال رسول الله ﷺ : ليأتين على أمتي ما أتى على بني إسرائيل مثلاً بمثل حذو النعل بالنعل حتى لو كان فيهم من نكح أمه علانية كان في أمتي مثله ، أن بني إسرائيل افترقوا على إحدى وسبعين ملة وتفرق ملتي على ثلاثة وسبعين ملة كلها في النار إلا ملة واحدة فقل له ما الواحدة؟ قال : ما أنا عليه اليوم وأصحابي ، نقله عنه الطبرسي في (الشيعة والرجعة) ج ٢ ص ٥٥ .

١٠ - وروى الحاكم أيضاً في (المستدرک) ج ١ ص ١٢٩ بسنده والذهبي في (التلخيص) عن عمرو بن عوف المزني عن أبيه قال : كنا قعوداً حول رسول الله ﷺ في مسجده فقال : لتسلكن سنن من قبلکم حذو النعل بالنعل ولتأخذن مثل أخذهم إن شبراً فشير وإن ذراعاً فذراع وإن باعاً فباع ، وحتى لو دخلوا جحر ضب دخلتم فيه ألا إن بني إسرائيل افترقت على موسى على إحدى وسبعين فرقة كلها ضالة إلا فرقة واحدة الإسلام وجماعتهم وإنها افترقت على عيسى بن مريم على إحدى وسبعين فرقة كلها ضالة إلا فرقة واحدة ، الإسلام وجماعتهم ثم إنكم تكونون على اثنين وسبعين فرقة كلها ضالة إلا فرقة واحدة ، الإسلام وجماعتهم .

بيان للفرقة الناجية

قوله ﷺ في هذا الحديث إلا فرقة واحدة الإسلام وجماعتهم ، يريد بذلك أن الفرقة الناجية والمهتدية غير الضالة هي الفرقة التي تلتزم العمل بالإسلام الذي شرعه الله لنبي تلك الأمة من دون تحريف فيه وتبديل له ، ومن دون إدخال زيادة عليه ونقصان منه بسبب الرجوع إلى الأهواء والآراء الضالة .

أما بالنسبة لهذه الأمة بالخصوص فقد أبان ﷺ بوضوح تام من الفرقة الناجية منها بالحديث المعروف بحديث السفينة ، والذي من نصوصه الشهيرة قوله ﷺ : مثل أهل بيتي فيكم كمثّل سفينة نوح من ركب فيها نجا ، ومن

تخلف عنها هلك، ومثل باب حطة في بني إسرائيل من دخله غفر له وحديث السفينة هذا من الأحاديث النبوية الشهيرة والمتواترة، بل تجاوز حد التواتر، وقد رواه الكثير من علماء أهل السنة من المفسرين والمحدثين، والمؤرخين في التفاسير والصحاح والسنن بطرق عديدة وألفاظ متقاربة المعنى عن عدة من صحابة الرسول الكريم ﷺ وقرابته منهم.

١ - علي أمير المؤمنين عليه السلام وهو نفس رسول الله ﷺ بحكم آية المباهلة.

٢ - عبد الله بن عباس وهو حبر هذه الأمة وعالمها.

٣ - سلمة بن الأكوع من خيار الصحابة وبائع النبي على الموت.

٤ - أبو ذر الغفاري الذي شهد له النبي ﷺ بالصدق باللهجة.

٥ - أبو سعيد الخدري وهو من كبار الأنصار.

٦ - أنس بن مالك خادم النبي ﷺ.

٧ - عبد الله بن الزبير المناوي للعترة الطاهرة.

٨ - عامر بن واثلة المكنى بأبي الطفيل وهو آخر من بقي من الصحابة، وغيرهم راجع أحاديث هؤلاء الصحابة بنصوصها ومصادرها الكثيرة. التي قاربت المائة مصدر بصحائف مرقمة كتاب (محمد ﷺ وعلي وبنوه الأوصياء) للشيخ نجم الدين العسكري ج ١ ص ٢٣٩ - ص ٢٨٢ و(إحقاق الحق) بتعليق السيد شهاب الدين النجفي ج ٩ ص ٢٧٠ - ص ٢٩٣ وغيرهما من المصادر العديدة لتعلم تواتر الحديث، وراجع أيضاً (المراجعات) للسيد عبد الحسين شرف الدين. المراجعة ٨ ص ٤٨ - ص ٥٤، وروى في هذا الباب الشيخ الطوسي في (أماله) ج ٢ ص ١٣٧ حديثاً مفصلاً في الفرقة الناجية والهالكة مسنداً عن علي أمير المؤمنين عليه السلام فراجع لترى الحق واضحاً جلياً.

وأجاد من قال :

هم السفينة فاز الراكبون بها ومَن تخلف عنها صار في تيه
وآية الرجس والتطهير نازلة في حقهم ما تلا القرآن تاليه
البيت بيتهم والجد جدهم وصاحب البيت أدري بالذي فيه

١١ - نقل المجلسي في (البحار) ج ٥٣ ص ١٤١ ، والطبسي في (الشيعة والرجعة) ج ٢ ص ٥٤ عن الزمخشري في تفسيره (الكشاف) عن حذيفة عن النبي الأعظم ﷺ أنه قال : أنتم أشبه الأمم ببني إسرائيل لتركبن طريقهم حذو النعل بالنعل ، والقذة بالقذة حتى لا أدري أتعبدون العجل أم لا .

وهذا المعنى الوارد في هذه الأحاديث يؤيده القرآن المجيد في عدة آيات منها قوله تعالى : ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ﴾ [الإنشقاق/ ١٩] . فقد روى القمي في (تفسير) هذه الآية ج ٢ ص ٤١٣ عن رسول الله ﷺ أنه قال :

١٢ - لتركبن سنة من كان قبلكم حذو النعل بالنعل والقذة بالقذة ، ولا تخطئون طريققتهم شبر بشبر وذراع بذراع وباع بباع ، حتى أن لو كان من قبلكم دخل جحر ضب لدخلتموه قالوا : اليهود والنصارى تعني يا رسول الله ؟ قال : فمن أعني لينقض عرى الإسلام عروة عروة فيكون أول ما تنقضون من دينكم الإمامة . (وفي نص الأمانة) وآخره الصلاة : وذكر هذا المعنى الطبرسي في (تفسيره) مجمع البيان ج ٥ ص ٤٦٢ نقلاً عن أبي عبيد وعن الإمام الصادق عليه السلام في تفسير الآية الكريمة وعلى كل الحوادث الواقعة في الأمم الماضية لا بد وأن تقع أيضاً في هذه الأمة ومنها الرجعة وتلك سنة الله في عباده الجارية في الجميع قال تعالى : ﴿سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾ [الأحزاب/ ٦٣] ، وقال تعالى : ﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا﴾ [فاطر/ ٤٣] .

الفصل الرابع

عدم إرجاع من أهلك بالعذاب الدنيوي

الاستدلال بآية ثالثة على الرجعة الدالة على عدم إرجاع أهل القرى الذين أهلكوا بالعذاب

﴿ وَحَرَّمُ عَلَى قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴾ [الأنبياء / ٩٥].

هذه الآية الكريمة من الآيات الكثيرة التي تدل بمفهومها على أحقية الرجعة إلى الدنيا بعد الموت وقبل يوم القيامة وبيان ذلك نقول :

المراد من الإهلاك في هذه الآية - كما هو الظاهر منها، ومن آيات عديدة، غيرها، والمؤيد بنصوص الأحاديث من طرق الفريقين - هو الإهلاك - التدميري بعذاب الاستئصال الذي يصيب أهل القرى الظالمة فيقضي عليهم نظير قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَرْنَاهَا تَدْمِيرًا ﴾ [الإسراء / ١٦].

وقوله تعالى : ﴿ وَكَمْ مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بَأْسُنَا بَيِّنًا أَوْ هُمْ قَائِلُونَ ﴾ [١] فَمَا كَانَ دَعْوَاهُمْ إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا إِلَّا أَنْ قَالُوا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴾ [الأعراف / ٤ و ٥]، وقوله تعالى : ﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ بَطَرَتْ مَعِيشَتَهَا فَنِلَّكَ مَسْكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَنْ مِنْ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ ﴾ [٢] وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى حَتَّى يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ؕ أَيْنَتْنَا وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَى إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ ﴾ [القصص / ٥٨ و ٥٩]، وأمثال هذه الآيات في القرآن كثير .

فقوله تعالى في الآية المبحوث عنها: ﴿وَحَرَامٌ عَلَى قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ يراد بالإهلاك هنا - كما ذكرنا - إهلاك الاستئصال التدميري بالعذاب الواقع عليهم، ويراد بالحرام الامتناع ويكون المراد من معنى الآية أن أهل القرية التي أهلكها الله بالعذاب لا يرجعون ثانياً إلى الدنيا. وهذا المعنى هو الذي يسبق إلى الذهن من الآية الكريمة أما نص قوله تعالى: (أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ) في حين كان الظاهر أن يقال: أنهم يرجعون، فهنا ذكر المفسرون وجوهاً منها ما ذكره بعضهم: أن (لا) زائدة والأصل أنهم يرجعون وقد اختار هذا القول صاحب تفسير الجلالين، حيث قال في معنى الآية بما نصه: (وحرام على قرية أهلكناها) أريد أهلها. (أنهم لا) زائدة (يرجعون) أي ممتنع رجوعهم إلى الدنيا. (تفسير الجلالين ص ٤٣٦).

ويمكن أن يؤيد هذا القول بآيات أخر تأتي فيها لفظة (لا) زائدة مثل قوله تعالى: ﴿يَسْمِعُ اللَّهُ الرَّخْصَ الرَّحِيمَ لَا أَقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَمَةِ ۖ وَلَا أَقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ﴾ [القيامة/ ١ - ٢]. ومعناها أقسم بيوم القيامة وأقسم بالنفس اللوامة، وهكذا قوله تعالى: ﴿فَلَا أَقْسِمُ بِالْخَنَسِ ۖ ۚ الْجَوَارِ الْكُنَسِ﴾ [التكوير/ ١٥ - ١٦]، ومعناها أقسم بالخنس، وأمثال هذه الآيات كثير التي تأتي فيها (لا) زائدة، واختار العلامة الطباطبائي في تفسير (الميزان) ج ١٤ ص ٣٥٦ وجهاً آخر حيث قال: وأما قوله تعالى: ﴿أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ وكان الظاهر أن يقال: أنهم يرجعون، فالحق أنه مجاز عقلي وضع فيه نتيجة تعلق الفعل بالشيء - أعني ما يؤول إليه حال المتعلق بعد تعلقه - موضع نفس المتعلق، نتيجة تعلق الحرمة برجوعهم عدم الرجوع فوضعت هذه النتيجة موضع نفس الرجوع الذي هو متعلق الحرمة، وفي هذا الصنع أفادة نفوذ الفعل كأن الرجوع يصير بمجرد تعلق الحرمة عدم الرجوع من غير تخلل فصل، ثم قال مستشهداً بآيتين أخريين من هذا القبيل: ونظيره أيضاً قوله تعالى: ﴿قَالَ مَا مَنَّكَ إِلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ﴾ [الأعراف/ ١٢].

حيث أن تعلق المنع بالسجدة يؤول إلى عدم السجدة فوضع عدم السجدة الذي هو نتيجة موضع نفس السجدة التي هي متعلق المنع ونظيره أيضاً قوله تعالى: ﴿ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ﴾ [الأنعام/ ١٥١].

حيث أن تعلق التحريم بالشرك ينتج عدم الشرك فوضع عدم الشرك الذي هو النتيجة مكان نفس الشرك الذي هو المتعلق أقول: لعل هذه الوجه الثاني أولى من غيره.

الأحاديث حول الآية الكريمة

هذا وقد أوضحت مفاد الآية الكريمة . والاستدلال بها على أحقية الرجعة الأحاديث من طرق أهل البيت عليه السلام وبعض الصحابة والتابعين وإليك تلك الأحاديث.

١ - روى القمي في (تفسيره) ج ٢ ص ٧٦ بسنده عن أبي بصير، ومحمد بن مسلم عن أبي عبد الله وأبي جعفر (أي الصادق والباقر عليه السلام) أنهما قالاً: كل قرية أهلك الله أهلها بالعذاب لا يرجعون في الرجعة، فهذه الآية من أعظم الدلالة في الرجعة.

لأن أحداً من أهل الإسلام لا ينكر أن الناس كلهم يرجعون إلى القيامة من هلك ومن لم يهلك فقوله (لا يرجعون) عني في الرجعة، فأما إلى القيامة يرجعون حتى يدخلوا النار. ونقله عن القمي المجلسي في (البحار) ج ٥٣ ص ٥٢، والحر العاملي في (الإيقاظ) ص ٢٥٦، والمولي محسن الفيض في تفسيره (الصافي) بهذا النص: كل قرية أهلك الله عز وجل أهلها بالعذاب لا يرجعون في الرجعة، والطبسي في (الشيعة والرجعة) ج ٢ ص ١٢١. والبحراني في تفسيره (البرهان)، والسيد عبد الله شبر في كتابه (حق اليقين) ج ٢ ص ١٠،

وروى شيخنا الطبرسي في (مجمع البيان) م ٤ ص ٦٣ عن محمد بن مسلم عن أبي جعفر عليه السلام أنه قال كل قرية أهلكتها الله بعذاب لا يرجعون.

(أي في الرجعة إلى الدنيا) ونقله عن الطبرسي كل من المجلسي في (البحار) ج ٣ ص ٥٢ مشيراً إليها، والحر العاملي في (الإيقاظ) ص ٨٩، والمولى محسن الفيض في تفسيره (الصافي)، والطبسي في (الشيعة والرجعة) ج ٢ ص ١٢١، والعلامة الطباطبائي في (الميزان) ج ١٤ ص ٣٥٦.

٢ - روى القمي في (تفسيره) ج ١ ص ٢٥ في مقدمة التفسير عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: كل قرية أهلك الله أهلها بالعذاب ومحضوا الكفر محضاً لا يرجعون في الرجعة، وأما في القيامة فيرجعون، أما غيرهم ممن لم يهلكوا بالعذاب ومحضوا الكفر محضاً يرجعون. (أي إلى الدنيا في الرجعة).

ونقله عن القمي المجلسي في (البحار) ج ٥٣ ص ٦١، والحر العاملي في (الإيقاظ) ص ٢٤٧ ومعنى الآية الكريمة الذي ورد في حديثي الإمامين الصادق والباقر عليهما السلام من طرقنا أعترف به مفسري أهل السنة، وورد أيضاً من طرقهم عن جملة من الصحابة والتابعين، وقد مر علينا قول الجلالين جلال الدين السيوطي، وجلال الدين المحلي في تفسير الآية (وحرام على قرية أهلكتها) أريد أهلها (أنهم لا) زائدة (يرجعون) أي ممتنع رجوعهم إلى الدنيا.

وقال المراغي في (تفسيره) ج ١٧ ص ٧١: (وحرام على قرية أهلكتها أنهم لا يرجعون أي ممتنع أن يرجعوا بعد الهلاك إلى الدنيا).

وقال الجبائي: معناه وحرام على قرية أهلكتها عقوبة لهم أن يرجعوا إلى الدنيا، نقل قوله جملة من المفسرين منهم الشيخ الطوسي في تفسيره (التيان) ج ٧ ص ٢٧٨ والطبرسي في (مجمع البيان) م ٤ ص ٦٢، ونقل الشيخ الطبرسي عن قتادة، وعكرمة، والكلبي (أنهم قالوا في معنى الآية: واجب عليها أنها إذا

أهلك لا ترجع إلى الدنيا قضاءً منه حتماً. وقال عطاء يريد حتم مني، والمراد أن الله تعالى كتب على من أهلك أن لا يرجع إلى الدنيا قضاءً منه حتماً.

فتدبر أيها المطالع الكريم قول الله تعالى في الآية، وأقوال المفسرين فيها من الأئمة والصحابة والتابعين التي تصرح أن من أهلك بالعذاب عقوبة لا يرجع إلى الدنيا، وأن رجوعهم إليها حرام، وممتنع، وأن الواجب هو عدم رجوعهم فإذا مفهوم هذه الأقوال: أن غيرهم من الكافرين الذين محضوا الكفر لا بد وأن يرجعوا إلى الدنيا في الرجعة ليعانوا القتل والخزي والعار على أيدي المؤمنين الصالحين الذين يورثهم الله الأرض من بعدهم كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ [الأنبياء/ ١٠٥].
والآن نعود إلى بقية الأحاديث حول الآية ومعناها.

٣ - قال السيوطي في تفسيره (الدر المنثور) ج ٤ ص ٣٣٥: وأخرج الفريابي، وابن أبي حاتم، والبيهقي في الشعب عن ابن عباس في قوله (وحرام على قرية أهلكناها) قال: وجب إهلاكها، قال: دمرناها (أنهم لا يرجعون) قال: إلى الدنيا.

٤ - وقال السيوطي أيضاً: وأخرج سعيد بن منصور، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن أبي حاتم، وابن مردويه عن ابن عباس أنه كان يقرأ (وَحَرَامٌ عَلَى قَرْيَةٍ) قال: وجب على قرية ﴿أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ كما قال: ﴿أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ [يس/ ٣٢].

٥ - وقال السيوطي أيضاً: وأخرج ابن المنذر، وابن أبي حاتم عن قتادة: (وحرام على قرية): أي وجب عليها أنها إذا أهلك لا ترجع إلى دنياها. ونقل الفخر الرازي في تفسيره (مفاتيح الغيب) ج ٦ ص ١٣١ قول قتادة ومقاتل أنهما قالاً: أن الذين أهلكوا بالعذاب لا يرجعون إلى الدنيا.

وقال ابن كثير في (تفسيره) ج ٣ ص ١٩٤ : (وحرام على قرية) قال ابن عباس : وجب يعني قد قدر أن أهل كل قرية أهلكوا لا يرجعون إلى الدنيا قبل يوم القيامة . ثم قال ابن كثير : هكذا صرح به ابن عباس ، وأبو جعفر الباقر عليه السلام وقتادة وغير واحد .

فلسفة الرجعة وحكمتها البالغة

لعل السر في أن مَنْ أهلك بالعذاب في الدنيا عقوبة لا يرجع في الرجعة إلى الدنيا - هو أن هؤلاء قد انتقم الله منهم في الدنيا، ونصر أوليائه عليهم لا يرجعون إلى الدنيا، إذ من فلسفة الرجعة وحكمتها هو أن ينصر الله أوليائه المظلومين في الدنيا على أعدائهم بالرجعة إلى الدنيا، أما إذا تحقق نصر الله لأوليائه، وخذلان أعدائهم والانتقام منهم في حياتهم الأولى فلا حكمة إذا تقتضي إرجاعهم مرة ثانية .

مثلاً قوم نوح لما تمادوا في الطغيان وأصرّوا على الكفر والعصيان دعا عليهم نوح عليه السلام قائلاً : ﴿ رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا ﴾ [نوح / ٢٧] .

فاستجاب الله دعائه فأغرق قومه بأجمعهم ، وما أنجى منهم إلا المؤمنين المخلصين فقط فقد نصر الله في الدنيا المؤمنين من قوم نوح ، وانتقم من الكافرين العصيين منهم فلا يرجعون ، وهكذا بقية الأمم التي أهلكها الله بالعذاب النازل عليهم وعلى قراهم كقوم لوط ، وقوم هود ، وقوم صالح وغيرهم من الأمم الماضية ومن هذه الأمة .

وتشير الآيات القرآنية التي استدللنا بها على الرجعة إلى من يُرجع إلى الدنيا في الرجعة ومن لا يُرجع وذلك أن قوله تعالى : ﴿ وَيَوْمَ نَخْشِرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِمَّنْ يُكَذِّبُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴾ وقوله تعالى : ﴿ قَالُوا رَبَّنَا أُمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَخْيَتْنَا اثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِنْ سَبِيلٍ ﴾ تشير هاتان الآيتان

إلى إرجاع بعض أهل النار وبعض المكذبين بآيات الله ممن محض الكفر محضاً، ونستفيد من قوله تعالى: ﴿وَحَرَامٌ عَلَى قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ أن من أهلكوا بالعذاب لا يرجعون إلى الدنيا.

وهناك آيات كثيرة تدل على أن الله سيرجع بعض أوليائه من أنبياء وغير أنبياء لينصرهم على أعدائهم وإليك بعض تلك الآيات في بحوث في الفصل التالي والله ولي التوفيق.

الفصل الخامس

إرجاع من محض الإيمان محضاً

الاستدلال بآية رابعة على الرجعة الدالة على إرجاع الله لحججه المظلومين لنصرهم

أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم، ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾ [المؤمن / ٥١].

المراد من اليوم الذي يقوم فيه الأشهاد هو يوم القيامة، والأشهاد جمع شهيد، بمعنى شاهد، كأصحاب ومفرده صاحب، والمراد من الأشهاد هم الذين يشهدون على الناس يوم القيامة عند الحساب من ملائكة ورسل وأئمة وغيرهم من سائر حجج الله على خلقه وفي هذه الآية الكريمة أخبرنا الله سبحانه مؤكداً لنا أنه تعالى لا بد وأن ينصر رسله والذين آمنوا في الدارين دنياً وآخرة، كما أكد لنا بوجوه من التأكيد نصره المطلق لهم وغير المقيّد بمكان أو زمان في آيات أخر مثل قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ﴾ [١٧٣ - ١٧١ / الصافات].

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا كَذَلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنَجِّ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [يونس / ١٠٣].

وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَأَنكَرْنَا مِنْ الَّذِينَ أَجْرَمُوا وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الروم / ٤٧].

وأمثال هذه الآيات البينات كثيرة جداً.

وَنَصْرُ اللَّهِ عز وجل لعباده المرسلين والمؤمنين الصادقين في الآخرة قد لا يجادل فيه أحد من المؤمنين. ولا يجدون ما يدعوهم إلى المجادلة في هذه النهاية لوضوح الأدلة الكاملة من الكتاب والسنة والإجماع والعقل على نصره لهم في الآخرة، ولكنّ الجدل قد يكون من كثير من الناس من مؤمنين وغير مؤمنين في نصر الله لهم في الحياة الدنيا حيث يشاهدون ويعلمون أنّ من الرسل مَنْ يُقْتَلُ شهيداً مظلوماً، ومنهم من يهاجر من أرضه وقومه مكذباً مطروداً وإنّ من المؤمنين من يسام سوء العذاب ويستشهد ويقتل مظلوماً، ومنهم من يلقي في الأخدود ليحرق إن لم يرجع عن دينه وعقيدته ومنهم من يعيش في كرب وشدة واضطهاد فيُتساءل حينئذ: أين وعد الله لهم بالنصر في الحياة الدنيا؟ أين غلبة جند الله لجند الشيطان؟

ويدخل الشيطان إلى النفوس الضعيفة في إيمانها أو عدم إيمانها من هذا المدخل ويفعل بها الأفاعيل ليزلزل عقيدتها أو ليزيدها كفراً وذلك لأن الكثير من الناس يقيسون الأمور والقضايا بظواهرها ويغفلون عن قيم كثيرة وحقائق عديدة في تقديراتهم ومقاييسهم فقد يقيسون بفترة من الزمن أو حيز محدود من المكان أو يقصرون معنى النصر على صورة معينة معهودة لهم قريبة الرؤية لأعينهم، وتلك مقاييس بشرية صغيرة، وأما المقياس الصحيح والشامل فيعرض القضايا في الرقعة الفسيحة من الزمان والمكان ولا يضع الحدود في عصر دون عصر ولا مكان دون مكان، وذلك لأن صورة النصر ومعانيه عديدة ومنوعة وهنا للإيضاح نذكر بعضاً من تلك الصور للنصر الحقيقي الذي يحضى به رسل الله وأولياؤه المخلصون بحسب ما تقتضيه الحكمة ويعلمه سبحانه من المصلحة.

موارد النصر لرسول الله وأوليائه بعشر صور

١ - نصر الله لهم على الذات والشهوات :

من موارد نصر الله لأوليائه نصره لهم على الذات والشهوات النفسانية ، وهو النصر الداخلي الذي لا يتم نصر خارجي بدونه في حال من الأحوال إذ من المعلوم أن عدو الإنسان الأول ، وعدوه الأكبر هو النفس الأمارة بالسوء ، وإلى هذا العدو الكبير يشير الحديث النبوي الشهير حيث قال ﷺ : (أعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك) راجع (مجمع البحرين) للطريحي في مادة جهد ص ١٩٣ ، و(البحار) للمجلسي ج ٧٠ ص ٦٤ نقلاً عن (عدة الداعي) ونقله الشيخ البهائي في كتاب (الأربعين) في الحاشية عن الغزالي في كتاب (مدارج القدس) وجهاد هذا العدو الداخلي هو الجهاد الأكبر والأفضل كما جاء أيضاً في الحديث المسند عن الإمام موسى بن جعفر عن آبائه عن علي أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال : إن رسول الله ﷺ بعث سرية فلما رجعوا قال : مرحباً بقوم قضاوا الجهاد الأصغر وبقي الجهاد الأكبر ، قيل : يا رسول الله وما الجهاد الأكبر؟ قال : جهاد النفس ، ثم قال ﷺ : أفضل الجهاد من جاهد نفسه التي بين جنبيه .

رواه بهذا النص الصدوق في كتابه (الأمالي) م ٧١ ص ٢٧٩ ، و(معاني الأخبار) ج ١ ص ١٥٦ ونقله المجلسي في (البحار) ج ٧٠ ص ٦٥ عن المصدرين المذكورين وعن كتاب (الاختصاص) للمفيد ص ٢٣٣ ، وعن كتاب (نوادير الراوندي) . ونقله عن الصدوق الشيخ محمد تقي الطهراني في كتابه (الأربعين حديثاً) ص ٣٥ وهو الحديث السابع من الكتاب والشيخ البهائي في كتاب (الأربعين) ص ٩٨ وهو الحديث الحادي عشر ، وأشار إليه الطريحي في (مجمع البحرين) فصل الدال باب ما أوله الجيم ص ١٩٢ .

ورواه الخطيب البغدادي عن جابر كما في (تفسير المنار) ج ١٠ ص ٢٦١
حيث قال: وحديث جابر عند الخطيب: قدمتم خير مقدم من الجهاد الأصغر
إلى الجهاد الأكبر مجاهدة العبد هواه.

ومن المعلوم المقطوع به أن الله سبحانه قد تكفل لهؤلاء المجاهدين
لأنفسهم أن يهديهم بالهداية الخاصة إلى الطريق القويم والصراط المستقيم
الموصل إليه والمقرب منه، والمؤدي إلى كافة سبله الحق، ويكون معهم دائماً
وأبداً هادياً ومعلماً وناصراً ومعيناً لهم على أعدائهم كافة وخصوصاً على
العدوين الرئيسين المهمين هما النفس الأمارة بالسوء أولاً، والشيطان ثانياً،
ومن أوضح الأدلة على ذلك قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ
اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت/ ٦٩]. وقوله تعالى: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا
يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أُولَئِكَ أَطْلُغُهُم يَخْرِجُهُم مِّنَ
النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة/ ٢٥٧].

فهذا هو النصر الأول من الله لعباده المؤمنين المخلصين، وكل ما كان الإيمان
عند الإنسان أعمق والإخلاص لله بالعمل أكثر يكون النصر من الله لهم أوفر،
وهذا النصر - ويا للأسف - يغفل عنه عامة الناس إلا من عصمه الله وقليل ما هم
﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرُونَ﴾ [سبأ/ ١٣].

٢ - نصر الله لهم بالحجة والدليل:

أنهم لمنصورون من الله بالحجة والدليل لأنهم على الحق والحق غير
مغلوب، وقد سمى الله الحجة بالحق سلطاناً في غير موضع مثل قوله تعالى:
﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾ [هود/ ٩٦].

والظاهر أن المراد من الآيات المعجزات التي أيده الله بها، والسلطان
المبين الحجة بالحق. وقوله تعالى: ﴿إِنَّ عِبَادِيَ لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ
مِنَ الْغَاوِينَ﴾ [الحجر/ ٤٢].

أي ليس لك عليهم حجة قوية تغلبهم بها، وقوله تعالى حاكياً عن لسان أهل الكهف: ﴿ هَؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ ءَالِهَةً لَّوْلَا يَأْتُواكَ عَلَيْهِم بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ فَمَن أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ﴾ [الكهف/ ١٥].

والسلطان البين في هذه الآية هو الحجة الظاهرة، وهذه النصرة عامة لجميع المحققين، وهي السلطان الواقعي، لأن السلطنة الدنيوية قد تبطل، وقد تبدد وقد تزول بالفقر والذلة والحاجة والفتور إلى غير ذلك من التقلبات التي تعثر بها، وأما السلطنة الحاصلة بالحجة فإنها تبقى أبد الأبدين ولا يتطرق إليها الخلل والفتور عند أهلها المحققين.

وقد سماها الله تعالى أيضاً فصل الخطاب بقوله تعالى في نبيه داود: ﴿ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَأَتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصَّلَ الْخِطَابِ ﴾ [ص/ ٢٠]. والمراد من فصل الخطاب البيان الشافي والحجة القوية في كل محاجة تقع بينه وبين خصومه وفي هذه الأمة خص الله علماً أمير المؤمنين والأئمة من أبنائه بعد رسول الله ﷺ بفصل الخطاب الدائم الحاسم، بحيث ما حاجهم أحد من خصومهم مطلقاً إلا وخصموه ولذلك كان علي يقول على منبره أمام الملاء العام من الناس: عندي علم المنايا والبلايا والوصايا والأنساب وفصل الخطاب ومولد الإسلام ومولد الكفر، وأنا صاحب الميسم، وأنا الفاروق الأكبر ودولة الدول، فاسألوني عما يكون إلى يوم القيامة وعما كان قبلي وعلى عهدي وإلى أن يعبد الله.

(رواه بهذا النص عن سلمان ابن شهر آشوب في كتابه المناقب ج ٢ ص ٣٩ ونقله عنه المجلسي في البحار ج ٤٠ ص ١٥٤) ولقد أجاد الشريف الرضي حيث يقول كما في (المناقب) ج ٢ ص ٣٧:

يا بني أحمد أناديكم اليوم	وأنتم غداً لرد جوابي
ألف باب أعطيتم ثم أفضى	كل باب منها إلى ألف باب
لكم الأمر كله وإليك	ولديكم يؤول فصل الخطاب

٣ - نصر الله لهم بجعل القلوب تهواهم وتحبهم :

إنهم لمنصورون من الله بجعله القلوب تهواهم وتحبهم والألسن تمدحهم وتعظمهم دائماً في حياتهم وبعد مماتهم واستشهادهم ، وإن الظالمين وإن قهروا قسماً كبيراً من المحققين وغضبوا مراتبهم التي رتبهم الله فيها ، وحاولوا بعد ذلك إسقاطهم عن المجتمع ، وإلصاق التهم بهم والافتراء عليهم ولكن الله تعالى شأنه خيب أهداف أولئك الظالمين وآمالهم برفعة شأن أوليائه وإبقاء المدح والثناء لهم خالداً ما خلد الدهر حتى على ألسن أعدائهم وغاصبي حقوقهم ، وهكذا استقرت جذور العقيدة بالحق وأهله في الأرض وقام بناء الإيمان على الرغم من جميع العوائق ، وعلى الرغم من تكذيب المكذبين وافتراءاتهم ، وعلى الرغم من التنكيل بأهل الحق والدعاة إليه وصدق الله سبحانه حيث قال : ﴿ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ ﴾ [الرعد / ١٧] .

ولك أكبر عبرة في علي وأبنائه الطاهرين مع أعدائهم وغاصبي حقوقهم كيف حاولوا إسقاط مقامهم وعظيم شأنهم ، وكتموا مآثرهم وفضائلهم ولكن ذلك وغير ذلك من محاولات أعدائهم كلها باءت بالفشل الذريع ، وأبى الله إطفاء نورهم الوهاج الذي هو نوره ولقد أجاد من قال :

محبوهم خوفاً وأعداؤهم بغضاً بها ملأ الله السماوات والأرضاً

لقد كتمت آثار آل محمد وقد شاع من بين الفريقين نبذه .

قال ابن أبي الحديد في مقدمة شرح (نهج البلاغة) عند استعراضه بعض فضائل علي أمير المؤمنين عليه السلام ج ١ ص ٦ : وما أقول في رجل أقر له أعداؤه وخصومه بالفضل ولم يمكنهم جحد مناقبه ولا كتمان فضائله فقد علمت أنه استولى بنو أمية على سلطان الإسلام في شرق الأرض وغربها واجتهدوا بكل

حيلة في إطفاء نوره والتحريف عليه ووضع المعائب والمثالب له، ولعنوه على جميع المنابر وتوعدوا ما دحيه بل حسدوهم وقتلوهم ومنعوا من رواية حديث يتضمن له فضيلة أو يرفع له ذكراً حتى حظروا أن يسمى أحد باسمه فما زاده ذلك إلا رفعة وسمواً وكان كالمسك كلما ستر انتشر عرفه وكلما كُتم تضيع نشره، وكالشمس لا تستر بالراح وكضوء النهار أن حُجبت عنه عين واحدة أدركته عيون كثيرة.

نعم هكذا قال الله عز من قائل: ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا نَصِفُونَ﴾ [الأنبياء/ ١٨].

٤ – نصر الله لهم بما آتاهم من علوم إحيائية وإلهامية :

إن رسل الله وأنبياءه وسائر حججه منصورون من الله تعالى بما آتاهم من علوم إحيائية وإلهامية جمّة ومنوعة فيها الهدى لهم ولأتباعهم من الأمم، وأنزل جل وعلا كتبه المقدسة وتشريعاته القيمة عليهم، والتي كانت كلها ماثلة تماماً وكمالاً في سلوكهم لعامة الناس من أتباعهم وغير أتباعهم وداعين إليها بكل ترغيب وتبشير وناهين عن ترك العمل بها بكل إنذار وتحذير وبعناية من الله تعالى ورعاية منه أبقي آثارهم وكافة تعاليمهم وما آتاهم من علوم خالدة على مدى الأحقاب المتعاقبة والأجيال المتتالية والناس ينهلون من تلك العلوم المنوعة الجمّة ويقتدون بهم في أعمال البر والخير بينما أعداؤهم ماتوا وبموتهم ماتت آثارهم وما بقي لهم في الدنيا إلا الخزي والعار واللعنة الدائمة والذكر السيء والصحيفة السوداء على جبين الدهر مدى الأحقاب والأجيال.

وإلى هذا المعنى من النصر أشارت عدة آيات قرآنية كقوله تعالى في موسى وقومه: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْهُدَى وَأَوْرَثْنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ الْكِتَابَ ۖ وَهُدَىٰ وَذِكْرَىٰ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ [المؤمن/ ٥٣ – ٥٤].

وكقوله تعالى في نبينا وقرآنه: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ [الحجر / ٩].

وكقوله تعالى: ﴿ وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ إِنَّ اللَّهَ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ ﴾ ثُمَّ أَوْثَرْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ أَصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ، وَمِنْهُمْ مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ يُاذِنُ اللَّهُ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴾ [فاطر / ٣١ - ٣٢].

وكقوله تعالى: ﴿ اللَّهُ نَزَلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَبِّهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ، مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴾ [الزمر / ٢٣].

٥ - نصر الله لهم بنا آتاهم من الهيبة والعزة:

ومنصورون بالقوة الروحية والعزة الإلهية حيث أنهم بما آتاهم من قوة اليقين، وظهور الحجة، ونور العلم الذي ملأ بواطنهم، كانوا أعزاء في أنفسهم وعند الناس أجمعين حتى عند أعدائهم، وكانوا ينظرون إلى المستكبرين والظالمين نظر إزدراء وتحقير، ولا يعيرون أي اهتمام لما في أيديهم من وسائل المادة الفانية مهما كانت عظيمة في أنظارهم وأنظار الجهلاء من أتباعهم وأنظار ضعفة الإيمان الذين ينخدعون بتلك الوسائل المادية ويرونها وكأنها وسائل نصر لهم وإعزاز وقوة، في حين أن القوة الحقيقية والعزة الواقعية هما لله وحده، وأمرهما بيده لا بيد غيره، وقد شاء أن يجعلهما باقين وخالدين لأوليائه دون أعدائه قال تعالى: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ ﴾ [البقرة / ١٦٥]، وقال تعالى: ﴿ الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَيْبَنُغُوتَ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةُ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴾ [النساء / ١٣٩]، وقال تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ،

وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُتَفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٩﴾ [المنافقون / ٩].

وجاء في الحديث الشريف عن الصادق الأمين عليه السلام أنه قال: من أحب أن يكون أعز الناس فليثق الله ومن أحب أن يكون أقوى الناس فليتوكل على الله، ومن أحب أن يكون أغنى الناس فليكن بما في يد الله أوثق منه بما في يده. (راجع مقتل الحسين للسيد محمد تقي آل بحر العلوم ص ٤١) وقال الحسن المجتبي عليه السلام في وصيته لجنادة بن أبي أمية: يا جنادة إذا أردت عزاً بلا عشيرة، وهيبة بلا سلطان فأخرج من ذل معصية الله إلى عز طاعة الله (راجع البحار ج ٤٤ ص ١٣٨ نقلاً عن كتاب الكفاية) وجاء في الدعاء: اللهم أعزني بطاعتك وأذل أعدائي بمعصيتك وأقصمهم يا قاصم كل جبار عنيد. الخ، (راجع ضياء الصالحين ص ٣٨٤).

٦ - نصر الله بما آتاهم من المعجزات والآيات:

أنهم منصورون من الله على أعدائهم بما آتاهم الله من الآيات والمعجزات التي يعجز الناس عن الإتيان بمثلها لأنها خارقة للنواميس الطبيعية المعتادة بين البشر، وجعلها الله لكافة حججه من رسل وأنبياء وأوصياء لتكون دليلاً قاطعاً وبرهاناً ساطعاً على صدقهم وتصديقهم في دعواهم الرسالة والنبوة والإمامة عن الله عز وجل.

والآيات والمعجزات - كما هو معلوم - هي فعل الله وحده لا شريك له، ولا يقدر عليها أي مخلوق، ولكنه - بإذن خاص منه تعالى - قد شاء أن يجريها على أيدي حججه لحكمة تصديقهم قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِثَابِتٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ فُضِيَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ﴾ [المؤمن / ٧٩].

الحِكم في جعل الله أولياءه غالبين ومغلوبين

هذه بعض الموارد من معاني النصر الإلهي لعباده المرسلين وأوليائه المخلصين، وكان من تقدير الله عز وجل ولطفه بعباده وحكمته أن جعلهم - مع ما آتاهم من أنواع التأييد والنصر، وما منحهم به من وجوه الآيات والمعجزات - في حال غالبين وفي أخرى مغلوبين وفي حال قاهرين وفي حال مقهورين لحكم عديدة وكثيرة.

منها أولاً: أنه لو جعلهم سبحانه في جميع أحوالهم غالبين وقاهرين ولم يبتلهم ولم يمتحنهم لأتخذهم الناس آلهة من دون الله عز وجل، ويكون ذلك سبباً في إضلال الناس عن خالقهم ومدبرهم الحقيقي لأن القاهرة المطلقة، والغالبية الدائمة صفتان لله خاصة دون جميع خلقه قال تعالى: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ. وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾ [الأنعام/ ١٨].

وقال تعالى: ﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ. وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يوسف/ ٢٢].

ثانياً: ومن تلك الحكم أنه تعالى لو لم يبتلهم بمحن ومصائب عظام تقع عليهم من أعدائهم لما عرف الناس فضيلة، صبرهم وإذا لقالوا: لو أن الأنبياء أصيبوا بمثل مصائبنا لما صبروا عليها ولكن لما كانوا أكثر الناس محناً ومصائب وقد صبروا عليها صبراً جميلاً إتباعاً لرضا الله العظيم عرف الناس عظيم صبرهم واقتدوا بهم في الصبر على الصعاب والمصائب، واستحقوا من الله العظيم الأجر والثواب قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُؤَفِّقُ الصَّابِرِينَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر/ ١١].

ثالثاً: ومن تلك الحكم بجعلهم غالبين تارة بما آتاهم من الاستقامة، والعلوم، والآيات والمعجزات، ومغلوبين تارة أخرى بما ابتلاهم وامتحنهم به من المحن والمصائب ليعلم العباد أن لهم إلهاً هو خالقهم ومدبرهم، وهو الذي

آتاهم ما لم يؤت أحداً من العالمين، كما أنه هو الذي ابتلاهم وامتحانهم حتى يعبدوه وحده لا شريك له ويطيعوا رسله وحججه والذين افترض على العباد، إطاعتهم قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [النساء/ ٦٥].

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِيَ الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ [النساء/ ٦٠].

رابعاً: ومن تلك الحكم لتكون حجة الله تعالى ثابتة على من تجاوز الحد فيهم وأدعى لهم الربوبية أو عاند وخالف وعصى وجحد بما أتت به الأنبياء والرسل.

وبيان ذلك هو أن الناس كانوا بالنسبة إلى حجج الله ثلاثة أقسام قسم منهم آمن بهم لعلمهم أن الله قد اختارهم وارتضاهم حججاً على عباده فاتبعوهم وأطاعوهم كل بمقدار ما أوتي من حظ، وقسم ثانٍ غالى بهم بأنواع من المغالات كاليهود الذين قالوا (عزيز ابن الله) وكالنصارى الذين قالوا، (المسيح ابن الله) كما إن قسماً من هذه الأمة قد غالى أيضاً بعلي أمير المؤمنين وأنزله بغير منزلة من العبودية فقالوا: إنه هو الإله أو أن الإله قد حل فيه إلى ما هنالك من أقوال المغالين فيه وفي بعض أبنائه الطاهرين، وقسم ثالث من الناس قد عاند أولئك الحجج وخالفوهم وجحدوا نبوتهم أو إمامتهم وحاربوهم، فالله سبحانه يحتج يوم القيامة على من غالى فيهم بأنكم كيف اتخذتموهم أرباباً من دوني؟ أما علمتم أنهم كانوا في الدنيا مقهورين مغلوبين؟ فتكون بذلك حجة الله ثابتة عليهم لأن الإله لا يمكن أن يُغلب بحال من الأحوال.

وهكذا يحتج على من عاندهم وابغضهم وجحد نبوتهم أو إمامتهم بأنكم كيف جحدتموهم وأبغضتموهم وعاندتموهم؟ أما علمتم أنني قد أيدتهم بأنواع التأييد وفضلتهم بوجوه التفضيل؟ والتي كان أظهرها المعجزات التي أجريتها

على أيديهم؟ وبذلك تكون حجة الله ثابتة عليهم قال تعالى: ﴿قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَلِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَيْتُكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الأنعام/ ١٤٩].

خامساً: كل هذه الحكم وغيرها العلة فيها ﴿لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنفال/ ٤٢].

نعم هكذا إن الله سبحانه أبان الحق وأهله، وأبان الباطل وأهله فمن اتبع الباطل وأهله فقد هلك ومن اتبع الحق وأهله فقد نجا وحيى الحياة الطيبة، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ [الأنفال/ ٢٤].

عود إلى موارد النصر الإلهي لأوليائه

٧ - نصر الله لهم بدفع القتل عنهم قبل حضور آجالهم:

ومن موارد نصر الله عز وجل لأوليائه أنه تعالى يدفع عنهم - فيما يدفع - القتل والاعتقال قبل حضور آجالهم المحتومة، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْفِعُ عَنِ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ﴾ [الحج/ ٣٨].

وبيان ذلك:

بيان موجز في آجال الموت

هو أن الله المدبر لكافة عباده جعل لكل إنسان، أجلاً محتوماً يموت فيه لا يتعداه وهو الأجل المسمى عنده وهو الذي يقع بالفعل في هذا الكون الواسع من مبدئه إلى منتهاه سواء كان المتوفى كبيراً أو صغيراً وبأي سبب كان موته قتلاً أو اغتيالاً أو بحادثة من الحوادث مهما كان نوع تلك الحادثة من غرق أو سحق أو هدم أو حرق أو مرض أو بغير مرض كمن يموت فجأة أو غير ذلك فهذا الأجل هو الذي لا يتقدم ولا يتأخر وإليه تشير عدة آيات صريحة في هذا المعنى كقوله

تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [الأعراف/ ٣٤] و[النحل/ ٦٢]، وكقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُّوَجَّلًا﴾ [آل عمران/ ١٤٥]، وكقوله تعالى: ﴿وَمَا يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَلَا يُنْقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [فاطر/ ١١]، وإلى غير ذلك من الآيات الكثيرة في هذا المعنى.

ومن هنا ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: كفى بالأجل حارساً.

أما من لم يحضر أجله المسمى له عند الله، فإن الله قادر على دفع الموت عنه وتأخيرته وإن توفرت جميع الأسباب الموجبة لموته — إلى أجله — المؤجل له، وهذا التأخير قد يكون لبعض المعاندين المفسدين كقوله تعالى في آل فرعون: ﴿فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمْ الرِّجَزَ إِلَىٰ أَجَلٍ هُمْ بَلِّغُوهُ إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ﴾ [الأعراف/ ١٣٥].

وكقوله تعالى: ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَوْلَا أَجَلٌ مُّسَمًّى لَجَاءَهُمُ الْعَذَابُ وَلَيَأْتِيَنَّهُمْ بَغْةٌ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [العنكبوت/ ٥٣].

وقد يكون هذا التأخير للأجل للمؤمنين الصالحين المستغفرين كقوله تعالى: ﴿وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمِنِّعْكُمْ مِّنْعًا حَسَنًا إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ﴾ [هود/ ٣] والموت المؤخر أجله عن أهله من المؤمنين وغير المؤمنين هو من الآجال المسجلة في لوح المحو والإثبات والموت الذي يقع بالفعل هو من الآجال الثابتة في أم الكتاب وهو اللوح المحفوظ الذي لا بد من وقوعه في وقته، وإلى ذلك يشير قوله تعالى: ﴿لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ۚ يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ ۖ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ [الرعد/ ٣٨ — ٣٩].

فالآجال منها ما هو ثابت في كتاب ولكن الحكمة الإلهية والمشیئة الربانية تقتضي محو ذلك الثابت وإرجاعه أخيراً إلى أم الكتاب أي أصله الذي لا يتغير

ولا يتبدل وهو ما يقع بالفعل ، وهو تعالى بكل أمر يريد به فهو في علمه قبل أن يضعه فلا يخفى عليه شيء في السموات والأرض مما يقع فيهما وما لم يقع ومما يثبت ويمحي ومما لا يعتريه المحو بعد الإثبات . . .

وبعد هذا البيان الموجز نقول: إن أعداء الله وأعداء أوليائه والحق يحاولون بكل جهد وبكل ما أوتوا من قوة أن يزيلوا الحق وأهله من الوجود ولكن الحكمة الإلهية تقتضي عدم إزالتها فعندما يحاول أولئك الأعداء إزالة أهل الحق والقضاء عليهم قبل تبليغهم للحق الذي أمروا بتبليغه وإقامته يحول الله تعالى بينهم وبين ما يريدون، حيث يدفع الله عنهم كيد أعدائهم نصرة لأوليائه، وإبقاءً للحق الذي أمروا بتبليغه وإقامته .

وإلى ذلك تشير عدة آيات في القرآن المجيد ومنها قوله تعالى: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّهُ اللَّهُ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ، وَأَنَّهُ إِلَهُ تَحْشَرُونَ﴾ [الأنفال/ ٢٤]، والمراد من القلب في هذه الآية الكريمة هو النفس الإنسانية وميلانها إلى ما تريد، فما لا يريد الله وقوعه يحول بينهم وبين ما يريدون لاقتضاء حكمته وتدبيره لعباده، والواقع بالفعل هو الذي يريد الله وقوعه وإلا لما وقع، قال تعالى: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [التكوير/ في آخرها] .

ولهذه الحقيقة شواهد في التاريخ قد لا تعد ولا تحصى وعلى سبيل المثال نشير إلى بعضها .

دفع الله القتل عن نبيه محمد ﷺ

فهذا رسول الله ﷺ بعد بعثته ودعوته إلى توحيد الله عز وجل ، وتنديده بالأصنام التي كانت تعبد من دون الله حاول أعداؤه من قريش وغيرهم إزالته وإزالة الحق والدين الذي جاء به عن ربه وعزموا مراراً عديدة على قتله أيام إقامته بمكة وحال الله بينهم وبين ما أرادوا .

وآخر محاولة لهم على قتله بمكة ليلة هجرته إلى المدينة، حيث أن قريشاً - بمؤامرة مدبرة فيما بينهم - قد اجتمعت بقبائلها على باب دار النبي ﷺ في تلك الليلة وقد صممت على قتله فيها ليضيع دمه فيما بين تلك القبائل، وأوحى الله إليه يخبره بما اجتمعت عليه قريش وأمره أن يخرج من داره ويترك علياً أمير المؤمنين نائماً على فراشه ويهاجر إلى المدينة، فأمثل أمر ربه، ولم يسأله كيف أخرج من الدار وقريش وقوف على بابها وهي تريد قتلي؟ ذلك لعلمه ﷺ إن الله سينجيه من مكرها وكيدها، وبالفعل دعا رسول الله ﷺ علياً واخبره بذلك وقال له :

أوحى إليّ ربي أن أهاجر دار قومي وأنطلق إلى غار ثور في ليلتي هذه، وأن أمرك بالمبيت على مضجعي ليخفى بمبيتك عليهم أمرى فقال له علي عليه السلام أو تسلمن بمبיתי مكانك يا نبي الله؟ قال : نعم، فتبسم علي ضاحكاً وهوى إلى الأرض ساجداً شاكراً لله لما بشره ﷺ بسلامته يقول المؤرخون : وكان عليّ أول من سجد شكراً لله، وأول من وضع جبهته على الأرض في سجده من هذه الأمة بعد رسول الله ﷺ فلما رفع رأسه قال : امض فيما أمرت فداك سمعي وبصري وسويداء قلبي، ومُرني بما شئت قال : أرقد على فراشي واشتمل ببردي الحضرمي ثم أني أخبرك أن الله يمتحن أوليائه على قدر إيمانهم ومنازلهم من دينه، فأشد الناس بلاء الأنبياء ثم الأوصياء ثم الأمثل فالأمثل وقد امتحنك يا بن عمّ وامتحنني فيك بمثل ما امتحن خليله إبراهيم والذبيح إسماعيل فصبراً صبراً فإن رحمة الله قريب من المحسنين ثم ضمه النبي ﷺ وبكى، وبكى علي عليه السلام حزناً على فراق رسول الله ﷺ ثم خرج في فحمة العشاء الآخر، والرصد من قريش قد أطافوا بداره وقد أخذ بيده قبضة من تراب فرمى بها على رؤوسهم وهو يقرأ ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴾ [يس/ ٩] وسار حتى تجاوزهم من دون أن يشعر به أحد منهم، ومضى حتى

وصل الغار فدخل فيه ومعه أبو بكر حيث التقى به في طريقه .

وأمر الله العنكبوت فنسجت على باب الغار وأمر حمامتين وحشيتين فباضتا بفم الغار وحينما جاء القوم في طلبه متبعين أثره وقربوا من باب الغار وقد انقطع هناك أثره وقفوا متحيرين في أمره وقال بعضهم إن العنكبوت قد نسج عليه والحمام قد باض هنا قبل ميلاد محمد ، ويثسوا منه ورجعوا خائبين .

نعم هكذا نصر الله نبيه وأنجاه من مكرهم كما قال تعالى : ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِينَ ﴾ [الأنفال / ٣٠] .

هذا ما كان من أمر النبي ﷺ ، وأما عليّ عليه السلام فإنه لما بات مكان رسول الله ملتحفاً ببرده جعل القوم يقذفونه بالحجارة حيث كانت دور مكة يومئذ لا أبواب لها وهم لا يشكّون أنه رسول الله حتى إذا قرب الفجر هجموا عليه فلما بصر بهم عليّ عليه السلام وقد انتضوا السيوف في وجهه وثب عليهم فأخذ سيف خالد بن الوليد من يده وكان معهم وشدّ عليهم به فأجفلوا أمامه إجمال النعم وأبصروه وإذا هو عليّ وقالوا له : إننا لم نردك ، فما فعل صاحبك ؟ قال : لا علم لي به ، وفتشوا الدار فلم يجدوا للنبي عيناً ولا أثراً .

وحفظ الله علياً أيضاً من كيدهم حيث يروي لنا المفسرون والمحدثون والمؤرخون من العامة فضلاً عن الخاصة : إن الله أوحى إلى جبرئيل وميكائيل تلك الليلة : أني آخيت بينكما وجعلت عمر أحدكما أطول من الآخر فأيكما يؤثر صاحبه بالحياة ؟ فاختر كلاهما الحياة فأوحى الله إليهما : أفلا كنتما مثل علي بن أبي طالب آخيت بينه وبين نبيي محمد ﷺ فبات علي فراشه يفديه بنفسه ويؤثره بالحياة ، إهبطا إلى الأرض فاحفظاه من عدوه ، فهبطا فكان جبرئيل عند رأسه وميكائيل عند رجله ، وجبرئيل ينادي بَخْ بَخْ من مثلك يا بن أبي طالب يباهي الله عز وجل بك الملائكة ، وأنزل الله على رسوله ﷺ وهو متوجه إلى

المدينة في شان علي ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾ [البقرة/ ٢٠٧] ^(١) ولولا حفظ الله لعلي عليه السلام لقتل في تلك الليلة لأنه هو ناصر النبي الوحيد بعد أبي طالب وحيث أن قريشاً لم يظفروا بالنبي ﷺ وقد وجدوا علياً نائماً مكانه فإذاً، يقتضي لهم أن يقتلوه عوض رسول الله ﷺ ويكونوا بذلك قد تخلصوا من أعظم ناصر له، ولكن كيف يستطيعون قتله وقد أهبط الله عليه جبرئيل وميكائيل لحفظه وحفظ حياته ولما هاجر النبي ﷺ إلى المدينة أقام المشركون من قريش وغيرهم الحروب على رسول الله ﷺ بهدف القضاء عليه وعلى دينه وأصحابه في بدر واحد والأحزاب وخيبر وحنين وتبوك وغيرها، ولكن الله نصر نبيه ودينه وسلمهما من مؤامرات الأعداء المتتالية حتى أكمل له ولأئمة الدين وأتم عليهم النعمة، ورضي لهم الإسلام ديناً خالداً، وكان ذلك بعد إقامته ﷺ علياً إماماً وعلماً للمسلمين بعده يوم غدير خم وأنزل على نبيه في ذلك هذه الآية الكريمة: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِيناً﴾ [المائدة/ ٣].

دفع الله القتل عن علي وأبنائه عليه السلام

ولما جاء دور علي أمير المؤمنين عليه السلام بعد رسول الله ﷺ تأمر من تأمر على قتله مراراً عديدة في كل أدوار حياته كما هو معروف في التاريخ ولكن الله سلمه من تلك المؤامرات حتى حضر أجله وشاء جلّ وعلا بالأخير أن يقتل شهيداً في محرابه وهو يقول: فزت وربّ الكعبة.

ولما جاء دور الحسن بن علي عليه السلام أيضاً تأمر أعداؤه عليه من بني أمية

(١) راجع سند الحديث في كتابنا (دراسات موضوعية في الإمام الحسين (ع) وعشرة محرم) ج ١ ص ٣٨ فقد نقلناه عن حوالي ١٧ مصدراً من مصادر أهل السنة وغيرهم بصحائف مرقمة، وسيصدر قريباً إن شاء الله.

ومن الخوارج وغيرهم، وقد دُسَّ له السمّ مراراً وأنجاه الله منه^(١) ولما جاءه أجله أخيراً قضى نحبه مسموماً شهيداً.

وأما الحسين عليه السلام فمعلوم أن يزيد بن معاوية قد صمّم على قتله منذ امتنع عن بيعته وكتب إلى عامله في المدينة الوليد بن عتبة بن أبي سفيان: إذا جاءك كتابي هذا فعجّل عليّ بجوابه وبيّن لي فيه كل من دخل في طاعتي أو خرج عنها وليكن مع الجواب رأس الحسين بن علي.

وحينما خرج الحسين من المدينة إلى مكة أرسل يزيد إليها ثلاثين رجلاً من شياطين بني أمية ومردتهم وأمرهم باغتياله وقتله فيها ولو كان متعلقاً بأستار الكعبة وحال الله بينهم وبين ما أرادوا وأخيراً قتل شهيداً مع أصحابه وأهل بيته.

وأما ولده زين العابدين علي بن الحسين عليه السلام فقد أرادوا قتله بعد قتل أبيه الحسين حين هجم أعداؤه على عياله، وقد اختلف الحاضرون منهم في قتله أو أسره، جاء الشمر وجرد سيفه قائلاً: قد صدر الأمر من الأمير عبيد الله بن زياد أن لا نبقي من أهل هذا البيت باقية.

وهكذا أراد ابن زياد قتله في مجلسه حين جاءوا به أسيراً إليه، وقال لغلمانه: يا غلمان خذوا هذا، العليل واضربوا عنقه، وفي كل ذلك وغير ذلك، حال الله بينهم وبين ما يريدون، وعاش بعد أبيه أربعاً وثلاثين سنة حتى جاءه أجله فقتل مسموماً شهيداً.

هكذا جميع أئمتنا أراد أعداؤهم قتلهم مراراً كما هو معلوم في التاريخ واحداً بعد واحد ولكن الله جلت قدرته يحول بينهم وبين ما يريدون وأخيراً

(١) راجع تصريحات الحسن (ع) في أنه قد سقى السمّ مراراً (البحار) ج ٤٤ ص ١٣٨ نقلاً عن كتاب (حلية الأولياء) للحافظ أبي نعيم، وص ١٤٥ نقلاً عن ابن أبي الحديد عن أبي الحسن المدائني، وص ١٤٧ نقلاً عن (الاحتجاج) للطبرسي وغيرها من المصادر.

يختار الله لهم الشهادة في سبيل دينه ، وهم كما نقل الحسن المجتبي عن جده رسول الله ﷺ : والله لقد عهد إلينا رسول الله ﷺ أن هذا الأمر (أي أمر الإمامة) يملكه اثنا عشر إماماً ، ما منا إلا مسموم أو مقتول . (البحار ج ٤٤ ص ١٣٩) نعم يقول الله تبارك وتعالى : ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾ [آل عمران / ١٦٩] .

٨ - نصر الله لبعضهم بإبادة أعدائهم بالكامل :

واقتضت حكمته أن ينصر بعض أوليائه في الدنيا من رسل وأنبياء وأئمة نصرأ حاسماً بيناً بإبادة أعدائهم إبادة تامة ، وإبقائهم من بعدهم منتصرين غالبين نصرأ حاسماً فمن ذلك ما حكاه الله عن قوم نوح عليه السلام الذين أغرقهم الله بالطوفان العام حيث قال تعالى : ﴿ وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِنْ قَبْلُ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ٦١ وَنَصَرْنَاهُ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ [الأنبياء / ٧٦ - ٧٧] ، وما حكاه عن عاد قوم هود الذين أهلكهم الله جميعاً ، وأبادهم بريح فيها عذاب أليم قال تعالى : ﴿ وَأَمَّا عَادُ فَأَهْلِكُوهَا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَلَيْهِ ٦٢ سَخَرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أُعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ٦٣ فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ ﴾ [الحاقة / ٦ - ٨] .

وما حكاه الله عن ثمود قوم صالح الذين أهلكهم الله بالصيحة التي أبادتهم قال تعالى : ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْمُخَضَّبِ ﴾ [القمر / ٣١] .

وما حكاه الله عن قوم لوط الذين قلب الله مدائنهم عليها سافلها قال تعالى : ﴿ فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ مَنضُودٍ ٨٢ مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴾ [هود / ٨٢ - ٨٣] .

وما حكاه الله عن فرعون وجنوده الذين أغرقهم الله في البحر وأنجى موسى ومن معه بقوله تعالى : ﴿ فَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ

فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ ﴿٦٣﴾ وَأَرْزَلْنَاهُمْ الْآخِرِينَ ﴿٦٤﴾ وَأَنْجَيْنَا مُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ ﴿٦٥﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخِرِينَ ﴿٦٦﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٦٧﴾ [الشعراء/ ٦٣ - ٦٧].

وبهذا النصر الإلهي تحققت إبادة الظالمين (والحمد لله رب العالمين).

٩ - نصر الله لبعضهم بتأخير الانتقام من أعدائهم إلى حين :

وقد تقتضي حكمته لبعض آخر من أوليائه من رسل وأنبياء وأئمة الذين قتلوا شهداء في سبيل دعوتهم إلى الله وإلى دينه والثبات عليه، وربما قتل مع بعضهم جمع من أصحابهم المؤمنين الثابتين على الحق مظلومين، مضطهدين أن يؤخر الله نصرهم على أعدائهم إلى حين آخر فتارة يسلط الله على أعدائهم من ينتقم منهم بعد استشهادهم بقليل كما نصر يحيى بن زكريا عليه السلام بالانتقام من قتله من بعده، فقد قتل به سبعون ألفاً من أعدائه، وكالحسين بن علي عليه السلام حيث سلط الله على قتله المختار بن أبي عبيد الثقفي فقتل منهم ما يقارب السبعين ألفاً وقيل أكثر من ذلك، كما سلط عليهم بني العباس فقتلوا من قتلوا منهم وسلط بعضهم على بعض حتى تفرقوا تفرقاً وتمزقوا تمزيقاً وخسروا الدنيا والآخرة. فقد نقل بن شهر آشوب في (المناقب) ج ٤ ص ٨١ عن تاريخ بغداد للخطيب البغدادي وتاريخ خراسان و(الإبانة) لابن بطة والفردوس قالوا: قال ابن عباس: أوحى الله تعالى إلى محمد ﷺ: إني قتلت بيحيى بن زكريا سبعين ألفاً وأقتل بابن بنتك سبعين ألفاً وسبعين ألفاً، وروي عن الصادق عليه السلام أنه قال: قُتل بالحسين مائة ألف وما طُلب بثأره، وسيطلب بثأره. أي على يدي مهدي آل محمد (عج)، نقل الحديث عن (المناقب) المجلسي في (البحار) ج ٤٥ ص ٢٩٨ ولعل قوله عليه السلام: (وسيطلب بثأره، يعني في الرجعة لأن الإمام لا يطلب بثأره إلا إمام، وكذا في الحديث السابق فيما أوحى الله إلى النبي ﷺ: (وأقتل بابن بنتك سبعين ألفاً وسبعين ألفاً لعل السبعين ألفاً الثانية في الرجعة لنفس الغرض).

١٠ - نصر الله لهم على أعدائهم بالرجعة :

إن النصر الحاسم والتام يكون تارة أخرى لأولياء الله المظلومين على أعدائهم الظالمين في الدنيا بعد رجوعهم معاً في الرجعة إليها أيام ظهور مهدي آل محمد (عج) فيأخذوا بثأرهم بأيديهم .

ولعل الآية الكريمة المبحوث عنها هي قوله تعالى : ﴿ إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ ﴾ تشير إلى موارد نصره الحاسم بالانتقام من أعدائه وأعداء أوليائه الذي أشرنا إليه برقم ٧ و ٨ و ٩ و ١٠ كما يأتي .

الأحاديث حول الآية الكريمة

وبالخصوص يكون ذلك النصر التام للمظلومين بالرجعة كما جاء في بعض أحاديث أهل البيت عليهم السلام :

أولاً : قال القمي في (تفسيره) ج ٢ ص ٢٥٨ : وقوله : ﴿ إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ وهو في الرجعة ، إذا رجع رسول الله صلى الله عليه وآله والأئمة عليهم السلام ثم قال : أخبرنا أحمد بن إدريس ، عن أحمد بن محمد عن عمر بن عبد العزيز عن جميل بن دراج عن أبي عبد الله عليه السلام قال أي (جميل بن دراج) : قلت له قول الله تبارك وتعالى : ﴿ إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ ﴾ ؟ قال عليه السلام : ذلك والله في الرجعة ، أما علمت أن أنبياء كثيرة لم ينصروا في الدنيا وقتلوا ، والأئمة بعدهم قتلوا ولم ينصروا ذلك في الرجعة . (أي يتحقق النصر لهم في الرجعة) ورواه بسنده أيضاً سعد بن عبد الله في (منتخب البصائر) ونقله عن المصدرين المجلسي في (البحار) ج ٥٣ ص ٦٥ وكذا السيد عبد الله شبر في كتابه (حق اليقين) ج ٢ ص ١٠ والحر العاملي في (الإيقاظ) ص ٣٤٤ والطبسي في كتابه (الشيعة والرجعة) ج ٢ ص ١٥٨ والبحراني في تفسيره (البرهان) ج ٢ ص ٩٥٥ .

ونقله عن القمي المولى محسن الفيض في تفسيره (الصافي) ونقله عن (المنتخب) الحسن بن سليمان بن خالد في رسالته .

ثانياً: روى ابن قولويه في كتابه (كامل الزيارة) بسنده عن أبي بصير عن أبي جعفر عليه السلام قال :

تلا ﴿ إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ ﴾ قال عليه السلام : الحسين بن علي منهم ، ولم ينصر بعد ، ثم قال : والله لقد قتل قتلة الحسين ولم يطلب بدمه بعد .

ونقله عن المصدر المذكور المجلسي في (البحار) ج ٤٥ ص ٢٩٨ ، ونقله عنه أيضاً البحراني في تفسيره (البرهان) ونقله أيضاً الطبسي في كتابه (الشيعة والرجعة) ج ٢ ص ١٥٨ .

ثالثاً: قال السيوطي في تفسيره (الدر المنثور) ج ٥ ص ٣٥٢ وأخرج ابن أبي حاتم عن السدي في هذه الآية قال : لم يبعث الله رسولاً إلى قوم فيقتلونه ، أو قوماً من المؤمنين فيدعون إلى الحق فيقتلون ، فيذهب ذلك القرن حتى يبعث الله إليهم من ينصرهم فيطلب بدمائهم ، ممن فعل ذلك بهم في الدنيا وهم منصورون فيها .

ورواه عن السدي أيضاً ابن كثير الدمشقي في (تفسيره) ج ٤ ص ٨٣ - ٨٤ معلوم أن قوله : فيذهب ذلك القرن حتى يبعث الله إليهم من ينصرهم فيطلب بدمائهم ممن فعل ذلك بهم في الدنيا وهم منصورون فيها ، واضح الدلالة على رجوع أولئك الأولياء المقتولين لقوله : وهم منصورون فيها ، ورجوع قاتلهم لقوله : فيذهب ذلك القرن حتى يبعث الله إليهم من ينصرهم فيطلب بدمائهم ممن فعل ذلك بهم في الدنيا .

إذاً الرجعة إلى الدنيا لا بد وان تقع لانتصاف المظلوم من الظالم وانتصاره

فيها كالحسين عليه السلام الذي قتل مظلوماً ولم ينصر في الوقت على قاتله، كما قتل أيضاً أبوه من قبله وأمه وأخوه وقتل أبناؤه الطاهرون من بعده أيضاً مظلومين وقتل من قبلهم كثير من أنبياء الله مظلومين حتى ورد عن الحسين بن علي عليه السلام أنه قال لعبد الله بن عمر بن الخطاب حين أشار عبد الله عليه بصلح بني أمية والرجوع إلى المدينة قال له الحسين: أن من هوان هذه الدنيا على الله أن يؤتى برأس يحيى بن زكريا إلى بغّي من بغايا بني إسرائيل والرأس ينطق عليهم بالحجة فلم يضر ذلك يحيى، ألا تعلم يا أبا عبد الرحمن أن بني إسرائيل كانوا يقتلون ما بين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس سبعين نبياً ثم يجلسون في أسواقهم يبيعون ويشترون كأنهم لم يصنعوا شيئاً، فلم يعجل الله عليهم بالعذاب بل أخذهم بعد ذلك أخذ عزيز مقتدر ذي انتقام. (مقتل الحسين للخوارزمي ج ١ ص ١٩٢).

ومن جملة أنبياء بني إسرائيل الذين قتلوا مظلومين زكريا فإنه لما خاف من قومه وهرب منهم تبعه سفهاؤهم وأشرارهم فالتجأ إلى شجرة فانفرجت له وانشقت بإذن الله - معجزة له - حتى دخل فيها وانطبقت عليه فدلّهم عليه إبليس، وأمرهم أن يقطعوا رأس الشجرة ثم ينشروها بالمنشار ففعلوا حتى شقوها وشقوا زكريا معها نصفين (راجع البحار ج ١٤ من ص ١٨١ وص ١٨٩ وعلل الشرائع للصدوق ج ١ ص ٨٠ وقصص الأنبياء للثعلبي ص ٢١٣).

نعم هكذا قتل زكريا مظلوماً، وكذلك ابنه يحيى الذي طافوا برأسه، من بلد إلى بلد بعد أن قتلوه مظلوماً، وغيرهما من الأنبياء قتلوا مظلومين مع أن الله قد وعدهم أن ينصرهم على أعدائهم في الدنيا والآخرة كما هو صريح الآية الكريمة: ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾.

ويقول تعالى في آية أخرى: ﴿فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ﴾ [إبراهيم/ ٤٧].

رابعاً: ونختم هذه الأحاديث بحديث رواه شيخنا الكليني في (أصول الكافي) بسنده عن حريز قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: جعلت فداك ما أقل بقاءكم أهل البيت وأقرب آجالكم بعضها من بعض مع حاجة الناس إليكم؟ فقال: إن لكل واحد منا صحيفة فيها ما يحتاج إليه أن يعمل به في مدته، فإذا انقضى ما فيها مما أمر به عرف أن أجله قد حضر: فأتاه النبي ﷺ ينمى إليه نفسه وأخبره بماله عند الله، وأن الحسين عليه السلام قرأ صحيفته التي أعطوها، وفسر له ما يأتي بنمي، وبقي فيها أشياء لم تقض فخرج للقتال وكانت تلك الأمور التي بقيت أن الملائكة سألت الله في نصرته، فأذن لها ومكثت تستعد للقتال وتتأهب لذلك، وحتى قتل فنزلت - أي لما قتل نزلت - وقد انقطعت مدته وقتل عليه السلام فقالت الملائكة: يا رب أذنت لنا في الانحذار وأذنت لنا في نصرته فانحدرنا وقد قبضته إليك؟ فأوحى الله إليهم: أن ألزموا قبره حتى تروه - أي في الرجعة إلى الدنيا - وقد خرج فانصروه وابكوا عليه وعلى ما فاتكم من نصرته فإنكم قد خصصتم بنصرته وبالبكاء عليه فبكت الملائكة تعزياً عليه على ما فاتهم من نصرته فإذا خرج - أي في الرجعة - يكونون من أنصاره^(١) وإلى هذا الحديث يشير الإمام الرضا عليه السلام بقوله لأبن شبيب: لقد نزل إلى الأرض من الملائكة أربعة آلاف لنصره فوجدوه قد قتل، فهم عند قبره شعث غبر إلى أن يقوم القائم (عج) فيكونون من أنصاره وشعارهم (يا لثارات الحسين)^(٢).

الاستدلال بآية خامسة على الرجعة

الدالة على إرجاع الله لنبيينا وأهل بيته الطاهرين عليهم السلام

مَنْ الذين وعدهم الله بالاستخلاف، والتمكين؟ وتبدل خوفهم أمناً؟ ومتى يتحقق لهم ذلك؟

(١) راجع الشافي في شرح الكافي م ٣ ص ٢٨٧ - ص ٢٨٨.

(٢) راجع (عيون أخبار الرضا) ص ٢٩٩ و(الأمالي) ص ٧٩ و(البحار) ج ٤٤ ص ٢٨٥.

أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم

قال تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [النور / ٥٥].

بيان حول الآية الكريمة

تضمنت هذه الآية الكريمة وعداً جميلاً وبشائر حقة واقعية في المستقبل من الله العليم القدير الذي لا يخلف وعده الذين آمنوا وعملوا الصالحات إيماناً محضاً وعملاً خالصاً وعدهم أنه تعالى سيجعل لهم مجتمعاً صالحاً يُخَصَّرَ بهم فسيستخلفهم في الأرض، ويمكن لهم دينهم الذي ارتضاه لهم، ويبدلهم من بعد خوفهم أمناً تاماً لا يخافون، أيام استخلافهم ذلك، كيد منافق ولا صد كافر، وأنهم يعبدونه مخلصين له في العبادة بحيث لا يشركون به شيئاً، أي لا يداخلهم لون من ألوان الشرك لا في العقيدة ولا في العمل، لا شرك جلي ولا خفي، وأنه مَنْ كفر بتلك النعمة من مجتمعهم ذلك (فأولئك هم الفاسقون) فسقاً حقيقياً. هذا ما تضمنته الآية الكريمة (وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ) . الخ .

وتعدّ هذه الآية من الملاحم القرآنية حيث أخبر الله فيها عن وقوع أمرٍ قبل آوان تحقّقه .

أقوال المفسرين في الفوعدين بالاستخلاف

أما مَنْ هم أولئك الذين آمنوا وعملوا الصالحات الذين وعدهم الله بذلك الوعد وبشرهم بتلك البشائر؟، فقد كثر الاختلاف بين المفسرين في المقصود من أولئك المؤمنين الصالحين المستخلفين فمنهم من قال: إنّ الآية عامة لأمة

محمد ﷺ واستخلافهم، وأن المراد من استخلافهم هذا وتمكين دينهم وتبديل خوفهم أمناً هو إراث الأرض كما أورث الله الأمم الذين كانوا قبلهم. وانهزام أعداء الدين ويقولون: إن الله قد أنجز وعده لهم بما نصر الله به الإسلام والمسلمين في أيام النبي ﷺ الأخيرة، وبعد رحلته ففتحوا الأمصار وسخروا الأقطار وسكنوا أرض الكفار، وقد اختار هذا الرأي من التابعين مجاهد كما في (تفسير التبيان) للشيخ الطوسي ج ٧ ص ٤٥٧، وتبعه آخرون من المفسرين ومنهم محمد عزة دروزة في تفسيره المسمى (التفسير الحديث) ج ١٠ ص ٦٩ - ص ٧٣، وكذلك سيد قطب بتفسيره (في ظلال القرآن) ج ١٨ ص ١١٨ - ص ١٢١ وغيرهما كثير.

ومنهم من قال: إنها واردة في أصحاب النبي ﷺ الذين كانوا خائفين قبل الهجرة وبعدها ثم أنجز الله وعده لهم باستخلافهم في الأرض وتمكين دينهم وتبديل خوفهم أمناً بما أعز الإسلام بعد رحلة النبي ﷺ في أيام الخلفاء الراشدين، وأن المراد باستخلافهم هو استخلاف الخلفاء الأربع بعد النبي ﷺ وقد اختار هذا الرأي من التابعين (الجبائي) كما في (تفسير التبيان) ج ٧ ص ٤٥٦ وتبعه آخرون من المفسرين ومنهم الزمخشري في تفسيره (الكشاف) ج ٣ ص ٢٥١ - ص ٢٥٢ ومنهم إبراهيم النظام كما نقل عنه العلامة الشيخ حبيب العاملي في مجلة (الإسلام في معارفه وفنونه) راجع ج ٣ من المجلد الخامس ص ٢٩٢.

وقال بعضهم المراد باستخلافهم هو استخلاف الخلفاء الثلاث فقط وممن صرح بهذا الفخر الرازي في تفسيره (مفاتيح الغيب) ج ٦ ص ٢٨٨ وقد قال بما نصه: ومعلوم أن بعد الرسول الاستخلاف الذي هذا وصفه إنما كان أيام أبي بكر وعمر وعثمان لأن في أيامهم كانت الفتوح العظيمة وحصل التمكين وظهور الدين والأمن، ولم يحصل ذلك في أيام عليّ لأنه لم يتفرغ لجهاد

الكفار لإشتغاله بمحاربة من خالفه من أهل الصلاة فثبت بهذه الآية صحة خلافة هؤلاء، إلى آخر قوله وقد جمع هذه الأقوال الأستاذ العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي في تفسيره (الميزان) ج ١٥ ص ١٦٦ وناقشها، ورأى أن الآية لا تنطبق إلا على المجتمع الموعود به الذي سينعقد بظهور المهدي عليه السلام وهذه الأقوال والآراء الثلاثة لإخواننا أهل السنة، أما الشيعة فهم مجمعون على أن هذا الوعد وهذه البشائر ما تحققت تماماً من زمن النبي صلى الله عليه وآله إلى زماننا هذا، وأنه لا بد من تحققها في المستقبل بعد ظهور مهدي آل محمد (عج)، قال تعالى: ﴿فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ﴾ [إبراهيم/ ٤٧].

ولهم أي (الشيعة) في المراد من الذين آمنوا وعملوا الصالحات إلى آخر ما وصفتهم به الآية الكريمة قولان الأول: أنهم المهدي عليه السلام وأصحابه المؤمنون، المهدي الذي تواترت الأخبار على أن الله سيظهره وإنه سيملاً به الأرض قسطاً وعدلاً بعدما ملئت ظلماً وجوراً، وقد اختار هذا القول من الشيعة الأستاذ العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي في تفسيره (الميزان) ج ١٥ ص ١٦٩.

والقول الثاني للشيعة في المراد ممّن وصفتهم الآية: أنهم النبي صلى الله عليه وآله والأئمة من أهل بيته الأطهار ومن جملتهم الإمام المهدي بعد ظهوره وقد اختار هذا القول شيخنا الطبرسي في مجمع البيان، وسيأتيك (بإذن الله) نص قوله، والظاهر لنا - والله أعلم - إن هذا القول هو الواقع الصحيح الذي تدل عليه القرائن الصريحة من ألفاظ الآية الكريمة ونصوصها، وتدل عليه أيضاً الأخبار الواردة عن النبي صلى الله عليه وآله وأهل بيته الطاهرين، بل ويدل عليه العقل والوجدان، وإجماع الشيعة مع أئمتهم على تحقق ذلك الوعد بعد ظهور المهدي من آل محمد صلى الله عليه وآله. وإليك البيان لهذا الواقع الصحيح الظاهر لنا والله العالم.

الآية الكريمة والتحقيق حولها

يقول تعالى : ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ .

مما لا ريب فيه أن أحق كتاب بالتدبر وأولاه، واجدره بفهم معناه والإحاطة بما فيه من علم هو القرآن المجيد لأنه كتاب الله الذي لا ريب فيه والله هو الذي يريد منا أن نتدبره حق تدبره بقوله عز من قائل : ﴿ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴾ [النساء / ٨٢] . ويقول تعالى في آية أخرى : ﴿ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾ [محمد / ٢٤] . ويقول تعالى : ﴿ كَتَبْنَا أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبْرَكٌ لِّذِكْرٍ لِّرَبِّكَ وَإِنِّي لَأَبْلُغُكَ ﴾ [ص / ٣٠] .

فالتدبر إذاً لازم لكتاب الله وآياته ولا سيما الآيات التي اختلف المفسرون فيها، ومنها هذه الآية التي ابتدأنا بها فلنتدبرها جيداً حتى ينكشف لنا الواقع الصحيح طبق نصوصها وعندما نتدبر الآية الكريمة نجد أن الخطاب فيها موجه إلى الأمة الإسلامية بأجمعها الحاضرين منهم عند نزول الآية ومن يأتي بعدهم إلى يوم القيامة المؤمنين الملتزمين منهم والمنافقين والعاملين بالصالحات وغير العاملين فالخطاب فيها عام للجميع .

أما الوعد بالاستخلاف فيها فهو خاص بالذين آمنوا منهم وعملوا الصالحات، إذ أن قوله تعالى : ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ ﴾ يدل على أن هذا الوعد خاص ببعض المؤمنين الصالحين دون بعض لأن (مِنْ) هنا تبعية بتفسير أكثر المفسرين إن لم نقل كلهم فهي دالة على أن هذا الوعد بالاستخلاف لا للأمة الإسلامية بكاملها، ولا لكل من ادعى الإسلام والإيمان والعمل

الصالح منها، بل هو وعد خاص إلى طائفة خاصة منهم تشريفاً لهم ولمزيد العناية بهم، ولهذا لا ينطبق إلا على سادات المؤمنين من أئمة الهدى وعدهم الله ﴿لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ أي يجعلهم خلفاءه في أرضه يحكمون بين أهلها بحكمه ﴿كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾، والمراد من المستخلفين من قبلهم إماما مطلق أنبياء الله ورسوله وأوصيائهم نظير قوله تعالى في آدم مخاطباً ملائكته: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة/ ٣٠] وكقوله في داود مخاطباً له: ﴿يَدَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ﴾ [ص/ ٢٦] وكقوله تعالى مخاطباً خليله إبراهيم: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة/ ١٢٤]، وكقوله تعالى في بعض رسله وأنبيائه: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَيْمَةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَبِيدٌ﴾ [الأنبياء/ ٧٣]، أو المراد من المستخلفين من قبلهم - ولعله هو الأولى - بعض الأنبياء الماضين الذين أهلك الله قومهم الكافرين والفاسقين منهم وأنجاهم مع المؤمنين الصالحين من اتباعهم كنوح وهود وصالح وشعيب وأمثالهم ﷺ كما أخبر الله عن ذلك بقوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُولُنَّ فِي مِلَّتِنَا فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ ﴿١٣﴾ وَلَنُسَكِّنَنَّكُمْ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِهِمْ ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ﴾ [إبراهيم/ ١٣ - ١٤].

فالله يستخلف الأئمة من آل محمد ﷺ في آخر الزمان كما استخلف نوحاً وهوداً وصالحاً وشعيباً وأمثالهم في مجتمع صالح بعد إهلاك الكافرين والفاسقين من قومهم ومكنهم في الأرض مع الصالحين من أتباعهم فهكذا آل محمد في آخر الزمان يهلك الله الكافرين كما يهلك الفاسقين والمنافقين من هذه الأمة ويستخلفهم في الأرض على الصالحين المؤمنين ويحكمون فيهم بحكم الله الواحد القهار .

ومما يدل على أن الاستخلاف هنا للأئمة الأطهار من آل محمد عليهم السلام دون غيرهم هو أن الله نسب استخلافهم في الأرض إليه تعالى لا إلى غيره من الناس حيث قال (ليستخلفنهم في الأرض) ومعلوم أن غيرهم ممن تخلف لم يكن استخلافهم بتشريع من الله تعالى ولا تعيين منه بل كان بتغلب فئة على فئة أو اختيار جمع دون آخر أو نص من سابق على لاحق وهذا كله وغيره مما تداول عند الخلفاء والملوك لا ينسب - تشريعياً - إلى الله والذي يدل على أن المراد من استخلافهم عليهم السلام في الآية استخلافاً تشريعياً من الله .

قوله تعالى: ﴿كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ أي من رسل وأنبياء وأوصياء الذين شرع الله استخلافهم على عبادته، ومكنهم على إقامة حكمه فيهم، قال تعالى: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَنَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ١٨﴾ وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿[القصص/ ٦٨ - ٦٩]. وقال تعالى في الآية المبحوث عنها: ﴿وَلَيُمْكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ﴾ وهو دين الإسلام الذي بعث به سيد الأنام عليه السلام ونُسبَ الدين إليهم ومعلوم أن الدين إما أن ينسب نسبة عامة فيقال: دين الإسلام أو دين المسلمين .

أما نسبته إلى فرد أو أفراد من سائر الأمة فهذا ما لا يجوز قطعاً إلا إذا كان لذلك الفرد أو أولئك الأفراد، إضافة خاصة إلى الله وإلى دينه فحينئذ تصح نسبة الدين إليهم مثلاً لا يقال: أنا على دين زيد أو عمر ولكن يقال أنا على دين محمد عليه السلام أو على دين علي أو على دين الأئمة، وإنما نسب جل وعلا الدين إليهم تشريفاً لهم ولكونه من مقتضى فطرتهم ولأنهم حفظته وحملته العالمون العارفون به والداعون إليه والعاملون به جميعاً دون غيرهم فلذلك قال: ﴿وَلَيُمْكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ﴾ ليحكموا به دون غيره من الأديان السابقة أو الأديان الباطلة أو الآراء والأستحسانات وغير ذلك مما يخالف واقع

الدين ، حتى يعم الدين الإسلامي الكرة الأرضية وأهلها كما جاء عن المقداد بن الأسود الكندي عن رسول الله ﷺ أنه قال :

لا يبقى على الأرض بيت مدر ولا وبر إلا أدخله الله تعالى كلمة الإسلام بعز عزيز أو ذل ذليل ، أما أن يعزهم الله فيجعلهم من أهلها ، وإما أن يذلهم فيدينوا لها (أي يخضعوا لها رغم آناهم) راجع الحديث في (البيان) للشيخ الطوسي ج ٧ ص ٤٥٥ ، و(مجمع البيان) للطبرسي م ٤ ص ١٥٢ ، وتفسير (الصافي) للمولى محسن الفيض وغيرهم .

ويؤيد مفاد هذه الآية الكريمة ﴿وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمْ﴾ وذلك لأن تمكين الشيء هو إقراره في مكان وهو كناية عن ثبات الشيء من غير زوال واضطراب وتزلزل ، بحيث يؤثر أثره التام من غير مانع ولا حاجز فتمكن الدين هو كونه معمولاً به في المجتمع من غير كفر به ولا استهانة بأمره ومأخوذاً بأصول معارفه وفروعه من غير اختلاف وتخاصم ، ومعلوم أن هذا التمكن في الدين الإسلامي لم يتحقق في أي مجتمع طيلة تاريخه بسبببغي الباغين الذين اختلفوا فيه من بعد ما جاءهم العلم به ، أما إذا حصل التمكين من الله العزيز الحكيم لأهل الدين بإقامته في مجتمعهم فحينئذ لا يستطيع أي باغ أن يزيله أو يحدث فيه أي اضطراب وتزلزل ، وهذا ما سيتحقق في المستقبل لأن الله هو الذي وعد به وهو لا يخلف الميعاد وهو على كل شيء قدير .

ثم يقول تعالى في الآية : ﴿وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا﴾ والمراد من هذا النص ، على ما يقول شيخنا الطبرسي : أي وليصيرنهم بعد أن كانوا خائفين آمينين بقوة الإسلام وانبساطه ، وهذا المعنى يدل على أنهم كانوا وعاشوا خائفين من أعداء الله وأعدائهم ولكن الله سيبدلهم من بعد ذلك الخوف أمناً تاماً فيكونون آمينين لا يخافون عدواً في داخل مجتمعهم ولا في خارجه ، ولا متجاهراً في العداء ولا مستخفياً وأنهم يأمنون على دينهم ودنياهم ، وهذا النص

القرآني ومعناه يؤيد تاريخ حياة الأئمة الطاهرين عليهم السلام الذين عاشوا في دولة بني أمية وبني العباس خائفين مراقبين ناهجين منهج التقية التي شرعها الله لهم ولأتباعهم من الأمة وأخيراً خرج كل منهم من الدنيا مقتولاً بالسيف أو مقتولاً بالسم، وبما أن الله وعدهم النصر على أعدائهم دنيا وآخرة كما قال تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهُدُ﴾ [المؤمن/ ٥١]، فتقتضي الحكمة الإلهية إرجاعهم إلى الدنيا ونصرهم على أعدائهم وسائر أعداء الله بتبديل خوفهم السابق أمناً فحينئذ يقول تعالى: ﴿يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا﴾ وهذا الإطلاق على نفي الشرك يقضي بأن المراد أن عبادتهم لله تكون خالصة لا يداخلها نوع من أنواع الشرك لا في العقيدة ولا في العمل، ولا شرك جلي ولا خفي، وهذا يدل دلالة واضحة جلية على عصمة هؤلاء المستخلفين إذ أن من عصى الله ولو معصية واحدة وإن كانت صغيرة يكون قد عبد بتلك المعصية غير الله عز وجل في حين يقول تعالى: ﴿يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا﴾ فهذا النص الصريح لا ينطبق تمام الانطباق إلا على الأئمة من آل محمد عليهم السلام.

أما قوله تعالى: ﴿وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ أي من كفر بعد ذلك من سائر الناس من مجتمعهم بنعمة الإسلام، وعدل خلفائه فأولئك هم الفاسقون الكاملون في الفسق أي الخارجون عن طاعة الله إلى أقبح وجوه الكفر بتلك النعمة التامة العامة، والمراد بالكفر هنا هو كفران النعمة الإسلامية وعدل خلفائه، ولكن أولئك الفاسقين الأقلين لا يستطيعون إزالة تلك النعمة الإسلامية ولا إحداث الاضطراب فيها فهذا ما دلت عليه القرائن من ألفاظ الآية ونصوصها.

كلام لسيد قطب في حقيقة الإيمان والعمل الصالح

ولصاحب تفسير (في ظلال القرآن) سيد قطب ج ١٨ ص ١١٨ كلام في حقيقة الإيمان والعمل الصالح، وفي حقيقة الاستخلاف يقارب به مفاد الآية الكريمة وواقعها ولكنه - وبالأأسف - بالأخير يخالف ذلك الواقع بتطبيقها على غير مصاديقها الحقّة وإليك كلامه بنصه حتى ينكشف لك الحال، فقال بعد ذكر الآية: ذلك وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات من أمة محمد ﷺ أن يستخلفهم في الأرض وأن يمكن لهم دينهم الذي ارتضى لهم.

وأن يبدلهم من بعد خوفهم أمناً. . ذلك وعد الله ووعد الله حق. ووعد الله واقع. ولن يخلف الله وعده فما حقيقة ذلك الإيمان؟ وما حقيقة هذا الاستخلاف؟ إن حقيقة الإيمان التي يتحقق بها وعد الله حقيقة ضخمة تستغرق النشاط الإنساني كله.

فما تكاد تستقر في القلب حتى تعلن عن نفسها في صورة عمل ونشاط وبناء وإنشاء موجه كله إلى الله، لا يبتغي به صاحبه الأوجه الله وهي طاعة الله واستسلام لأمره في الصغيرة والكبيرة، لا يبقى معها هوى في النفس، ولا شهوة في القلب، ولا ميل في الفطرة إلا وهو تبع لما جاء به رسول الله ﷺ من عند الله.

فهو الإيمان الذي يستغرق الإنسان كله، بخواطر نفسه وخلجات قلبه وأشواق روحه وميل فطرته وحركات جسمه ولفقات جوارحه وسلوكه مع ربه في أهله ومع الناس جميعاً. . يتوجه بهذا كله إلى الله. . يتمثل هذا في قوله سبحانه في الآية نفسها تعليلاً للاستخلاف والتمكين والأمن: ﴿يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكْ بِي شَيْئًا﴾ والشرك مداخل وألوان، والتوجه إلى غير الله بعمل أو شعور هو لون من ألوان الشرك بالله.

ذلك الإيمان منهج حياة كامل ، يتضمن كل ما أمر الله به ، ويدخل فيما أمر به توفر الأسباب .

وإعداد العدة ، والأخذ بالوسائل والتهيؤ لحمل الأمانة الكبرى في الأرض . . . أمانة الاستخلاف . .

أقول : بربك قل لي - أيها المطالع الكريم - هذا الذي ذكره الأستاذ سيد قطب في مفاد حقيقة الإيمان والعمل الصالح الذي تشير إليه الآية الكريمة ، هل تراه ينطبق على أفراد أو جماعات غير المعصومين المنزهين عن كل عيب والمطهرين من كل رجس من أهل بيت رسول الله ﷺ الأئمة الطاهرين الأئني عشر عليهم السلام بعد جدهم ﷺ ؟ اقرأ واحكم . . .

﴿ وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ [المائدة / ٤٥] .

ثم تساءل الأستاذ :

فما حقيقة الاستخلاف في الأرض ؟ (وأجاب) :

إنها ليست مجرد الملك والقهر والغلبة والحكم . . إنما هي هذا كله على شرط استخدامه في الإصلاح والتعمير والبناء وتحقيق المنهج الذي رسمه الله للبشرية كي تسير عليه ، وتصل عن طريقه إلى مستوى الكمال المقدر لها في الأرض ، اللائق بخلقة أكرمها الله .

إن الاستخلاف في الأرض قدرة على العمارة والصلاح لا على الهدم والإفساد وقدرة على تحقيق العدل والطمأنينة لا على الظلم والقهر وقدرة على الارتفاع بالنفس البشرية والنظام البشري لا على الانحدار بالفرد والجماعة إلى مدارج الحيوان .

وهذا الاستخلاف هو الذي وعده الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات . .

وعدهم الله أن يستخلفهم في الأرض - كما استخلف المؤمنين الصالحين قبلهم - ليحققوا النهج الذي أراده الله ، ويقرّوا العدل الذي أراده الله ، ويسيروا بالبشرية خطوات في طريق الكمال المقرر لها يوم أنشأها الله . . فأما الذين يملكون فيفسدون في الأرض وينشرون فيها البغي والجور وينحدرون بها إلى مدارج الحيوان فهؤلاء ليسوا مستخلفين في الأرض .

إنما هم مبتلون بما هم فيه ، أو مبتلى بهم غيرهم ، ممن يتسلطون عليهم لحكمة يقدرها الله .

آية هذا الفهم لحقيقة الاستخلاف قوله تعالى : ﴿وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ﴾ . . وتمكين الدين بتمكينه في القلوب . كما يتم تمكينه في تصريف الحياة وتديرها ، فقد وعدهم الله أن يستخلفهم في الأرض وأن يجعل دينهم الذي ارتضى لهم هو الذي يهيمن على الأرض ودينهم يأمر بالصلاح ويأمر بالعدل ويأمر بالاستعلاء على شهوات الأرض ويأمر بعمارة هذه الأرض والانتفاع بكل ما أودعها الله من ثروة ، ومن رصيد ، ومن طاقة ، مع التوجه بكل نشاط فيها إلى الله .

أقول : هذا ما أجاب به الأستاذ عن حقيقة الاستخلاف في الأرض ، (وحقاً) نعم ما أجاب به ، ولكنه هل تراه ، ينطبق حقيقة الانطباق على غير من عينهم الله تبارك وتعالى خلفاء في أرضه ، وحججاً على عباده وأعلاماً واضحة في بلاده؟ عينهم جل وعلا لرسوله ﷺ وعينهم الرسول لأئمة في مواقف عديدة بأفعاله وأقواله التي لا تحصى كثرة ، وهم نفس النبي ﷺ في آية المباهلة ، وليد بيت الله الحرام وسط الكعبة المقدسة الإمام علي أمير المؤمنين الذي كان منه بمنزلة هارون من موسى ، وأبناءؤه في آية المباهلة الإمامان قاما أو قعدا الحسن والحسين سيذا شباب أهل الجنة حسب نصوص الصادق الأمين ﷺ ، والأئمة التسعة من ولد الحسين بقية العترة الطاهرين الذين قرنهم

النبي ﷺ الذي قال الله فيه : ﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۖ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴾ [النجم/ ٣ - ٤] ، بكتاب الله الذي ﴿ لَا يَأْتِيهِ الْبَطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ ۖ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ [فصلت/ ٤٢] .

واستخلفها على أمته وعبر عنهما بالخلفتين والثقلين بقوله ﷺ إني تارك فيكم خلفتين كتاب الله جبل ممدود ما بين السماء والأرض ، أو ما بين السماء إلى الأرض وعترتي أهل بيتي ، وأنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض .

وفي نص آخر : إني أوشك أن أدعى فأجيب ، وإني تارك ، فيكم الثقلين كتاب الله عز وجل وعترتي أهل بيتي وأن اللطيف الخبير أخبرني أنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض فانظروا كيف تخلفوني فيهما .

إلى غير ذلك من النصوص الكثيرة المتواترة .

وحديث الثقلين ثابت في صحيح مسلم والترمذي ومسند احمد بن حنبل و(الخصائص) للنسائي والصحاح والسنن والمسانيد .

وهنا أسائل :

أفهل هؤلاء الأبرار الذين تنطبق عليهم نصوص الآية أم غيرهم ؟

اقرأ وأحكم..

﴿ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ [المائدة/ ٤٧] .

فنحن نرى (تبعاً للأدلة) أن آية الوعد بالاستخلاف أحق من تنطبق عليهم وتحقق لهم مواعيدها الصادقة في المستقبل إنما هم النبي ﷺ وأهل بيته الأطهار الذين أنزل الله فيهم ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ [الأحزاب/ ٣٣] .

وَأَنْزَلَ فِيهِمْ ﴿ وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴾ إِنَّمَا نَطْعِمُكُمْ لَوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكْرًا ﴿ [الإنسان / ٧ - ٨].

وإلى غير ذلك من مئات الآيات البينات ويؤيد مفاد الآية التي هي موضع البحث الأخبار الواردة عن النبي ﷺ وأهل بيته حولها وإليك بعض نصوصها.

نصوص الأحاديث حول الآية الكريمة

١ - الحديث الذي ذكرناه في بحوث الآية الكريمة المروي عن المقداد بن الأسود الكندي عن رسول الله ﷺ أنه قال: لا يبقى على الأرض بيت مدر ولا وبر إلا أدخله الله تعالى كلمة الإسلام بعز عزيز أو ذل ذليل، إمّا أن يعزهم الله فيجعلهم من أهلها وإمّا أن يذلهم فيدينون لها. (تفسير التبيان للشيخ الطوسي ج ٧ ص ٤٥٥ ومجمع البيان للطبرسي م ٤ ص ١٥٢، والصافي للمولى محسن الفيض).

٢ - وعن أبي بن كعب قال: لما قدم رسول الله ﷺ وأصحابه وآوتهم الأنصار رمتهم العرب عن قوس واحدة وكانوا لا يبيتون إلا مع السلاح ولا يصبحون إلا فيه فقالوا: ترون أننا نعيش حتى نبيت آمين مطمئنين لا نخاف إلا الله فنزلت هذه الآية (مجمع البيان) ج ٤ ص ١٥٢ و(الدر المنثور) للسيوطي ج ٥ ص ٥٥ وقد نقل الحديث عن ابن المنذر والطبراني في (الأوسط والحاكم) وصححه، وابن مردويه والبيهقي، في (الدلائل)، والضياء في المختارة

٣ - وروي عن النبي ﷺ أنه قال: زويت لي الأرض فأريت مشارقها ومغاربها، وسيلغ ملك أمتي ما زوي لي منها (مجمع البيان) ج ٤ ص ٥٤، و(تفسير ابن كثير الدمشقي) ج ٣ ص ٣٠١ ونصه: أن الله زوى لي الأرض فرأيت... الخ، و(تفسير المراغي) ج ١٨ ص ١٢٦، و(تفسير الصافي).

٤ - من تفسير الحافظ محمد بن مؤمن بإسناده عن علقمة عن ابن مسعود

قال: وقعت الخلافة من الله عز وجل لثلاثة نفر: لآدم عليه السلام لقول الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة/ ٣٠] يعني خالق في الأرض خليفة يعني آدم عليه السلام ثم قال في الحديث المذكور: والخليفة الثاني داود عليه السلام لقوله تعالى: ﴿يَدَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ﴾ [ص/ ٢٦].

يعني في بيت المقدس، والخليفة الثالث أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام لقول الله في سورة النور: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ يعني علي بن أبي طالب عليه السلام ﴿لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ يعني آدم وداود... الخ. (راجع البحار للمجلسي ج ٣٦، ص ٩٦) وقد نقله عن كل من (الطرائف) لأبن طاووس ص ٢٣ - ٢٤ وعن كشف الحق للعلامة الحلبي).

وراجع دلائل الصدق للمظفري ج ٢ ص ٢١١، و(إحقاق الحق) ج ٣ ص ٥٨٤، ونقل ابن شهر آشوب الحديث عن تفسير أبي عبيدة، وعلي بن الحرب الطائي ج ٣ ص ٦٣:

إن عبد الله بن مسعود قال: الخلفاء أربع، وعد منهم هارون، واستدل بقوله تعالى: ﴿وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ أَخْلُقْنِي فِي قَوْمِي﴾ [الأعراف/ ١٤٢].

٥ - روى شيخنا الكليني في (أصول الكافي) بسنده عن عبد الله بن سنان قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله جل جلاله ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ قال عليه السلام: هم الأئمة، (الكافي) كما في شرحه الشافي ج ٣ ص ٨٦، ونقله عنه المولى محسن، الفيض في تفسيره (الصافي) ورواه الطريحي في (مجمع البحرين) ص ٣٧٥، باب ما أوله الخاء من كتاب الفاء.

٦ - روى الحاكم الحسكاني في (شواهد التنزيل) ج ١ ص ٤١٣ مسنداً عن

إبن عباس في قوله تعالى : ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ . الخ الآية قال : نزلت في آل محمد ﷺ .

٧ - وروى حديثاً آخر مسنداً عن القاسم بن عوف^(١) قال : سمعت عبد الله بن محمد (وهو على الظاهر، ابن محمد بن الحنيفة) يقول : ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ الآية قال : وهي لنا أهل البيت . وهذان الحديثان نقلهما الحسكاني عن فرات بن إبراهيم كما نقلهما عنه أيضاً المجلسي في (البحار) ج ٢٤ ص ١٦٦ .

وفيه عن القاسم بن عون . الخ . وهما موجودان في تفسيره بسنده ص ١٠٢ - وص ١٠٣ .

٨ - قال شيخنا المجلسي في (البحار) ج ٥١ ص ٦٤ : ووجدت بخط الشيخ محمد بن علي الجباعي قال : وجدت بخط الشهيد نور الله ضريحه : روى الصفواني في كتابه عن صفوان : أنه لما طلب المنصور أبا عبد الله عليه السلام - أي ليحضره بين يديه لتهديده أو قتله - توضأ وصلى ركعتين ثم سجد سجدة الشكر وقال : اللهم إنك وعدتنا على لسان نبيك محمد ﷺ ووعدك الحق إنك تبدلنا من بعد خوفنا أمناً اللهم فأنجز لنا ما وعدتنا إنك لا تخلف الميعاد، قال : قلت له : يا سيدي فأين وعد الله لكم؟ فقال عليه السلام : قول الله عز وجل : ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم﴾ الآية .

وروي أنه تلي بحضرته عليه السلام : ﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ﴾ فهملت عيناه عليه السلام وقال : نحن والله المستضعفون .

٩ - وجاء في حديث طويل عن أبي جعفر الباقر عليه السلام قال فيه : ولقد قال

(١) ولعل الصحيح عن القاسم بن عون وهذا هو الموجود في تفسير فرات بن إبراهيم وفي البحار .

الله عز وجل في كتابه لولاة الأمر من بعد محمد ﷺ خاصة : ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ الآية : يقول : استخلفكم لعلمي وديني وعبادتي بعد نبيكم كما استخلف وصاة آدم من بعده حتى بُعث النبي الذي يليه إلى أن قال ﷺ : فقد مكن ولادة الأمر بعد محمد ﷺ العلم ونحن هم . . . الخ .

(راجع أصول الكافي كما في شرحه الشافي ج ٣ ص ٢١٦ ، ونقله عنه المولى محسن الفيض كما في تفسيره الصافي).

١٠ - وجاء في حديث عن إسحاق بن عبد الله بن عبد الحسين : إن قوله تعالى : ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ الآية قال : نزلت في المهدي ﷺ .

راجع (البحار) ج ٥١ ص ٥٤ ، نقلاً عن كتاب الغيبة للشيخ الطوسي ، وكتاب (كنز جامع الفوائد) .

١١ - وفي حديث آخر عن أبي بصير عن أبي عبد الله ﷺ في قول الله عز وجل : ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ الآية . قال : القائم وأصحابه .

(البحار ج ٥١ ص ٥٨ نقلاً عن كتاب الغيبة للنعماني) .

١٢ - روى العياشي بإسناده عن علي بن الحسين ﷺ أنه قرأ الآية وقال : هم والله شيعتنا أهل البيت يفعل الله ذلك بهم على يد رجل منا وهو مهدي هذه الأمة وهو الذي قال رسول الله ﷺ : لو لم يبق من الدنيا إلا يوم واحد لطول الله ذلك اليوم حتى يلي رجل من عترتي اسمه اسمي يملأ الأرض عدلاً وقسطاً كما ملئت ظلماً وجوراً ، راجع (مجمع البيان) ج ٤ ص ١٥٢ . وقال روي مثل ذلك عن أبي جعفر ﷺ وأبي عبد الله ﷺ ، ونقله عنه المولى

محسن الفيض في تفسيره (الصافي) وقال : فقلوه ﷺ هم والله شيعتنا يفعل الله ذلك بهم يعني تبديل الخوف بالأمن إنما يكون لهم .

١٣ - وجاء في كتاب (إكمال الدين) للصدوق عن المفضل بن عمر عن أبي عبد الله الصادق ﷺ في قصة نوح مع قومه وانتظار المؤمنين منهم الفرج حتى أراهم الله الاستخلاف والتمكين ثم قال ﷺ : وكذلك القائم أنه تمتد أيام غيبته ليصرح الحق عن محضه ، ويصفو الإيمان من الكدر بارتداد كل من كانت طينته خبيثة من الشيعة الذين يخشى عليهم النفاق إذا أحسوا بالاستخلاف والتمكين والأمر منتشر في عهد القائم ﷺ .

قال المفضل : فقلت يا بن رسول الله فإن النواصب تزعم إن هذه الآية أي ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ نزلت في أبي بكر وعمر وعثمان وعليّ فقال : لا ، لا يهدي الله قلوب الناصبة ، ومتى كان الدين الذي ارتضاه الله ورسوله متمكناً بانتشار الأمر في الأمة وذهاب الخوف من قلوبها وارتفاع الشك من صدورها في عهد واحد من هؤلاء ، وفي عهد عليّ ﷺ مع ارتداد المسلمين والفتن التي تثور في أيامهم والحروب التي كانت تنشب بين الكفار وبينهم . الخ .

(إكمال الدين) للصدوق ص ٣٤٣ ، ونقله عنه المولى محسن الفيض في (الصافي) .

١٤ - وجاء في الاحتجاج عن أمير المؤمنين ﷺ في حديث طويل ذكر فيه إمهال الله للمخالفين ثم قال معللاً ذلك الإمهال : كل ذلك لتتم النظرة التي أوحاها الله تعالى لعدوه إبليس إلى أن يبلغ الكتاب أجله ، ويحق القول على الكافرين ، ويقرب الوعد الحق ، الذي بيّنه في كتابه بقوله : ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ وذلك إذا لم يبق من الإسلام إلا اسمه ومن القرآن إلا رسمه وغاب

صاحب الأمر بإيضاح الغدر له في ذلك، لاشتمال الفتنة على القلوب حتى يكون أقرب الناس إليه أشدهم عداوة له: (كبني العباس الذين هم أبناء عم آل أبي طالب ولكنهم نصبوا العداء له ولآبائه فتتبعوهم قتلاً وسمّاً).

وعند ذلك يؤيده الله بجنود لم تروها ويظهر دين نبيه ﷺ - على يديه - على الدين كله ولو كره المشركون. . الخ.

(راجع كتاب الاحتجاج لشيخنا الطبرسي ج ١ ص ٣٨٢، ونقله عنه المولى محسن الفيض في تفسيره، كما نقله عنه المجلسي في البحار ج ٩٣ ص ١٢٥).

بيان مهم حول نصوص الأحاديث

مما لا شك فيه ولا ريب يعتريه إن هذه الأحاديث بمجموعها تدعم وتؤيد ما استفدنا من نصوص الآية الكريمة التي هي موضع البحث من أن البشائر المهمة والمواعيد الحقّة التي تضمنتها الآية ما تحققت تماماً وكما لا طيلة تاريخ الإسلام لا لهذه الأمة ولا لخلفائها المحققين منهم والمبطلين، وإن تحقّقها بالكامل سيكون في المستقبل بعد ظهور مهدي آل محمد من غيبته سلام الله عليه.

كما أن كثير من هذه الأحاديث تدعم بل وتصرح أن المراد من المستخلفين إنما هم علي وأبناؤه المعصومون ﷺ بعد النبي ﷺ دون غيرهم.

وبعض تلك الأحاديث عينت بالخصوص الإمام المهدي ﷺ هو وأصحابه وشيعته.

ويمكن أن تقسم هذه الأحاديث إلى ثلاثة أقسام، فالقسم الأول منها هي الأحاديث الثلاثة المرقمة / ١ ، ٢ ، ٣ فإنها تدل بكل صراحة على أن كلمة الإسلام سوف تعم الكرة الأرضية بأسرها، وتدخل كل بيت فيها من مدر أو

وبر، ويدين ويخضع لها حتى من لم يرغب فيها وعندها يعم الأمان والاطمئنان كافة أهلها بحيث يستغنون عن حمل أي سلاح بمقابل أي عدو وإن ملك الأمة الإسلامية - برآسة المستخلفين من الله - يشمل مشارق الأرض ومغاربها كافة، فهل تحقق هذا حتى الآن؟ : اقرأ واحكم - والقسم الثاني من هذه الأحاديث وهي المرقمة (٤، ٥، ٦، ٧، ٨، ٩) فإنها نصت وصرحت تمام الصراحة في أن الآية الكريمة نازلة وخاصة بالأئمة وبآل محمد ﷺ وبأهل البيت وأن الله وعدهم بذلك الوعد ووعدته الحق، وهو لا يخلف الميعاد، وأنهم ولاية الأمر بعد النبي ﷺ وأن الله تعالى استخلفهم لعلمهم ودينهم وعبادتهم كما استخلف وصاة آدم من بعده، وحيث إن أمير المؤمنين علياً عليه السلام هو أولهم بعد الرسول ﷺ وهو حاضر عند نزول الآية الكريمة وقد استخلفه الرسول بالفعل على أمته بأمر الله تعالى، من هنا نرى في الحديث المرقم ٤ عن الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود أنه رأى بأنه هو المعني باستخلافه في الآية كما استخلف آدم وداود وهارون، وإن خلافتهم منصوص عليها جميعاً في القرآن المجيد، وهذا ما أفادته الأحاديث من هذا القسم.

س - هل يسوغ لنا أن نصرفها عنه وعنهم جميعاً وهي نازلة فيهم ومنطقة عليهم؟ : اقرأ واحكم.

والقسم الثالث من الأحاديث الشريفة وهي المرقمة من ١٠، ١١، ١٢، ١٣، ١٤ عينت بالخصوص الإمام المهدي من آل محمد ﷺ وفي بعضها هو وأصحابه، وفي بعضها شيعته وإن الله يزيل عنهم الخوف على يده عليه السلام وفي بعضها يكون التمكين والأمر المنتشر وإظهار الدين في عهده على يديه.

وهذا القسم من الأحاديث لا تخالف مفاد الآية ونصوصها ولا تخالف أحاديث القسمين السابقين، إذا الجمع بينها كلها واضح جلي وهو أن الآية نازلة في مجموع أهل البيت عليه السلام وأن منهم المهدي عليه السلام، وإنما خست بعض تلك

الأحاديث نزولها فيه أو فيه وفي أصحابه لأن تحقق هذا الوعد لا يكتمل لهم جميعاً إلا بعد ظهوره، فهو أول من يحقق الله له تلك المواعيد والبشائر بتمامها وكمالها ثم للنبي وأهل بيته المعصومين بإرجاعهم إلى الدنيا حسب مشيئته وإرادته، وإنجاز الوعد لهم ولأتباعهم بالنصر دنيا وآخره كما قال تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾ فمن فاته النصر التام أيام حياته الأولى في الدنيا تقتضي حكمته - وهو على كل شيء قدير - إرجاعه إليها وتحقيق النصر التام له فيها بالرجعة.

ومن هنا قال القمي في (تفسيره) ج ٢ ص ١٠٨، خاطب الله الأئمة ووعدهم أن يستخلفهم في الأرض من بعد ظلمهم وغضبهم فقال تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ . . الخ.

وقال الطبرسي في (مجمع البيان) م ٤ ص ١٥٢، بعد تفسير الآية والاستشهاد ببعض الأحاديث قال: فعلى هذا يكون المراد بالذين آمنوا وعملوا الصالحات النبي وأهل بيته صلوات الرحمن عليهم وتضمنت الآية البشائر لهم بالاستخلاف والتمكن في البلاد وارتفاع الخوف عنهم عند قيام المهدي عليه السلام منهم ويكون المراد بقوله: ﴿كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ هو جعل الصالح للخلافة خليفة مثل آدم وداود وسليمان عليهم السلام ويدل على ذلك قوله: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ و﴿يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ﴾ وقوله: ﴿فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا﴾ [النساء / ٥٤].

وعلى هذا إجماع العترة الطاهرة وإجماعهم حجة لقول النبي ﷺ إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي لن يفرقا حتى يردا عليّ الحوض، وأيضاً فإن التمكين في الأرض على الإطلاق لم يتفق فيما مضى فهو منتظر لأن الله عز اسمه لا يخلف وعده.

أحاديث في الرجعة

فإذا لا بد من الرجوع إلى أهل البيت في مفاد الآية الكريمة، أهل البيت الذين ورد عنهم عليهم السلام أنهم قالوا ما معناه: إن الأمن التام الذي يحصل بعد الخوف الشديد في البلاد والعباد إنما يكون في أيام القائم منا فيرتفع الخوف عنا وعن شيعتنا عند رجعتنا ويستمر إلى يوم القيامة، (أجوبة المسائل الدينية / دورة ١ ج ٥ ص ٦).

وورد عن الصادق عليه السلام في حديث أنه قال: ما من إمام في قرن إلا ويكر في قرنه، يكر معه البر والفاجر في دهره حتى يدل الله عز وجل المؤمن والكافر).

أي حتى يجعل الله النصر والغلبة للمؤمن على الكافر. الخ، (راجع الشيعة والرجعة) للطبرسي ج ٢ ص ٦٢، نقلاً عن تفسير (البرهان) ج ١ ص ١٢٩.

وروي عن أبي جعفر الباقر عليه السلام: أن رسول الله صلى الله عليه وآله وعلياً عليه السلام سيرجعان (راجع البحار ج ٥٣ ص ٣٩ نقلاً عن منتخب البصائر) وعن الصادق عليه السلام أنه قال في حديث: أول من تنشق الأرض عنه ويرجع إلى الدنيا الحسين بن علي عليه السلام، وأن الرجعة ليست بعامة وهي خاصة لا يرجع إلا من محض الإيمان محضاً ومحض الشرك محضاً. (البحار ج ٥٣ ص ٣٩، نقلاً عن منتخب البصائر).

وعن أبي عبد الله الصادق عليه السلام أنه قال: إن أول من يكر إلى الدنيا الحسين بن علي عليه السلام وأصحابه ويزيد بن معاوية وأصحابه فيقتلهم حذو القذة بالقذة، ثم قال أبو عبد الله: ﴿ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكُرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا﴾ [الإسراء/٦]، راجع الحديث في (تفسير العياشي) ج ٢

ص ٢٨٢ ، ونقله عنه المجلسي في (البحار) ج ٥٣ ص ٧٦ ، كما نقله عنه صاحب تفسير (البرهان) ج ١ ص ٥٩٩ ، ونقله عنهما الطبسي في كتاب (الشيعة والرجعة) ج ٢ ص ١١١ ، ونقله عن العياشي الحر العاملي في (الإيقاظ) ص ٢٩٤ .

ونختم هذه الأحاديث ، روماً للاختصار ، بحديث نبوي شريف رواه أحمد بن محمود المعروف بابن عيَّاش في كتابه (مقتضب الأثر في الأئمة الاثني عشر) بسنده ، ورواه أيضاً الشيخ حسن بن سليمان في كتابه (المحتضر) نقلاً عن كتاب السيد الجليل حسن بن كبش ، ونقله عنهما المجلسي في (البحار) ج ٥٣ ص ١٤٢ - ١٤٤ ، مسنداً عن سلمان الفارسي إنه قال : دخلت على رسول الله ﷺ يوماً فلما نظر إليَّ قال : يا سلمان إن الله عز وجل لم يبعث نبياً ولا رسولاً إلا جعل له اثني عشر نقيباً قال : قلت : يا رسول الله لقد عرفت هذا من أهل الكتابين أي الإنجيل والتوراة وأهلها اليهود والنصارى قال : سليمان فهل علمت من نقبائي الاثني عشر الذين اختارهم الله للأمة من بعدي ؟

فقلت : الله ورسوله أعلم .

قال يا سلمان خلقتني الله من صفوة نوره ودعاني فأطعته وخلق من نوري علياً فدعاه فأطاعه ، وخلق من نوري ونور عليٍّ فاطمة فدعاهما فأطاعته ، وخلق مني ومن عليٍّ وفاطمة الحسين فدعاهما فأطاعا فسمّانا الله عز وجل بخمسة أسماء من أسمائه : فالله المحمود وأنا محمد والله العلي وهذا علي والله الفاطر وهذه فاطمة ، والله ذو الإحسان وهذا الحسن والله المحسن وهذا الحسين .

ثم خلق منا ومن نور الحسين تسعة أئمة فدعاهم فأطاعوا قبل أن يخلق الله عز وجل سماءً مبنية وأرضاً مدحية أو هواء أو ماء أو ملكاً أو بشراً ، وكنا بعلمه أنواراً نسبحه ونسمع له ونطيع^(١) .

(١) أحاديث النور بهذا المعنى كثيرة متواترة من طرق الخاصة والعامة ذكرنا بعض طرقها في كتابنا=

فقال سلمان: قلت يا رسول الله بأبي أنت وأمي ما لمن عرف هؤلاء؟ فقال: يا سلمان من عرفهم حق معرفتهم واقتدى بهم فوالى وليهم، وتبرأ من عدوهم فهو والله منا، يرد حيث نرد ويسكن حيث نسكن، قلت: يا رسول الله فأتى لي بهم؟ قال: قد عرفت إلى الحسين، قال: ثم سيد العابدين علي بن الحسين ثم ابنه محمد بن علي باقر علم الأولين والآخرين من النبيين والمرسلين ثم جعفر بن محمد لسان الله الصادق، ثم موسى بن جعفر الكاظم غيظه صبراً في الله، ثم علي بن موسى الرضا لأمر الله، ثم محمد بن علي المختار من خلق الله، ثم علي بن محمد الهادي إلى الله، ثم الحسن بن علي الصامت الأمين على دين الله، ثم (م ح م د) سماه باسمه ابن الحسن المهدي الناطق القائم بحق الله.

قال سلمان: فبكيت ثم قلت: يا رسول الله فأتى لسلمان لإدراكهم؟ قال: يا سلمان إنك مدركهم وأمثالك، ومن تولاهم حقيقة المعرفة قال سلمان: فشكرت الله كثيراً ثم قلت: يا رسول الله إني مؤجل إلى عهدهم؟ قال يا سلمان اقرأ: ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولَى بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَلِ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَفْعُولًا﴾ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكُرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ﴿[الإسراء/ ٦٠، ٥].

(قبس من القرآن) في الفصل السابع فاقراً منه هذه العناوين من ص ٣١٢ - ص ٣٣٦ (تفسير النور بأهل البيت) (طرق أحاديث خلق الله نور النبي وأهل بيته من نوره قبل خلق الخلق): ١ - (طريق سلمان الفارسي) ٢ - (طريق أبي ذر الغفاري) ٣ - (طريق جابر بن عبد الله الأنصاري) ٤ - (طريق عبد الله بن عباس) ٥ - (طريق أبي سعيد الخدري) ٦ - (طريق عثمان بن عفان) ٧ - (طريق أبي هريرة) ٨ - (طريق أنس بن مالك) ٩ - (طريق عبد الله بن عمر) ١٠ - (طريق أبي سلمة راعي أبل رسول الله (ص)) ١١ - (طريق علي أمير المؤمنين (ع)) (دلالة أحاديث النور) (حديث نبوي مهم في هذا المقام) فما أجدر بالباحثين الرجوع إلى تلك العناوين وإلى الفصل كله الذي عنوانه (الرسول الأعظم) والنور الذي أنزل معه من ص ٣٠٧ - ٣٤٦، وهو آخر الكتاب والله ولي التوفيق (وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب) هود ٨٩.

قال سلمان: فاشتد بكائي وشوقي وقلت: يا رسول الله، بعهد منك؟ فقال: أي والذي أرسل محمداً إنه لبعهد مني ولعلي وفاطمة والحسن والحسين، وتسعة أئمة وكل من هو منا ومظلوم فينا، إي والله يا سلمان ثم ليحضرن إبليس وجنوده، وكل من محض الإيمان محضاً حتى يؤخذ بالقصاص والأوتار والثارات ولا يظلم ربك أحداً، ونحن تأويل هذه الآية: ﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾ وَنُمْكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنَرَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ ﴿[القصص / ٦٠، ٥].

قال سلمان: فقامت من بين يدي رسول الله ﷺ وما يبالي سلمان متى لقي الموت أو لقيه.

ومن جملة من روى هذا الحديث الشريف بسنده عن سلمان محمد بن جرير بن رستم الطبري الإمامي وهو من أعظم علماء الإمامية في القرن الرابع الهجري في كتابه (دلائل الإمامة) ص ٢٣٧، ونقله عنه الطبرسي في كتابه (الشيعة والرجعة) ج ٢ ص ١٠٩.

ملاحظة إيضاحية مهمة حول الحديث.

أقول: قول النبي ﷺ في هذا الحديث الشريف: ثم ليحضرن إبليس وجنوده، وكل من محض الإيمان محضاً ومحض الكفر محضاً حتى يؤخذ بالقصاص والأوتار والثارات ولا يظلم ربك أحداً. يُريد ﷺ بذلك إحضار إبليس وجنوده، وسائر من محض الكفر محضاً، مع المؤمنين الذين محضوا الإيمان عند رجوعهم جميعاً أيام دولة الإمام المهدي المنتظر (عج) ليقتص من إبليس وأتباعه وجنوده ويأخذ منهم القصاص والثار كاملاً غير منقوص، ومن جملة من يقتل يومئذ إبليس وإلى هلاكه يومئذ يشير قوله تعالى: ﴿قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ﴾ إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ ﴿[الحجر / ٣٧ - ٣٨].

وقد جاء في تفسير الآيتين عن الإمام الصادق عليه السلام : أن هلاك إبليس وجنوده يكون في الرجعة .

راجع (البحار) ج ٥٣ ص ٤٢ نقلاً عن (منتخب البصائر) ، وكتاب (الشيعة والرجعة) ج ٢ ص ٦٢ نقلاً عن (تفسير البرهان) ج ١ ص ١٢٩ ، وراجع (تفسير القمي) ج ٢ ص ٢٤٥ ، و(أنوار النعمانية) ج ٢ ص ١٠٢ ، و(حق اليقين) للسيد عبد الله شبر ج ٢ ص ١١ .

وفي حديث آخر عنه عليه السلام : أن هلاكه يكون إذا بعث الله قائمهم ، راجع (تفسير العياشي) ج ٢ ص ٢٤٢ ، و(البحار) ج ١٤ ص ٦٢٨ ط القديم ، و(الصافي) ج ١ ص ٩٠٦ ، و(البرهان) ج ٢ ص ٣٤٣ على ما نقل في حاشية تفسير العياشي ، و(ينابيع المودة) ص ٤٢٤ .

التحقيق في وقت هلاك إبليس لعنه الله

والظاهر من قوله تعالى حاكياً عن إبليس : ﴿ قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ أنه سأل الله تعالى أن يمهلّه ويؤجله إلى يوم البعث : فكان جواب الله تعالى له أن ﴿ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ ﴾ إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ ﴿ ٢٨ ﴾ [الحجر / ٣٧ - ٣٨ ، سورة ص / ٨٠ - ٨٢] ففي هذا الجواب إجابة لسؤاله ، ورد عليه ، أما الإجابة فبالنسبة إلى أصل الإنظار الذي سألّه ، وأما الرد فبالنسبة إلى ما قيده إبليس وهو أن يبقيه إلى يوم يبعثون فالله سبحانه رد عليه ذلك بالقيّد ولم يسمح له بإنظاره إلى يوم يبعثون بل إلى يوم الوقت المعلوم ، ويعني به اليوم المعلوم عنده سبحانه ، ومن الواضح اللائح بالنظر إلى سياق الآيتين أن يوم الوقت المعلوم غير يوم يبعثون وأن يكون قبل يوم البعث وهو من أيام الدنيا ، فإذا لا بد وأن يكون هو اليوم الذي يصلح الله فيه المجتمع الإنساني ، ويقطع فيه دابر الفساد ، ولا يعبد فيه إلا الله وقطعاً لا يتحقق هذا إلا بعد ظهور المهدي الذي

يملاً الله به الأرض قسطاً وعدلاً بعد ما ملئت ظلماً وجوراً، ويكون تحقيق
الرجعة بعد ذلك الظهور المبارك أيضاً. وهو ما ذكرته الأحاديث المشار إليها
عن النبي ﷺ والإمام الصادق عليه السلام وتشير إليه الآية الكريمة ﴿ وَلَقَدْ
كَتَبْنَا فِي الزُّبُرِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ﴾
[الأنبياء/ ١٠٥].

الفصل السادس

الإمام المهدي (ع) وغيبته وظهوره

إمامة المهدي عليه السلام في صباه، وطول عمره في غيبته

يا ليلة النصف من شعبان طوباكِ ربّ السماء بعين الطف يرعاكِ
مَنْ يحض فيك يفز في كل مكرمة مقره الخلد من بالذكر أحياكِ
فيك الزيارة للسبط الشهيد غدت هذا لعمركِ من إحدى مزاياكِ
حويت أفضل ما يأتي الزمان به لَمَّا تولّد فيك الحجة الزاكي^(١)

الإمام الثاني عشر من أئمة الهدى إمامنا الحجة المهدي عليه السلام المسمّى باسم جده رسول الله صلى الله عليه وآله والمكنى بكنيته (أبو القاسم محمد) وهو ابن الحسن العسكري وأمه أمّ ولد واسمها نرجس، ويقال لها صقيل ولد عليه السلام بسر من رأى ليلة الجمعة في النصف من شهر شعبان - وهي ليلة من ليال الأحياء المفضّلة - عند طلوع الفجر سنة مائتين وخمسين وخمسين من الهجرة على المشهور^(٢) في خلافة المعتمد العباسي، ولم يخلف أبوه الحسن العسكري ولداً لا ظاهراً ولا باطناً سواه فهو واحد لأبيه.

-
- (١) الآيات للشيخ الخطيب عبد الرضا شريف (ره) أحد خطباء المنبر الحسيني وكان معاصراً لنا.
(٢) نص على ذلك شيخنا الكليني في (الكافي كما في شرحه الشافعي) ج ٤ ص ٦٧١، ورواه الصدوق في (إكمال الدين) ص ٤٠٦ والطوسي في (الغيبة)، والطبرسي في كتابه (إعلام الوري) ص ٣٩٣، والمفيد في الإرشاد) وابن الصباغ المالكي في (الفصول المهمة) ص ٢٧٤ ونقل رواياتهم وغيرهم في ذلك المجلسي في (البحار) ج ٥١ ص ٢، ٤، ١٧، ٢٨.

وكانت وفاة أبيه سنة مائتين وستين، فعلى هذا يكون عمر الإمام المهدي حين قام بالإمامة بعد وفاة أبيه خمس سنين - ونظراً إلى بقاءه عليه السلام حياً في غيبته حتى الآن - يكون عمره في هذا العام - الذي هو عام ألف وأربع مائة وست عشرة هجرية - ألفاً ومائة وإحدى وستين سنة، وهنا يرد سؤالان يفرض كل منهما نفسه السؤال الأول ما قد يقال:

هل يجوز أن يقوم أحد بالإمامة والخلافة وهو صبي صغير لم يبلغ الحلم؟ والسؤال الثاني ما قد يقال:

وهل يجوز أن يعمر إنسان في هذه الحياة الدنيا أكثر من ألف ومائة وستين سنة؟ ولا يعلم إلى كم سيبقى في غيبته، وكم سيبقى بعد ظهوره؟

وهاتان مسألتان كلاميتان ونجيب عنهما مجملًا، أما الجواب عن السؤال الأول: هل يجوز أن يقوم أحد بالإمامة والخلافة وهو صبي لم يبلغ الحلم نقول: نعم وذلك بناءً على ما هو الحق من أن أمر الإمامة والخلافة بيد الله سبحانه وتعالى، وليس لأحد من الناس فيه اختيار، يجوز ذلك عقلاً ولا مانع منه مطلقاً.

أمر الإمامة بيد الله تعالى لا بيد خلقه

وكون أن أمر الإمامة بيد الله لا بيد خلقه يؤيده قوله تعالى في الآيتين التاليتين: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَنَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿[القصص/ ٦٨ و ٦٩].

وإليك مفاد الآيتين:

مفاد الآيتين

أولاً: أخبرنا الله جل وعلا في الآية الأولى أنه هو الذي يخلق ما يشاء أي يوجد ما يشاء إيجاده .

ثانياً: أنه هو الذي يختار من خلقه مَنْ يشاء ، وَعَظَفَ سبحانه الاختيار على الخلق والإيجاد لِيُعْلَمَ جميع عباده الذين يعتقدون أن الموجد هو الله وحده لا شريك له يعلمهم أيضاً أن أمر الاختيار كذلك بيده وحده لا شريك له ، فهو الخالق وهو المختار ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ﴾ .

ثالثاً: نفى تبارك وتعالى نفياً صريحاً أن تكون الخيرة للخلق ﴿مَا كَانَ لَهُمُ الْخَيْرَةُ﴾ .

رابعاً: أخبرنا عن تنزيهه وتعالى عن أن يشرك خلقه معه في الخلق والاختيار ﴿سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ .

خامساً: في الآية التالية أبان لنا الحكمة في ذلك ، وهي حكمة واضحة جلّية تلك هي أنّ الخالق أعلم بنفسيات خلقه من خلقه ومن يصلح للرئاسة عليهم ومن لا يصلح ﴿وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ .

فإن قيل: إنّ هذا الاختيار المذكور في الآية الكريمة مختص بمسألة النبوة دون غيرها؟ قلنا: ليس في صدر الآية أو ذيلها ما يشعر - ولو من طرف خفي - بالاختصاص بالنبوة فقط بل أن إطلاقها - بما تحمل من صراحة ووضوح - يأبى كل قيد أو تأويل ، كيف لا ، والإمامة تعتبر استمراراً لمقام النبوة وإتماماً للرسالة ، وبهذا جاء النص الصريح في حديث عن النبي ﷺ الذي أنزل الله عليه القرآن وخاطبه بهذه الآية ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ﴾ على ما هو منقول عن كتاب محمد بن مؤمن الشيرازي - من علماء الجمهور المستخرج من التفاسير الأثنى عشر - عن أنس بن مالك قال: سألت النبي ﷺ عن هذه الآية

فقال ﷺ : إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ آدَمَ مِنَ الطِّينِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَخْتَارُ ، وَأَنَّ اللَّهَ اخْتَارَنِي وَأَهْلَ بَيْتِي عَلَى جَمِيعِ الْخَلْقِ فَأَنْتَجِبْنَا فَجَعَلَنِي الرَّسُولَ ، وَجَعَلَ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ الْوَصِيَّ ، ثُمَّ قَالَ تَعَالَى : ﴿ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ ﴾ يعني ما جعلت للعباد أن يختاروا ولكني اختار من أشاء ، فأنا وأهل بيتي صفوته وخيرته من خلقه الحديث .

(راجع كتاب الوصي ص ٢٣ للعلامة الحجة المرحوم السيد علي نقی الحيدري) ورواه ابن شهر آشوب في (المناقب) ج ١ ص ٢٥٦ .

ونعود للجواب عن جواز قيام الصبي الذي يختاره الله ليكون حجة على خلقه فنقول : يجوز ذلك عقلاً ولا مانع منه مطلقاً ، لأن الله الذي هو على كل شيء قدير قادر على أن يجمع في الصبي جميع شرائط الإمامة ، والعقل لا يستبعد منه تعالى أن يتخذ ولياً ويجعله رسولاً أو يعينه إماماً وهو صبي لأنه لا عجز في قدرته المطلقة .

وأصدق شاهد وأعدل حاكم لنا على ذلك حديث يحيى بن زكريا وعيسى بن مريم .

إيتاء الكتاب والحكم ليحيى في صباه

أما يحيى فقد قال تعالى مخاطباً له وحكى ذلك الخطاب في القرآن المجيد بقوله : ﴿ يَتَّخِذْ خُذَ الْكِتَابِ بِقُوَّةٍ وَءَاتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا ﴾ [مريم / ١٢] فقوله : ﴿ خُذْ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ ﴾ أي خذ التوراة ، أو هي وسائر كتب الأنبياء السابقة بما قوَّاه الله عليه وأيدك به ، فالمراد من القوة - على الظاهر - القوة الإلهية التي أودعها فيه والتي تمكنه من التحقيق والمعرفة بما في الكتاب من المعارف ، كما تمكنه من العمل بما فيه من الأحكام بالعناية والاهتمام ، ولولاها لما تمكن من المعرفة بما في الكتاب ولا تمكن من العمل بما فيه .

وقوله : ﴿وَأَتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا﴾ فُسر الحكم بالنبوة، أو بالفهم والعقل، أو بالحكمة والفراصة الصادقة، ولكن المستفاد من الآية نفسها ومن آيات غيرها مثل قوله تعالى : ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ﴾ [الجاثية/ ١٦] وقوله تعالى في بعض أنبيائه : ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ ءَاتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ﴾ [الأنعام/ ٨٩] وغيرهما من الآيات أن الحكم غير النبوة فتفسير الحكم بالنبوة ليس على ما ينبغي وكذا تفسيره بالفهم والعقل، أو بالفراصة الصادقة، إذ لا دليل من جهة اللفظ ولا من جهة المعنى يدل على شيء من ذلك نعم الظاهر من اللفظ أن الله جعله حاكماً بحكمه وحكمته على أهل زمانه في حالة كونه صبيّاً، أي وآتيناه الحكم على العباد في حالة كونه صبيّاً كما أتى الحكم لغيره من الرسل والأنبياء وجاء في بعض أحاديث أهل البيت عليهم السلام ما ظاهره أن المراد من الحكم بالحكمة والله العالم. ولعل المقصود أنه يحكم بالحكمة، وذكر أكثر المفسرين أن يحيى آتاه الله الكتاب والحكم وهو ابن ثلاث سنين، راجع (مجمع البيان) م ٣ ص ٥٠٦، و(تفسير الجلالين) ص ٤٠٣، و(تفسير الدر المنثور) ج ٤ ص ٢٦١، و(تفسير الجواهر للطنطاوي) ج ١٠ ص ٥.

قال الفخر الرازي في تفسيره (مفاتيح الغيب) ج ٥ ص ٥٢ : فإن قيل : كيف يُعقل حصول العقل والفطنة والنبوة حال الصبا؟ قلنا : هذا السائل إما أن يمنع من خرق العادات أو لا يمنع منه؟ فإن منع منه فقد سدّ باب النبوات لأن بناء الأمر فيها على المعجزات، ولا معنى لها إلا خرق العادات، وإن لم يمنع فقد زال الاستبعاد، فإنه ليس استبعاد صيرورة الصبي عاقلاً أشد من استبعاد انشقاق القمر أي لمحمد ﷺ وانفلاق البحر أي لموسى ﷺ.

إيتاء الكتاب والنبوة لعيسى يوم ولادته

فهذا حديث يحيى، وأما حديث عيسى فهو أعجب وأغرب - ولا عجب من أمر الله ولا غرابة - إذ أن عيسى بن مريم قد اتخذه الله عبداً له وآتاه الكتاب

وهو الإنجيل، وجعله نبياً وبارك فيه بأنواع المباركات، وأوصاه بعدة وصايا وأنطقه بكل ذلك وهو إذ ذاك ابن يومه، وتتجلى لك هذه الحقيقة حين تقرأ في القرآن المجيد كيفية ولادته، وما أجاب به هو من سأل من قومه عن تلك العجائب والغرائب حين جاءت به أمه تحمله بعد ولادته مباشرة قال تعالى بعد حديث ولادته: ﴿ فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَمْرِئٌ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا فَرِيًّا ﴾ والفري الشيء العظيم البديع الذي لم يسبق له نظير، ثم قال حاكياً عنهم قولهم: ﴿ يَتَأَخَتَّ هَرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ أَمْرًا سَوْءٌ وَمَا كَانَتْ أُمُّكَ بَغِيًّا ﴾ والظاهر أن المراد من قولهم: (يا أخت هارون) أنه رجل من بني إسرائيل صالح كان يضرب به المثل وينسب إليه كل صالح، أو لعل المراد به هارون أخو موسى الكليم إذ هي منتسبة إليه في نسبها، فقولهم لها: يا أخت هارون كما يقال للتميمي يا أخا تميم، وحينما سمعت من قومها تلك المعاتبة طلبت منهم بالإشارة لا بالكلام أن يوجهوا المعاتبة إليه نفسه حتى يكون هو المجيب لهم لذا قال تعالى: ﴿ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا ﴾ فأنطقه الله ثانية بعد ساعة من ولادته: ﴿ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ ءَاتَنِي الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ۖ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ۖ وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْ لِي جَبَارًا شَقِيًّا ۖ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴾ من هو المتكلم الذي يدعي هذه الأمور العظام ﴿ ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَكَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴾ أي ذلك عيسى بن مريم الذي يختلفون فيه ويتنازعون فهذا يقول: إنه ابن الله وهم النصارى تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً، وذلك يتهم أمه وينسبها إلى ما لا يليق بها وهي البريئة العفيفة وهم اليهود، وأن الحق هو هذا، إن الله خلقه بقدرته وأمره واختاره لعبوديته، وأنه ﴿ مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَنَهُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ۚ وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴾ [مريم / ٣٥ - ٣٦].

إيتاء الإمامة لثلاثة من أئمتنا وهم صبيان

فالله تعالى جعل عيسى نبياً وهو طفل رضيع في المهد، وآتى يحيى النبوة والحكم وهو صبي وهكذا آتى الإمامة لثلاثة من أئمتنا وهم صبيان لم يبلغوا الحلم.

الأول: هو إمامنا محمد الجواد قام بالإمامة بعد أبيه علي بن موسى الرضا وعمره ثمان سنين، باتفاق المؤرخين وقد يقال: إن عمره عند وفاة أبيه تسع سنين، ومع ذلك قام عليه السلام بما قام به آباؤه من التعليم والإرشاد وأخذ العلماء منه - على اختلاف طبقاتهم واتجاهاتهم - أنواع العلوم خاضعين مستفيدين، وما وجدوا في علومه نقصاً - لا كثيراً ولا قليلاً - عن علوم آباءه وأجداده الطاهرين بل وجدوا علومه كعلوم جده وسميه محمد بن عبد الله عليه السلام.

فمن أين كان عنده ذلك العلم الغزير لو لم يكن إلهامياً من الله؟ وأن الله الذي زوده بتلك العلوم هو الذي اختاره إماماً بعد أبيه على صغر سنه على أن الجواد - بالاتفاق - قد فارقه أبوه يوم سافر إلى خراسان وهو ابن خمس سنين، فمن الذي كان يؤدّ به ويثقفه بعد أبيه حتى جعله بتلك المنزلة العلمية السامية؟ ولو كان ما عنده من العلم عن تعلم وتأدب من آخرين فلم لا يكون المعلم والمؤدب له هو صاحب تلك المنزلة والإمامة دونه وقبض الإمام الجواد وهو ابن خمس وعشرين سنة بالاتفاق ومعلوم أن ابن هذا السن لم يبلغ شيئاً كثيراً من العلم لو أنفق عمره كله في الطلب فكيف يكون عالم الأمة ومرشدها ومعلم العلماء ومثقفهم؟ وقد رجعت إليه الشيعة وعلماءها من يوم وفاة أبيه الرضا عليه السلام وحينما كان ينص أبوه على إمامته من بعده ويستغرب ذلك السامع لصغر سنه يستشهد الإمام بحديث عيسى عليه السلام فمن ذلك ما رواه الكليني في (الكافي) بسند صحيح كما في (شرح الشافي) ج ٣ ص ٣٦٤ عن صفوان بن يحيى قال: قلت للرضا عليه السلام: قد كنا نسألك قبل أن يهب الله لك أبا جعفر

(يعني الإمام الجواد) فكنت تقول: يهب الله لي غلاماً، فقد وهبه الله لك فافر عيوننا فلا أرانا الله يومك، فإن كان كون فإلى مَنْ؟ فأشار بيده إلى أبي جعفر عليه السلام وهو قائم بين يديه، قلت: جعلت فداك هذا ابن ثلاث سنين، فقال: (وما يضره من ذلك فقد قام عيسى بالحجة وهو ابن ثلاث سنين) وفي نص: ابن أقل من ثلاث سنين، ونقله عن الكليني الطبرسي في كتاب (إعلام الوري) ص ٣٣١، والمفيد في (الإرشاد)، ونقله عنهما المجلسي في (البحار) ج ٥٠ ص ٢١.

وفي حديث آخر عن الخيراني عن أبيه قال:

كنت واقفاً بين يدي أبي الحسن الرضا عليه السلام بخراسان فقال له قائل: يا سيدي إن كان كون فإلى مَنْ؟ قال إلى أبي جعفر ابني فكأنَّ القائل استصغر سن أبي جعفر، فقال أبو الحسن عليه السلام: إن الله تبارك وتعالى بعث عيسى بن مريم رسولاً نبياً صاحب شريعة مبتدأة في أصغر من السن الذي فيه أبو جعفر عليه السلام، (راجع المصادر السابقة).

واحتج الإمام الجواد نفسه على مَنْ استصغر سنه حينما قام بالإمامة بعد أبيه بحديث يحيى كما روي مسنداً عن علي بن أسباط قال: قدمت المدينة وأنا أريد مصر فدخلت على أبي جعفر محمد بن علي الرضا عليه السلام وقد خرج إليّ فأحدت النظر إليه وجعلت أنظر إلى رأسه ورجليه لأصف قامته لأصحابنا بمصر فبينما أنا كذلك حتّى قعد فقال: يا علي إنَّ الله احتج في الإمامة بمثل ما احتج به في النبوة فقال: ﴿وَأَتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا﴾ وقال: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ ءَاتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ [يوسف/ ٢٢].

فقد يجوز أن يعطي الحكم (وفي نص: الحكمة) ابن أربعين سنة، ويجوز أن يُعطاه صبيّاً.

روى الحديث كثير من علمائنا منهم الكليني في (الكافي كما في شرحه الشافي) ج ٤ ص ٦٤٣ ، والطبرسي في تفسيره (مجمع البيان) ج ٣ ص ٥٠٦ نقلاً عن العياشي ، وابن شهر آشوب في (المناقب) ج ٤ ص ٣٨٩ ، ونقله المجلسي في (البحار) ج ٥٠ ص ٢٠ ، و ٣٧ عن كل من (بصائر الدرجات) ص ٢٣٨ ، و(الخرائج) للقطب الراوندي و(الإرشاد) للمفيد ص ٣٤٠ .

وغيرهم وأشار إلى الحديث المولى محسن الفيض في تفسيره (الصافي) .

فهذا الإمام الأول من أئمتنا الإثني عشر الذين قاموا بأمر الإمامة وهم صبيان لم يبلغوا الحلم .

والثاني : هو ولده علي الهادي عليه السلام فقد كان عمره عند وفاة أبيه ست سنين وخمسة أشهر ، وقد يقال : إن عمره كان ثمان سنين ، وماذا يحسن من كان هذا عمره لو كان علمه بالكسب والتعلم من الآخرين ؟ ولم تكن إمامته باختيار من الله العليم الحكيم ؟ في حين كان عليه السلام أعلم أهل زمانه على الإطلاق ، واعترف بذلك الخاصة والعامة .

قال ابن حجر في (الصواعق المحرقة) ص ١٢٣ : وكان وارث أبيه علماً ومنحى . ونقله عن الصواعق الشبلنجي الشافعي في (نور الأبصار) ص ١٥١ .

وثبت هذا حينما رجع الناس إليه من الراعي والرعية والصديق والعدو ، واختبروه بأنواع العلوم والمعارف وإذا علمه كعلم جده وسميه علي أمير المؤمنين باب مدينة علم الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم .

والثالث : هو المهدي عليه السلام الذي كان عمره كما ذكرنا خمس سنين قال ابن حجر في (الصواعق المحرقة) ص ١٢٤ ، بعد ذكره لأبيه الحسن العسكري ووفاته بالسم بما نصه : ولم يخلف غير ولده أبي القاسم محمد الحجة وعمره

عند وفاة أبيه خمس سنين لكن آتاه الله فيها الحكمة، ويُسمى القائم المنتظر... الخ.

وقال الشيخ سليمان الحنفي في (ينابيع المودة) ص ٤٥٢ عند ذكر الإمام المهدي عليه السلام نقلاً عن (فصل الخطاب): وقالوا: آتاه الله تبارك وتعالى الحكمة وفصل الخطاب في طفولته وجعله آية للعالمين كما قال تعالى: ﴿يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتِنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا﴾ وقوله تعالى ﴿كَيْفَ نَكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا﴾ (٢٩) قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا... الخ.

وذكر هذا المعنى أيضاً ابن الصباغ في الفصول المهمة ص ١٧٣ في الفصل الثاني عشر فهذا الجواب عن السؤال الأول، وأما الجواب عن السؤال الثاني: هل يجوز أن يعمر إنسان في هذه الحياة الدنيا أكثر من ألف ومائة وخمسين سنة؟

نجيب عنه بمثل ما أجبنا عن السؤال الأول فنقول: لما كانت الأعمار طولها وقصرها بيد الخالق المتعال لا بيد خلقه لا مانع من أن يطول الله عمر من شاء من عباده عند اقتضاء الحكمة إلى ألوف السنين أو مئاتها إذ لا عجز في قدرته، قال تعالى: ﴿وَمَا يَعْمُرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَلَا يُنْقِصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [فاطر/ ١١].

طول عمر نوح والخضر وعيسى بن مريم عليه السلام

ولنا أصدق شاهد وأعدل حاكم على ذلك طول عمر نوح والخضر وعيسى بن مريم عليه السلام أما نوح فيصرح القرآن المجيد في أنه لبث في قومه بعد بعثته رسولا إليهم تسعمائة وخمسين سنة قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ﴾ [العنكبوت/ ١٤]، هذا عمره بعد بعثته بالرسالة وقبل نزول الطوفان بقومه المتمردين الظالمين، وإذا كم كان عمره حين بُعث بالرسالة؟ وكم عاش بعد

إنجائه والمؤمنين معه من الطوفان؟ وكم كان مجموع عمره من ولادته إلى حين وفاته؟

تكفل بالجواب على هذه التساؤلات الحديث الوارد عن الإمام الصادق عليه السلام الذي رواه شيخنا الصدوق في كتابيه (الأمالي) ص ٣٠٦، وفي (إكمال الدين) ص ٤٨٧ بسنده عن هشام بن سالم عن الصادق جعفر بن محمد عليه السلام قال: عاش نوح ألفي سنة وخمسمائة سنة منها ثمانمائة وخمسون سنة قبل أن يبعث وألف إلا خمسين عاماً وهو في قومه يدعوهم (إلى الله) وسبعمائة عام بعد ما نزل من السفينة ونضب الماء فمصر الأمصار، واسكن ولده البلدان ثم أن ملك الموت جاءه وهو في الشمس فقال: السلام عليك فرد نوح عليه السلام وقال له: ما جاء بك يا ملك الموت؟ فقال: جئت لقبض روحك، فقال له: دعني أتحول من الشمس إلى الظل؟ فقال له: نعم، فتحول نوح عليه السلام ثم قال: يا ملك الموت فكأن ما مر بي في الدنيا مثل تحولي من الشمس إلى الظل فأمض لما أمرت به فقبض روحه.

ونقله عن الصدوق القطب الراوندي في (قصص الأنبياء)، ونقله عن المصادر الثلاثة المجلسي في (البحار) ج ١١ ص ٢٨٥ - ص ٢٨٦، كما نقله أيضاً الطبرسي في (مجمع البيان).

ونقل المجلسي أيضاً في (البحار) ج ١١ ص ٢٨٧ عن القطب الراوندي في (قصص الأنبياء) بإسناده عن عبد العظيم الحسيني قال: سمعت علي بن محمد العسكري (أي الإمام الهادي عليه السلام) يقول: عاش نوح عليه السلام ألفين وخمسمائة سنة... الخ. فهذا ما ورد عن الإمامين الصادق والهادي عليه السلام من طرقنا في عمر نوح.

وأما ما ورد من طرق أهل السنة فقد روى السيوطي في تفسيره (الدر المنثور) ج ٥ ص ١٤٣ قال: وأخرج عبد بن حميد عن عكرمة قال: كان عمر

نوح عليه السلام قبل أن يبعث إلى قومه ، وبعد ما بعث ألفاً وسبعمائة سنة .

وقال أيضاً : وأخرج ابن جرير (أي الطبري) عن عون بن أبي شداد قال : أن الله أرسل نوحاً عليه السلام إلى قومه وهو ابن خمسين وثلاثمائة سنة ، فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاماً ثم عاش بعد ذلك خمسين وثلاثمائة سنة ورواه ابن كثير الدمشقي في (تفسيره) ج ٣ ص ٤٠٧ وقد نقله عن ابن أبي حاتم ، وابن جرير وقال السيوطي : وأخرج ابن أبي الدنيا في كتاب (ذم الدنيا) عن أنس بن مالك قال : جاء ملك الموت إلى نوح عليه السلام فقال : يا أطول النبيين عمراً كيف وجدت الدنيا ولذتها قال : كرجل دخل بيتاً له بابان فوقف وسط الباب^(١) هنيئة ثم خرج من الباب الآخر .

وقول ملك الموت له : (يا أطول النبيين عمراً يريد - على الظاهر - أطول عمراً من النبيين الذين سبقوه بالنبوة ، إذ جاء بعده من كان أطول منه عمراً ومنهم الخضر عليه السلام .

والمستفاد من مجموع ما جاء في ترجمة الخضر عليه السلام أنه كان أحد أنبياء الله ورسله ، وأنه هو الذي التقى به موسى بن عمران حينما كان معه فتاه وهو وصيه يوشع بن نون وذكر هذا اللقاء القرآن المجيد بقوله تعالى : ﴿ فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِمَّا لَدُنَّا عِلْمًا ﴾ [الكهف / ٦٥] .

وروى الصدوق في كتابه (علل الشرائع) ص ٥٩ بسنده عن جعفر بن محمد بن عمارة عن أبيه عمارة عن جعفر بن محمد الصادق عليه السلام أنه قال : إن الخضر كان نبياً مرسلأ بعثه الله تبارك وتعالى إلى قومه فدعاهم إلى توحيده والإقرار بأنبيائه ورسله وكتبه وكانت آيته أنه لا يجلس على خشبة يابسة ولا أرض بيضاء إلا أزهرت خضراً (أي بنور أخضر) وإنما سمّي خضراً لذلك وكان

(١) ولعل الصحيح وسط البيت .

اسمه باليا بن ملكان بن عابر (أو عامر) بن أرفخشد بن سام بن نوح عليه السلام (أي كان بينه وبين نوح أربعة أظهر) ثم يشرح الإمام الصادق عليه السلام كيفية التقائه بموسى بن عمران وسببه، وما جرى بينهما مما ذكره القرآن المجيد، وأوضحه الإمام عليه السلام في حديثه من خرق السفينة، وقتل الغلام وإقامة الجدار، والعلل لهذه الأفعال وتأويلاتها، وإن كل ما قام به لم يفعله عن أمره وإنما فعله عن أمر الله عز وجل.

نقله عن (العلل) المجلسي في (البحار) ج ١٣ ص ٢٨٦ كما أنه كان معاصراً لذي القرنين وهو أحد أصحابه المقربين لديه.

فهذا الخضر عليه السلام الذي اتفق علماء الخاصة والعامة على طول عمره، وحتى نقل ابن حجر العسقلاني في (الإصابة) ج ١ ص ٤٣٠ باب ما ورد في تعميره عن أبي مخنف لوط بن يحيى عن كتاب (المعمرين) له أنه قال: أجمع أهل العلم بالأحاديث والجمع لها أن الخضر عليه السلام أطول آدمي عمراً، وقال أيضاً ص ٤٣٢.

وأما اجتماعه مع النبي ﷺ وتعزيته لأهل بيته وهم مجتمعون لغسله فروي من طرق صحاح، ثم ذكر بعض تلك الطرق فراجع (ذكر الأخبار) التي وردت أن الخضر كان في زمن النبي ﷺ ثم بعده إلى الآن من ص ٤٣٥ - ٤٣٨، من الإصابة وباب (ما جاء في بقاء الخضر بعد النبي ﷺ) ومن نقله عنه أنه رآه وكلمه من ص ٤٣٨ - ص ٤٤٧.

فالخضر عليه السلام حي موجود إلى زمن النبي ﷺ وقد التقى به مراراً، وجاء إلى داره بعد وفاته معزياً أهل بيته به على ما ذكره الفريقان وهو حي موجود أيضاً أيام الأئمة الطاهرين من أهل بيته عليه السلام ولا يموت إلى النفخ في الصور، أو حتى يسأل من الله الموت ولكن الله جل وعلا أخفاه على الناس كما أخفى أشخاصاً آخرين ومنهم الإمام المهدي عليه السلام في غيبته، وتدل بعض

الأخبار أنهما يجتمعان معاً ويأنس كل واحد منهما بالآخر كما سيأتي وتذكر الأخبار أيضاً سبب بقاءه طيلة هذه المدة وهو أن الله أطلعه على عين الحياة وشرب منها ولذلك أبقاه الله حياً ومن تلك الأخبار ما جاء في أحاديث أهل البيت عليهم السلام وغيرهم فقد روى الصدوق في كتابه (إكمال الدين) ص ٣٧١ بسنده عن الحسن بن علي بن فضال قال: سمعت أبا الحسن علي بن موسى الرضا عليه السلام يقول: إن الخضر عليه السلام شرب من ماء الحياة فهو حي لا يموت حتى يُنفخ بالصور، وإنه ليأتينا فيسلم علينا فيسمع صوته ولا يُرى شخصه، وإنه ليحضر حيث ما ذكر، فمن ذكره منكم فليسلم عليه، وإنه ليحضر الموسم كل سنة فيقضي جميع المناسك ويقف بعرفة فيؤمن على دعاء المؤمنين وسيؤنس الله به وحشة قائمنا في غيبته ويصل به وحدته. نقله عنه المجلسي في (البحار) ج ١٢ ص ٢٩٩، وج ٥١ ص ١٥٢.

وروى الصدوق أيضاً في كتابه (إكمال الدين) ص ٣٦٨ بسنده عن عبد الله بن سليمان قال: قرأت في بعض كتب الله عز وجل إن ذا القرنين كان عبداً صالحاً جعله الله حجة على عباده ولم يجعله نبياً، فمكن الله له في الأرض وآتاه من كل شيء سبباً فوصفت له عين الحياة وقيل له: من شرب منها لم يمت حتى يسمع الصيحة، وأنه خرج في طلبها حتى انتهى إلى موضع فيه ثلاثمائة وستون عيناً، وكان الخضر عليه السلام على مقدمته، وكان صالحاً وقال لهم: ليغسل كل رجل منكم حوته في عين فانطلقوا وانطلق الخضر إلى عين من تلك العيون فلما غمس الحوت في الماء حيى وأنساب في الماء، فلما رأى الخضر ذلك علم أنه قد ظفر بماء الحياة فرمى بشيابه وسقط في الماء فجعل يرتمس فيه ويشرب منه، فرجع كل واحد منهم إلى ذي القرنين ومعه حوته، ورجع الخضر وليس معه الحوت فسأله عن قصته فأخبره فقال له: أشربت من ذلك الماء؟ قال: نعم، قال: أنت صاحبها، وأنت الذي خلقت لهذه العين فأبشر بطول البقاء في هذه الدنيا مع الغيبة عن الأبصار إلى النفخ في الصور.

نقله عن الصدوق أيضاً المجلسي في (البحار) ج ١٣ ص ٢٩٨ .

وروى القطب الراوندي في كتابه (قصص الأنبياء)، مخطوط، بسنده عن أبي جعفر (أي الباقر عليه السلام) ما يقارب هذا الحديث في مضامينه، ونقله عنه أيضاً المجلسي في (البحار) ج ١٣ ص ٣٠٠، وجاء عن أمير المؤمنين عليه السلام في حديث طويل رواه الكثير من الخاصة والعامة: أن عين الحياة هي أول عين ماء خلقها الله تعالى وإنها هي التي انتهى إليها موسى بن عمران وفتاه (وهو يوشع بن نون) فغسل فيها السمكة المألحة فأحياها الله، ثم قال عليه السلام: وليس من ميت يصيب من ذلك الماء إلا أحياه الله، وكان الخضر على مقدمة ذي القرنين يطلب عين الحياة فوجدها الخضر وشرب منها ولم يجدها ذو القرنين . . . الخ .

وهكذا جاءت أحاديث عديدة من طرق أخرى في أن الخضر عليه السلام أطلعه الله على عين الحياة وشرب منها فكانت السبب في بقاءه حياً إلى الآن وإلى ما شاء الله .

هنا نقول: إذا ما المانع في أن الله تعالى يُطلع الإمام المهدي أيضاً على تلك العين ويشرب منها فتكون سبباً لطول عمره من ولادته وحتى الآن وإلى ما شاء الله، والله هو مسبب الأسباب ولا يُعجزه سبب مطلقاً .

وورد أن الحكمة والعلة في إطالة عمر الخضر عليه السلام هي الاستدلال بها على إطالة عمر الإمام المهدي عليه السلام على ما جاء هذا صريحاً عن الإمام الصادق عليه السلام في حديث له بقوله في آخره وأما العبد الصالح الخضر عليه السلام فإن الله تبارك وتعالى ما طَوَّل عُمره لنبوةٍ قدرها له، ولا لكتابٍ يُنزله عليه ولا لشريعةٍ ينسخ بها شريعة مَنْ كان قبله من الأنبياء ولا لإمامةٍ يلزم عباده الإقتداء بها، ولا لطاعة يفرضها له، بلى إنَّ الله تبارك وتعالى لما كان في سابق علمه أن يقدر من عمر القائم عليه السلام في أيام غيبته ما يقدر، وعلم ما يكون من إنكار عباده بمقدار ذلك العمر في الطول طَوَّلَ عمر العبد الصالح من غير سبب أوجب ذلك

إلا لعله الاستدلال به على عمر القائم عليه السلام وليقطع بذلك حجة المعاندين لئلا يكون للناس على الله حجة، راجع الحديث في (إكمال الدين) ص ٣٤٠ - ص ٣٤٤، ونقله عنه، وعن كتاب (الغيبة) للشيخ الطوسي المجلسي في (البحار) ج ٥١ ص ٢١٩، ورواه أيضاً الطبرسي في (إعلام الوري) ص ٤٠٦.

وأما عيسى بن مريم فإن اليهود كانت تدّعي أنها قتلته، وكذلك النصارى تظن أن اليهود قد قتلته بالصلب، ولكن القرآن المجيد يرد إدعاء كل من اليهود والنصارى ويصرح بالتأكيد بأنه لم يقتل ولم يُصلب، بل أن الله رفعه إليه قال تعالى حاكياً زعم اليهود بقتلهم له: ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ﴾ أي أن الله ألقى شبهه على غيره وقتلوا ذلك الغير دونه، ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ أَخْلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا أَنْبَاءَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا﴾ بل رفعه الله إليه وكان الله عزيزاً حكيمًا ﴿وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لِيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾ [النساء/ ١٥٧ - ١٥٩]، والذي يعطيه ظاهر هذه الآيات، وبالأخص الآية الأخيرة أنه حي عند الله وإنه لن يموت حتى يؤمن به أهل الكتاب فعيسى حي موجود منذ ولد وحتى الآن، وينزله الله من السماء عند ظهور الإمام المهدي عليه السلام ويكون من أصحابه ويصلي خلفه كما جاء ذلك في الأحاديث الشهيرة من طرق الفريقين وإليك تفسير الآية الأخيرة ومعناها:

﴿وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لِيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾.

كلمة (إن) بمعنى ما النافية والمبتدأ محذوف منها ويدل عليه الكلام في سياق النفي والتقدير وإن أحد من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به كقوله تعالى في آية أخرى ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ [مريم/ ٧١].

وتقديرها وإن أحد منكم إلا واردها، والضمير في قوله: به وقوله:

(يكون) راجع إلى عيسى بالإجماع، وأما الضمير في قوله: (قبل موته) ففيه خلاف حيث يحتمل بعض المفسرين أن الضمير راجع إلى المبتدأ المقرر وهو (أحد) وعلى هذا يكون معنى الآية وما يكون أحد من أهل الكتاب يخرج من الدنيا إلا ليؤمن قبل موته بعيسى ﷺ أي يظهر للكتابي قبيل موته عند احتضاره ما يرى به من جزاء عقيدته وعمله ويعلم أن عيسى كان عبداً لله ورسولاً منه إلى عباده حقاً فيؤمن به حينئذ، وأن هذا الإيمان منه إيماناً لا ينتفع به، فمثله كمثله إيمان فرعون حين أدركه الغرق ﴿قَالَ ءَامَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي ءَامَنْتُ بِهِ، بَنُوا إِسْرَءِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [يونس / ٩٠]، ويكون عيسى شهيداً عليهم جميعاً يوم القيامة سواء آمنوا به إيماناً ينتفع به أو إيماناً لا ينتفع به كمن آمن به عند موته فقط.

واحتمل آخرون من المفسرين أن الضمير في قوله تعالى (قبل موته) راجع إلى عيسى كبقية الضمائر، وهذا هو المؤيد بظاهر الآية الكريمة ويدل عليه السياق أيضاً حيث إنها جاءت بعد قوله تعالى: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ﴾ وبعد قوله تعالى: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا﴾ (١٥٧) بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ ﴿ فهذا السياق يدل على أن الآية ﴿وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لِيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ﴾ أنها في مقام بيان أنه لم يمت وأنه حي بعد، وإن كل واحد من أهل الكتاب يؤمن به قبل موته ﷺ إيماناً اختيارياً كان كمن يؤمن به بعد نزوله من السماء أيام الإمام المهدي ﷺ ودولته الحققة، أو إيماناً اضطرارياً كمن يؤمن به عند موته فحسب وبالجملة الذي يفيد التدبر في سياق الآيات هو أن عيسى لم يتوف بقتل أو صلب أو موت حتف الأنف على نحو ما نعرف من مصداقه نعم أن هناك بعض الآيات لا تخلو من إشعار بخلاف ذلك كقوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَعْيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لَا تَخْلُفُونَنِي﴾ الخ [آل عمران / ٥٦].

ولكن المراد من التوفي هل هو الموت؟ وهذا غير معلوم لأن معنى التوفي هو أخذ الشيء أخذاً تاماً، وإنما يستعمل في بعض الآيات بمعنى الموت، لأن الله يأخذ عند الموت نفس الإنسان من بدنه، وقد أطلق سبحانه في القرآن المجيد لفظ التوفي على النوم كما أطلقه على الموت في عدة آيات منها قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ﴾ [الإنعام/ ٦٠]، أي يقبض أرواحكم عند النوم بالليل، و(يعلم ما جرحتم) أي ما كسبتم بالنهار، ومنها قوله تعالى: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الزمر/ ٤٢].

أي أن الله تعالى يأخذ النفس ويقبضها عند موتها، والتي لم تمت يتوفاها الله أي يأخذها في منامها، (فيمسك التي قضى عليها الموت) أي يبقئها محفوظة عنده، ويرسل الأخرى إلى أجل مسمى، أي يرجعها بعد النوم إلى البدن إلى وقت أجلها المسمى عنده.. الخ.

فالتوفي معناه أخذ الشيء واستلامه، وذكر المفسرون في قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَىٰ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ﴾ عدة أقوال: أحدها أن المراد به إني قابضك برفعك من الأرض إلى السماء من غير وفاة بموت، وهذا وارد عن الحسن وكعب، وابن جرير، وابن زيد، والكلبي، ومطر الوراق، وغيرهم، ويكون معنى التوفي أما إني قابضك ورافعك إلى السماء واقياً لم ينالوا منك شيئاً كقولهم: توفيت كذا واستوفيته أي أخذته تاماً، وإني متسلمك كقولهم: توفيت منه كذا أي تسلمته، وهذا قول لبعض المفسرين وهو المشهور.

والقول الثاني: متوفيك وفاة نوم ورافعك إليّ (أي إلى كرامتي) في النوم، وهذا وارد عن الربيع وغيره كثير قالوا: رفعه نائماً ويدل عليه قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ﴾ أي يقبض أرواحكم عند نومكم، وكان

رسول الله ﷺ يقول إذا قام من النوم: أحمد الله الذي أحيانا بعد أن أماتنا، وشبهه ﷺ النوم بالموت في عدة أحاديث.

والقول الثالث: إني متوفيك وفاة موت، وهذا وارد عن ابن عباس، ووهب بن منبه ولكنهما قالوا: توفاه الله ثلاث ساعات من أول النهار حين رفعه إليه. راجع تفسير الآية في (مجمع البيان) ج ١ ص ٤٤٩، و(مفاتيح الغيب) ج ٢ ص ٤٦٤، و(الدر المنثور) ج ٢ ص ٣٦، و(تفسير ابن كثير) ج ١ ص ٣٦٦ وغيرها.

وتصريح القولين الأولين للمفسرين أن عيسى حي لم يمت وأنه رفع إلى السماء أما حالة اليقظة، أو في حالة النوم هذا التصريح تؤيده (بالإضافة إلى ظاهر الآيات - الأحاديث الشهيرة من طرق الفريقين التي تنص على أن عيسى حي لم يمت، ومن تلك الأحاديث قول النبي ﷺ: إن عيسى بن مريم لم يمت، وإنه راجع إليكم قبل يوم القيامة.

رواه الطبرسي في (مجمع البيان) م ١ ص ٤٤٩ ونقله عنه المجلسي في (البحار) ج ١٤ ص ٣٤٤.

ومنها ما رواه السيوطي في (الدر المنثور) ج ٤ ص ٢٣٩ قال: وأخرج ابن شاهين عن خصيف قال: أربعة من الأنبياء أحياء اثنان في السماء عيسى وإدريس واثنان في الأرض الخضر والياس... الخ.

ورواه بن حجر العسقلاني في (الإصابة) من طريق آخر ج ١ ص ٤٣٩ في باب، ما جاء في بقاء الخضر بعد النبي ﷺ وفي هذا الباب روى أحاديث كثيرة في من رآه وكلمه، ومجيئه إلى أهل البيت معزياً لهم بوفاة النبي ﷺ وتصريح القول الثالث للمفسرين الوارد عن ابن عباس، ووهب، أيضاً يدل على حياته حيث إنهما قالوا: توفاه الله ثلاث ساعات من أول النهار حين رفعه إليه، وقال

الفخر الرازي في (مفاتيح الغيب) ج ٢ ص ٤٦٤ : وقد ثبت الدليل أنه حي ، وورد الخبر أنه سينزل ويقتل الدجال ، ثم أنه يتوفاه بعد ذلك .

نزل عيسى من السماء واقتداؤه بالمهدي عليه السلام

وخلاصة ما تقدم إن عيسى بن مريم عليه السلام حي منذ ولد وحتى الآن وقد مضى على تاريخ ولادته ألف وتسعمائة وست وتسعون سنة حسب التاريخ الميلادي ، وسينزله الله أيام ظهور الإمام المهدي من السماء إلى الأرض ويكون من أصحابه المقربين ويصلي خلفه مقتدياً به في أحاديث الخاصة والعامة .

فقد روى البخاري في (صحيحه) ج ٢ ص ١٥٨ ، وهكذا مسلم في (صحيحه) بسنديهما عن أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال : كيف أنتم إذا نزل ابن مريم فيكم وإمامكم منكم ، ونقله عن الصحيحين كثير من المؤلفين منهم العلامة الكنجي الشافعي في كتابه (البيان في أخبار صاحب الزمان) في الباب السابع منه في بيان إنه عليه السلام يصلي بعيسى بن مريم حيث نقل الحديث عن أبي هريرة وقال : هذا حديث حسن صحيح متفق على صحته من حديث محمد بن شهاب الزهري رواه البخاري ، ومسلم في صحيحيهما ثم قال الكنجي وعن جابر بن عبد الله قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة قال : فينزل عيسى بن مريم عليه السلام فيقول أميرهم : تعال صل بنا فيقول : لا ، إن بعضكم على بعض أمراء تكرمه الله لهذه الأمة قال : هذا حديث حسن صحيح أخرجه مسلم في (صحيحه) ، إلى أن قال : فإن سأل سائل وقال : مع صحة هذه الأحاديث وهي أن عيسى يصلي خلف المهدي عليه السلام ويجاهد بين يديه ، وأنه يقتل الدجال بين يدي المهدي عليه السلام ورتبته التقدم في الصلاة معروفة ، وكذلك رتبة التقدم في الجهاد وهذه الأخبار مما يثبت طرقها وصحتها عند أهل السنة ، وكذلك ترويتها الشيعة على سواء وهذا هو الإجماع من كافة أهل الإسلام إذ من عدا الشيعة والسنة من

الفرق فقوله ساقط مردود وحشو مطروح فثبت أن هذا إجماع كافة أهل الإسلام ومع ثبوت إلا جماع على ذلك وصحته فأیما افضل الإمام أو المأموم في الصلاة والجهاد معاً؟

الجواب عن ذلك نقول: هما قدوتان نبي وإمام وإن كان أحدهما قدوة لصاحبه في حال اجتماعهما وهو الإمام يكون قدوة للنبي في تلك الحال وليس فيهما من تأخذه في الله لومة لائم، وهما معصومان من ارتكاب القبائح كافة والمداهنة والرياء والنفاق، ولا يدعو الداعي لأحدهما إلى فعل ما خارجاً عن حكم الشريعة ولا مخالفاً لمراد الله ورسوله ﷺ.

وإذا كان الأمر كذلك فالإمام أفضل من المأموم لموضع ورود الشريعة المحمدية بذلك بدليل قول النبي ﷺ يؤام بالقوم اقرؤهم فإن استووا فأعلمهم فإن استووا فأفقههم فإن استووا فأقدمهم هجرة فإن استووا فأصبحهم وجهاً.

فلو علم الإمام أن عيسى أفضل منه لما جاز له أن يتقدم عليه لإحكامه علم الشريعة ولموضع تنزيه الله تعالى له عن ارتكاب كل مكروه، وكذلك لو علم عيسى أنه أفضل لما جاز له أن يقتدي به لموضع تنزيه الله له من الرياء والنفاق والمحاباة بل لما تحقق أنه أعلم منه جاز له أن يتقدم عليه، وكذلك قد تحقق عيسى أن الإمام أعلم منه لذلك قدمه وصلى خلفه ولو لا ذلك لم يسعه الاقتداء بالإمام ﷺ فهذه درجة الفضل في الصلاة.

ثم إن الجهاد وهو بذل النفس بين يدي من يرغب إلى الله تعالى بذلك، ولو لا ذلك لم يصح لأحد جهاد بين يدي رسول الله ﷺ ولا بين يدي غيره، والدليل على صحة ما ذهبنا إليه قول الله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِآثٍ لَهُمْ الْجَنَّةُ يُقَرَّبُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِالَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾

[براءة/ ١١١]، ولأن الإمام نائب الرسول ﷺ في أمته ولا يسوغ لعيسى عليه السلام أن يتقدم على الرسول وكذلك على نائبه . . . الخ .

ومن الأحاديث التي تصرح بأن عيسى عليه السلام يصلي خلف الإمام المهدي الحديث الذي رواه المحدثون من الفريقين بأسانيدهم عن أبي سعيد الخدري ومما جاء فيه أن رسول الله ﷺ قال لفاطمة حين دخلت عليه أيام مرضه عند وفاته: يا فاطمة أنا أهل البيت أعطينا ست خصال لم يعطها أحد من الأولين، ولا يدركها أحد من الآخرين، نبينا خير الأنبياء وهو أبوك، ووصينا خير الأوصياء وهو بعلك وشهيدنا خير الشهداء وهو عم أبيك حمزة ومنا سبطا هذه الأمة وهما ابنك، ومنا مهدي هذه الأمة الذي يصلي عيسى خلفه، ثم ضرب على منكب الحسين عليه السلام فقال: من هذا مهدي الأمة، نقل الحديث الكنجي الشافعي في كتابه (البيان) في الباب التاسع وقال: هكذا أخرجه الدارقطني صاحب (الجرح والتعديل) كما نقله عن الدارقطني ابن الصباغ المالكي في كتاب (الفصول المهمة) ص ٢٧٨ وفيه: ومنا من له جناحان يطير بهما في الجنة حيث يشاء وهو جعفر . . . الخ .

كما رواه العلامة البدخشي في (مفتاح النجا) ص ١٧ مخطوط، نقلاً عن الدارقطني، ونقله الشيخ عبيد الله الحنفي في كتابه (أرجح المطالب) ص ٣٨٥ أيضاً عن الدارقطني، ونقله الشيخ نجم الدين العسكري في كتابه (علي والوصية) ص ١٩٢ عن ابن الصباغ، والشيخ عبيد الله، والمجلسي في (البحار) ج ٥١ ص ٩١ نقلاً عن الكنجي الشافعي وغيرهم كما نقله المجلسي في (البحار) ج ٥١ ص ٧٦ نقلاً عن كتاب الغيبة للشيخ الطوسي بسنده عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ قال لفاطمة: يا بنية إنا أهل البيت أعطينا سبعة لم يعطها أحد من قبلنا نبينا خير الأنبياء وهو أبوك ووصينا خير الأوصياء وهو بعلك وشهيدنا خير الشهداء وهو عم أبيك حمزة ومنا من له جناحان خضيان يطير بهما في

الجنة وهو ابن عمك جعفر ومنا سبطا هذه الأمة وهما ابناك الحسن والحسين
ومنا والله الذي لا إله إلا هو مهدي هذه الأمة الذي يصلي خلفه عيسى بن مريم،
ثم ضرب بيده على منكب الحسين عليه السلام فقال: من هذا ثلاثاً.

ومن الأحاديث التي تصرح أيضاً بأن عيسى يصلي خلف الإمام
المهدي عليه السلام ما نقله ابن حجر في (الصواعق المحرقة) ص ٩٨ عن الطبراني
مرفوعاً: يلتفت المهدي وقد نزل عيسى بن مريم عليه السلام كأنما يقطر من شعره
الماء فيقول المهدي تقدم فصل بالناس فيقول عيسى: إنما أقيمت الصلاة لك
فيصلي خلف رجل من ولدي، الحديث، ثم قال ابن حجر:

وفي صحيح ابن حبان في إمامة المهدي نحوه: وصح مرفوعاً: ينزل
عيسى بن مريم فيقول أميرهم المهدي عليه السلام: تعال صل بنا فيقول: لا إن
بعضكم أئمة على بعض تكرمة الله لهذه الأمة.

وذكر ابن حجر أحاديث أخرى كثيرة في بشائر النبي صلى الله عليه وآله بالإمام
المهدي، وصلاة عيسى خلفه، وأنه يملأ الدنيا قسطاً وعدلاً بعد ما ملئت ظلماً
وجوراً إلى أن قال: (تنبيه) الأظهر إن خروج المهدي قبل نزول عيسى، وقيل
بعده، قال أبو الحسين الأبري: قد تواترت الأخبار واستفاضت بكثرة رواياتها
عن المصطفى صلى الله عليه وآله بخروجه عليه السلام وأنه من أهل بيته، وأنه يملك سبع سنين
وأنه يملأ الأرض عدلاً، وأنه يخرج معه عيسى على نبينا وعليه أفضل الصلاة
والسلام فيساعده على قتل الدجال بباب لد بأرض فلسطين وأنه يؤم هذه الأمة
ويصلي عيسى خلفه، انتهى.

ثم قال ابن حجر: وما ذكره من أن المهدي يصلي بعيسى هو الذي دلت
عليه الأحاديث كما علمت... الخ.

ومن الأحاديث التي وردت من طرق أهل البيت عليهم السلام والتي تصرح بصلاة
عيسى عليه السلام ما رواه الصدوق في (إكمال الدين) ص ٣٣٤ بسنده عن أبي بصير

قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : إن سنن الأنبياء بما وقع بهم من الغيبات حادثة (وفي نص جارية) في القائم منا أهل البيت حذو النعل بالنعل والقذة بالقذة قال أبو بصير : فقلت : يا بن رسول الله ومن القائم منكم أهل البيت؟ فقال يا أبا بصير هو الخامس من ولد موسى ، ذلك ابن سيدة الإمام يغيب غيبة يرتاب فيها المبطلون ، ثم يظهره الله عز وجل فيفتح الله على يده مشارق الأرض ومغاربها ، وينزل روح الله عيسى بن مريم عليه السلام فيصلي خلفه فتشرق الأرض بنور ربها ولا تبقى في الأرض قطعة عبد فيها غير الله عز وجل إلا عبد الله فيها ، ويكون الدين كله (الله) ولو كره المشركون .

ونقله عن المصدر المذكور المجلسي في (البحار) ج ٥١ ص ١٤٦ ، والحر العاملي في (الإيقاظ) ص ١٠٢ ، والسيد محسن العاملي في (المجالس السنية) ج ٥ ص ٥٢٩ .

أقول كفى الإمام المهدي عليه السلام شرفاً وفضلاً ومنزلة وعلواً أن يكون أحد مفاخر أهل البيت عليهم السلام ومعطياتهم السبعة من الله تعالى كما مرّ علينا في حديث أبي سعيد الخدري ، ويصلي عيسى بن مريم عليه السلام خلفه وهو أحد السادات الخمسة من أولي العزم من الرسل ، ويجاهد بين يديه أعداءه ، ﴿ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ [المائدة / ٥٤] .

غيبتا الإمام المهدي عليه السلام الصغرى والكبرى

صاحب العصر الإمام المنتظر	من بما يأباه لا يجري القدر
حجة الله على كل البشر	خير أهل الأرض في كل الخصال
مَن إليه الكون قد ألقى القياد	مجرباً أفعاله فيما أراد
أن تنزل عن طوعه السبع الشداد	خرّ منها كل سامي السمك عال
شمس أوج المجد مصباح الظلام	صفوة الرحمان من بين الأنام

الإمام ابن الإمام ابن الإمام قطب أفلاك المعالي والكمال
 فاق أهل الأرض في عزّ وجاه وارتقى في المجد أعلى مرتقاه
 لو ملوك الأرض حلّو في ذراه كان أعلى صفهم صف النعال
 ذو اقتدار أن يشأ قلب الطباع صير الإظلام طبعاً للشعاع
 وارتدى الإمكان برد الامتناع قدرة موهوبة من ذي الجلال
 يا أمين الله يا شمس الهدى يا إمام الخلق يا بحر الندى
 عجلأ عجل فقد طال المدى واضمحَلّ الدين واستولى الضلال^(١)

لمولانا الإمام المهدي المنتظر أرواحنا فداه غيبتان صغرى وكبرى،
 ويوصفان أيضاً بالقصرى والطولى أما الصغرى القصيرة فمن حين ولادته إلى
 انقطاع السفارة الخاصة بينه وبين شيعته.

ومدتها أربع وسبعون سنة، والثانية وقعت بعد الأولى مباشرة إلى أن
 يأذن الله تعالى له بالظهور والقيام بالسيف، وقد نص على هاتين الغيبتين
 علماؤنا الأعلام، وهما من القطعيات الثابتة عندهم كما ذكرهما أيضاً بعض
 علماء العامة قال ابن الصباغ المالكي في (الفصول المهمة) في الفصل الثاني
 عشر ص ٢٧٣: وله قبل قيامه غيبتان إحداها أطول من الأخرى، فأما الأولى
 فهي القصرى فمنذ ولادته إلى انقطاع السفارة بينه وبين شيعته، وأما الثانية فهي
 التي بعد الأولى في آخرها يقوم بالسيف قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي
 الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ [الأنبياء/ ١٠٥].

وقد وردت في الغيبتين أيضاً روايات عديدة عن أهل البيت عليه السلام في
 مصادر الفريقين فمن تلك الروايات ما رواه السيد البوزنجي - وهو من علماء
 العامة - في (الإشاعة لإشراط الساعة) ص ٩٣ على ما ذكره السيد محمد الصدر
 في كتابه (تاريخ الغيبة الكبرى) ص ١ عن أبي عبد الله الحسين بن علي عليه السلام أنه

(١) الأبيات من قصيدة للشيخ البهائي نقلناها من (كشكوله) ج ١ ص ٢٤٦.

قال: لصاحب هذا الأمر (يعني الإمام المهدي عليه السلام)، غيبتان، إحداهما تطول حتى يقول بعضهم: مات وبعض ذهب، ولا يطلع على موضعه أحد من ولي ولا غيره إلا المولى الذي يلي أمره (وهو الله تعالى).

ومن تلك الروايات ما أخرجه النعماني في (الغيبة) ص ٩٠ عن محمد بن مسلم الثقفي عن أبي جعفر الباقر عليه السلام أنه سمعه يقول: أن للقائم غيبتين، يقال في إحداهما هلك ولا يُدرى في أيّ وادٍ سلك. نقله عنه المجلسي في (البحار) ج ٥١ ص ١٥٦.

وفي حديث آخر عن إبراهيم بن عمر الكناسي عنه عليه السلام أنه قال: إن لصاحب هذا الأمر غيبتين.

وأخرج عن أبي بصير أنه قال: قلت لأبي عبد الله (أي الصادق عليه السلام): كان أبو جعفر عليه السلام يقول:

لقائم آل محمد غيبتان إحداهما أطول من الأخرى؟

فقال: نعم، الحديث وأخرجه الطبرسي في (إعلام الوري) ص ٤١٦ ونقله المجلسي في (البحار) ج ٥١ ص ١٥٧ إلى غير ذلك من الأخبار وهي كثيرة وما ذكرناه فيه الكفاية وقد وقعت الغيبتان وتحققا كما أخبر بها أهل البيت عليهم السلام.

الفرق بين الغيبتين

أما الفرق بين الغيبتين فهو من جهات عديدة منها:

أولاً: قصر مدة الغيبة الصغرى إذ كانت مدتها كما مرّ أربع وسبعين سنة على الأشهر والأظهر، بخلاف الغيبة الكبرى فإنها طويلة، وغير معروفة الأمد باعتبار جهلنا بموعد ظهور المهدي عليه السلام ولذلك وصفت الغيبتان بالأحاديث ونصوص العلماء بالقصرى والطولى أي الأولى هي القصيرة والثانية هي الطويلة.

ثانياً: إنه عليه السلام كان يشاهد ويعرف في الغيبة الصغرى بشخصه لكثير من خواص شيعته المؤمنين ليتعرفوا على وجوده بعد ولادته ويثبت ذلك عندهم، كما يعرفوا أيضاً ما منحه الله به من كرامات ومعجزات تدلّ على إمامته من الله العليم الخبير، والتي يعجز غيره عن الإتيان بمثلها وليسمعوا النص من أبيه الحسن العسكري عليه السلام على إمامته من بعده حتى تكون إمامته عليه السلام ثابتة عندهم، وعند غيرهم بسبب نقلهم وهم الثقات النص، والمعجز الذين شاهدوها وسمعوها بأنفسهم، أما في الغيبة الكبرى فهو لا يشاهد لأحد من حيث يعرف إلا بعد مفارقتها لهم حفظاً له من أعدائه، ولعل لذلك وصفت الغيبة الأولى بالصغرى والثانية بالكبرى لأن الأولى قلّ فيها الاحتجاب وصغر أما الثانية فقد كثر الاحتجاب وكبر.

ثالثاً: اقتران الغيبة الصغرى بالسفارة الخاصة على أيدي السفراء الأربعة المعروفين بأعيانهم وأشخاصهم والتي قد انتهت بوفاة السفير الرابع، وأما الكبرى فقد انقطعت فيها السفارة الخاصة وصارت عامة لanas موصوفين بالاجتهاد والعدالة وهم كثيرون وغير منقطعين في كل عصر وجيل ما دامت الغيبة الكبرى سارية المفعول، والتي لا تنتهي، إلا بيوم الظهور الموعود، وعلى هذا فالغيبتان متصلتان لا يفصل بينهما ظهور.

هذا وقد كانت الغيبة الصغرى كالتمهيد الذهني لوجود الغيبة الكبرى في الناس، إذ لو بدا الإمام المهدي بالغيبة المطلقة فجأة، وبدون ظهور جزئي وإرهاص لما أمكن إثبات وجوده عليه السلام في التاريخ، وإثبات إمامته بالدليل، وتنقطع بذلك حجة الله على عباده، وحاشا لله أن يقطع حجته وهو القائل: ﴿قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَيْتُكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الأنعام/ ١٤٩].

وكلاء الإمام عليه السلام في الغيبة الصغرى

وإليك الآن ذكر وكلائه وسفرائه الخاصين في الغيبة الصغرى الذين كانوا يتشرفون بخدمته مباشرة، وتخرج التوقيعات لشيعته بواسطتهم وهم أربعة الأول عثمان بن سعيد العمري المعروف بالسَّمَان لأنه كان يبيع السَّمَن، وكان وكيلاً عن الإمامين عليّ الهادي ثم ابنه الحسن العسكري عليه السلام، ثم قام بأمر صاحب الزمان وكانت توقيعاته وجوابات المسائل تخرج على يديه، فلما مضى لسبيله قام مقامه في جميع ذلك ابنه محمد بن عثمان المعروف بالخلاني لأنه كان يبيع الخل فلما مضى لسبيله قام بذلك أبو القاسم الحسين بن روح النوبختي، فلما مضى لسبيله قام مقامه أبو الحسن علي بن محمد السمرى، وهؤلاء السفراء الأربعة كلهم ماتوا في بغداد ودفنوا فيها وقبورهم مشيدة ومعروفة والجدير بالذكر الذي يلزم الفات النظر إليه هو أنه لم يقم أحد بالسفارة والنيابة إلا بنص عليه من قبل الإمام صاحب الزمان عليه السلام وتصريح من صاحبه السفير المتقدم عليه، وما كانت الشيعة تقبل قولهم وادّعاءهم الوكالة عن الإمام إلا بعد ظهور آية ومعجزة على يد كل واحد منهم تدل على صدقه في ادعاء الوكالة ولما حان رحيل أبي الحسن علي بن محمد السمرى وهو السفير الرابع عن الدنيا وقرب أجله قيل له: إلى من توصي حتى يقوم مقامك من بعدك؟ فأخرج إليهم كتاباً بتوقيع المهدي عليه السلام وبخط يده الشريفة يقول فيه:

بسم الله الرحمن الرحيم

يا علي بن محمد السمرى أعظم الله أجر إخوانك فيك فإنك ميّت ما بينك وبين ستة أيام فاجمع أمرك ولا توصي إلى أحد فيقوم مقامك بعد وفاتك فقد وقعت الغيبة التامة، فلا ظهور إلا بعد إذن الله تعالى ذكره وذلك بعد طول الأمد، وقسوة القلوب، وامتلاء الأرض جوراً، وسيأتي من شيعتي من يدعي المشاهدة، ألا فمن ادّعى المشاهدة قبل خروج السفيناني والصيحة فهو كذاب

مفتر، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، فكان كما أخبر قبض علي بن محمد بعد ستة أيام.

وهؤلاء السفراء^(١) الأربعة هم وكلاؤه الخواص، وكان له عليه السلام وكلاء آخرون في بغداد والكوفة والأحواز وهمدان وقم والري واذربيجان ونيشابور وغيرها من البلدان يناهز عددهم المائة، وترد إليهم التوقيعات من الإمام عليه السلام ويحملون الأموال من الحقوق إليه، ولكنهم لا يصلون بخدمته مباشرة بل بواسطة بينهم وبينه أحد السفراء الأربعة.

وكلاؤه في الغيبة الكبرى

وانتهت الغيبة الأولى الموصوفة بالصغرى وانقطعت فيها النيابة الخاصة بوفاة علي بن محمد السمري وذلك في النصف من شهر شعبان سنة ثلاثمائة وتسع وعشرين من الهجرة، ووقعت الغيبة الكبرى التي لا يعلم أمدّها إلا الله وصارت النيابة فيها عامة لمجتهد العصر وفقهائه ولكن تحت شرائط وقيود كما هو مقرر تفصيلاً في محله من الكتب الفقهية الاستدلالية، ومن الروايات الدالة على ذلك ما رواه الطبرسي في (الاحتجاج) ج ٢ ص ٣٦٢ عن الحسن العسكري عن جده الإمام الصادق عليه السلام أنه قال في حديث طويل: فأما من كان من الفقهاء صائناً لنفسه، حافظاً لدينه، مخالفاً لهواه، مطيعاً لأمر مولاه فللعوام أن يقلدوه، وذلك لا يكون إلا، بعض فقهاء الشيعة لا جميعهم... الخ.

وروى الكشي أنه ورد توقيع على القاسم بن العلي وفيه: أنه لا عذر لأحد من موالينا في التشكيك فيما يرويه عنا ثقاتنا قد علموا أنا نفاوضهم سراً ونحمله إليهم... الخ. راجع كتاب (المهدي) للسيد صدر الدين الصدر ص ١٨٢.

(١) راجع ترجمة هؤلاء السفراء في (البحار) ج ٥١ ص ٣٤٣ - ص ٣٦٦ وراجع باب - ما ظهر من معجزات الإمام (ع) ص ٢٩٣ - ص ٣٤٣.

وروى الصدوق في كتابه (إكمال الدين) ص ٤٥١ ، الشيخ الطوسي في كتابه (الغيبة) والطبرسي في (الاحتجاج) ج ٢ ص ٢٨٣ إن الإمام المهدي عليه السلام قال في جواب مسائل سئل عنها: وأما الحوادث الواقعة فارجعوا فيها إلى رواة حديثنا فإنهم حجة الله عليكم وأنا حجة الله عليهم إلى غير ذلك من الأخبار الكثيرة والغرض منها أنه عليه السلام لم يترك المسلمين ولا سيما الشيعة سدى من غير معاذ وملاذ ومرجع ومفزع بل جعل العلماء، ورواة الحديث الثقات قائمين مقامه نيابة عنه في غيبته إلى أن يأذن الله له بالظهور والخلاصة أن الحجة لله على الناس قائمة دائمة ﴿قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَلِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَيْتُكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الأنعام/١٤٩].

غيبة الإمام المهدي عليه السلام في كفيته وأسابها

يا غائباً لم تغب عنا رعايته ولا يزال بعين اللطف يرعانا
بظله وهو محجوب منافع مثل الشمس إذا ظللتها السحب تغشانا
ألا ترانا وأعدانا تعاهدنا بالظلم مصبحنا فيه وممسانا
دين أبوك رسول الله شيدَه هد العدى منه لما غبت أركانا
إليك نشكوا ويشكو الدين حرّ جويّ فأسمع لنا يا إمام العصر شكوانا^(١)

الواقع أن كيفية غيبة الإمام المهدي عليه السلام لم يرد فيها نص صريح صحيح في أي مكان وقعت وفي أي زاوية من زوايا داره غاب صعد السطح أو نزل السرداب، أخفى نفسه فيها أو خرج من الباب كل ذلك لم يرد فيه نص صريح وصحيح يعتمد عليه .

نعم الذي ورد في كيفية غيبته وأسابها هو أن خلفاء بني العباس ومن كان قبلهم من بني أمية والمعاصرين لهم كانوا يسمعون الأحاديث والروايات

(١) الأبيات من قصيدة عصماء لشاعر أهل البيت (ع) السيد صالح القزويني .

والأقوال المتواترة عن النبي الصادق الأمين ﷺ وأهل بيته الصادقين ﷺ وأصحابه الكرام لا من أن الإمام المهدي الذي هو الثاني عشر من أئمة الهدى من آل محمد، ومن العترة الطاهرة من أهل البيت، ومن ذي القربى من الذرية النبوية الخالدة، والحادي عشر من أولاد علي وفاطمة ومن أولاد السبطين الحسن والحسين^(١) والتاسع من أولاد الحسين والسادس من ولد الصادق، والخامس من ولد الكاظم، الرابع من ولد الرضا، وبالأخير هو ابن الإمام الحسن العسكري ﷺ فهذا الإمام المهدي هو الذي يقوم بالسيف، ويزيل الممالك كلها ويقهر كل سلطان، ويملك الدنيا بأسرها، ويبسط العدل فيها ويميت الجور، فكان بنو العباس يتحدثون بتلك الأحاديث والروايات^(٢) ويحدثون بذلك أولادهم، ويحذر السابق منهم اللاحق من سطوة هذا الإمام خوفاً على إزالة ملكهم على يده ولذلك تتبعوا أولاً آباءه الطاهرين بالقتل والسم لأنهم على الحق والحق معهم ﴿وَكَثُرُهمْ لِلْحَقِّ كَرِهُون﴾ [المؤمنون/ ٧٠].

واشتد الضغط عليهم خصوصاً أيام جديه الجواد والهادي ﷺ فقتلوا الإمام الجواد بالسم وهو ابن خمس وعشرين سنة، وقتلوا الإمام الهادي بالسم وهو ابن أقل من أربعين سنة، وكان قد عاصر أيام إمامته ستة من خلفاء بني

(١) كون الإمام المهدي من أولاد الحسن(ع) ذلك هو أن أحد أجداده الكرام الإمام محمد الباقر(ع) وهو ابن علي بن الحسين(ع) وأمه فاطمة بنت الحسن(ع) وهو أول مولود اجتمعت فيه ولادة السبطين الحسن والحسين(ع) فذريته كلها حسينية وحسنية، نسب كأن عليه من شمس الضحى نوراً ومن فلق الصباح عموداً.

(٢) راجع الأحاديث والروايات التي تعرف الإمام المهدي(ع) بتلك التعاريف وغيرها وتنص على غيبته وتبشر بظهوره وأنه يملأ الدنيا بأسرها قسطاً وعدلاً بعد ما ملئت ظلماً وجوراً، إلى غير ذلك مما يتعلق بشؤونه(ع) راجعها في كتاب (إكمال الدين) للصدوق من ص ٢٤٣ - ص ٢٦٧، و(البحار) للمجلسي ج ٥١ ص ٦٥ - ١٦٦، وكتاب (المهدي) للسيد صدر الدين من أوله إلى ص ١٤٨، وهذا الأخير لا ينقل إلا ما رواه أهل السنة في صحاحهم وسنتهم ومسانيدهم وسائر كتب الحديث لهم.

العباس وهم المعتصم بن الرشيد والواثق بن المعتصم، والمتوكل بن المعتصم، والمنتصر بن المتوكل والمستعين بن المعتصم، والمعتز بن المتوكل وانتقم الله من خمسة من هؤلاء فأهلكهم واحداً بعد آخر، وأخيراً دسّ إليه السم المعتز بن المتوكل وتوفي وهو ابن أقل من أربعين سنة وحينما جاء دور الإمام الحسن العسكري والد الإمام المهدي عاصر أيام إمامته ثلاثة من خلفاء بني العباس وهم المعتز بن المتوكل، والمهتدي بن الواثق بن المعتصم، والمعتمد بن المتوكل وهؤلاء الثلاثة كل منهم قد شددّ الضغط عليه بكل أنواعه من تفتيش داره، ومراقبة نسائه وجواريه، واعتقاله في السجن مرّة بعد أخرى، والعزم على اغتياله وقتله مراراً عديدة ولكن الله جلت قدرته ينجيه منهم بعنايته الخاصة به، وينتقم منهم واحداً بعد الآخر وما اعتبر اللاحق منهم بالسابق بل أصرّوا على الظلم والاعتداء فقد اعتقل المعتز الإمام عليه السلام ثم سلمه إلى سعيد الحاجب وأمره بأن يسيره إلى الكوفة ويغتاله هناك، وهذا ما أقلق شيعته، وكتب أبو هيثم بن سبانه وهو أحد أصحاب الإمام، كتب إليه كتاباً يقول فيه: جعلني الله فداك بلغنا خبر قد أقلقنا وأبلغ منا فكتب إليه عليه السلام: بعد ثلاث يأتيكم الفرّج فخلع المعتز في اليوم الثالث، نقله المجلسي في (البحار) ج ٥٠ ص ٢٥١ عن كتاب (الغيبة) للشيخ الطوسي ص ١٣٢ والمعتز هذا هو الذي دسّ السم لأبيه علي الهادي كما مرّ، ولما عزم على اغتيال الحسن العسكري سلط الله عليه من عزله فخلع ثم قتل وكانت خلافته كلها حوالى ثلاث سنين.

ولما قام بالأمر بعده المهتدي عزم أيضاً على قتل الإمام واغتياله، وأخذ في تهديده فانتقم الله منه على ما روى الكليني في (الكافي) كما في شرحه (الشافى) ج ٤ ص ٦٦٦، والمفيد في (الإرشاد) ص ٤٢٤، والطبرسي في (إعلام الورى) ص ٣٥٦، والمجلسي في (البحار) ج ٥٠ ص ٣٠٨ بأسانيدهم عن أحمد بن محمد قال: كتبت إلى أبي محمد الحسن العسكري حين أخذ المهتدي في

قتل الموالي وقلت : يا سيدي الحمد لله الذي شغله عنك فقد بلغني أنه يتهددك ويقول : والله لأجلينهم عن جديد الأرض (أي عن وجهها) فوقع أبو محمد بخطه : وذلك أقصر لعمره عد من يومك هذا خمسة أيام ويقتل في اليوم السادس بعد هوان واستخفاف يمرّ به فكان كما قال عليه السلام .

فقد هجم عليه الأتراك وقبضوا عليه وعصروا بطنه حتى مات وقتلوا قبله صالح بن وصيف وكان أعظم أمرائه ومحل اعتماده في مهماته ، وعلقوا رأسه على بابه استخفافاً به ثم قتلوه اقبح قتلة وكانت خلافته كلها سنة إلا خمسة عشر يوماً ، راجع (البحار) ج ٥٠ ص ٣٠٨ وكتاب (منن الرحمن) ج ٢ ص ١٠ .

ولما قام بالأمر بعده المعتمد شدد ضغطه عليه أيضاً وحبسه مراراً وأخيراً سلمه إلى تحرير (أي أستاذ حاذق ماهر مجرب ومتقن بصير) وكان يضيق عليه ويؤذيه فقالت له امرأته : اتق الله فأنك لا تدري من في منزلك؟

وذكرت له صلاحه وعبادته وقالت : إني أخاف عليك منه ، ولكنه ما ارتدع عن غيه) فقال :

والله لأرمينه بين السباع ثم استأذن في ذلك فأذن له فرمى به إليها فلم يشكوا في أكلها له ، فنظروا إلى الموضع ليعرفوا الحال فوجدوه عليه السلام قائماً يصلي وهي حوله فأمر بإخراجه إلى داره ، راجع (الكافي كما في شرحه الشافي) ج ٤ ص ٦٧٠ و(الإرشاد) للمفيد ص ٣٢٤ ، و(إعلام الوري) للطبرسي ص ٣٦٠ ، و(المناقب) لابن شهر آشوب ج ٤ ص ٤٣٠ وأضاف ابن شهر آشوب على ما مر بقوله : وروي أن يحيى بن قتيبة الأشعري أتاه بعد ثلاث مع الأستاذ (أي التحرير الذي سلم إليه الإمام) فوجداه يصلي والأسود حوله فدخل الأستاذ المخيل (وهو محل الأسود) فمزقوه وأكلوه ، وانصرف يحيى في قومه إلى المعتمد (وأخبره بالخبر) فدخل المعتمد على الإمام العسكري وتضرع إليه وسأله أن يدعوا له بالبقاء عشرين سنة في الخلافة ، فقال عليه السلام مخبراً له : مد الله

في عمره، فأجيب فكان كما أخبر وتوفي بعد عشرين سنة، راجع (البحار) ج ٥٠ ص ٣٠٩.

إخفاء حمل الإمام المهدي عليه السلام في بطن أمه كموسى بن عمران عليه السلام

ففي تلك الأيام العصبية، وذلك الضغط الشديد من وضع المراسد والعيون على الإمام الحسن العسكري عليه السلام وعلى داره ونسائه وجواريه حملت أم الإمام المهدي به، وشاء الله الذي هو على كل شيء قدير أن يخفي حمله في بطن أمه ويغيبه عن الأنظار حفظاً له من أعدائه وأعداء آبائه كما أخفى وغيب حمل موسى بن عمران - في بطن أمه - من قبل على فرعون طاغية زمانه وأعوانه.

وقد جاء في حديث عن الإمام الصادق عليه السلام حدث به جماعة من أصحابه قال فيه: أن الله تبارك وتعالى أدار للقائم منا ثلاثة أدوار لثلاثة من الرسل عليه السلام قدر مولده تقدير مولد موسى عليه السلام، وقدر غيبته تقدير غيبة عيسى عليه السلام، وقدر إبطاءه بتقدير إبطاء نوح عليه السلام، وجعل له من بعد ذلك عمر العبد الصالح - أعني الخضر عليه السلام - دليلاً على عمره، فقلنا: أكشف لنا يا بن رسول الله عن وجوه هذه المعاني؟

قال عليه السلام: أما مولد موسى عليه السلام فإن فرعون لما وقف على أن زوال ملكه على يده أمر بإحضار الكهنة فدلوه على نسبه وأنه سيكون من بني إسرائيل ولم يزل يأمر أصحابه بشق بطون الحوامل من نساء بني إسرائيل حتى قتل في طلبه نيفاً وعشرين ألف مولود وتعذر عليه الوصول إلى قتل موسى عليه السلام بحفظ الله تبارك وتعالى إياه وكذلك بنو أمية وبنو العباس لما وقفوا على أن زوال ملك الأمراء والجبابرة منهم على يد القائم منا ناصبونا العداوة ووضعوا سيوفهم في قتل آل الرسول ﷺ وإبادة نسله طمعاً منهم في الوصول إلى قتل القائم ويأبى الله عز وجل أن يكشف أمره لواحد من الظلمة إلا أن يتم نوره ولو كره

المشركون... الخ، راجع الحديث في كتاب (إكمال الدين) للصدوق من ص ٣٤٠ - ص ٣٤٤ ونقله عن (إكمال الدين)، وعن (الغيبة) للشيخ الطوسي المجلسي في (البحار) ج ٥١ ص ٢١٩ - ص ٢٢٣، ورواه أيضاً الطبرسي في (إعلام الوري) ص ٤٠٦ مختصراً.

نعم هكذا كانت قصة نبي الله موسى مع فرعون كقصة الإمام المهدي مع طواغيت زمانه، فكما أن الإمام المهدي بشر به جده رسول الله ﷺ أمته عن الله عز وجل في إزالة ممالك الظلم والجور على يده بعد ظهوره كذلك بشرت الرسل والأنبياء بموسى بن عمران عليه السلام وأنه من بني إسرائيل وأنه يكون زوال ملك فرعون زمانه على يده، ومن جملة من بشر بذلك من الرسل جده يوسف الصديق عليه السلام وغيره من أنبياء بني إسرائيل وعلمائهم واشتهرت تلك البشارة عند الإسرائيلين خاصة، وعند غيرهم من القبط وسائر الناس من الكهنة والأخبار وبلغت تلك البشارة فرعون نفسه أيضاً فكان يحاذر على زوال ملكه على يده أشد الحذر وإليك تلك القصة بنبئها في الكتاب العزيز.

نبأ موسى عليه السلام وفرعون في القرآن

قال عز من قائل في كتابه المجيد في سورة القصص ﴿نَتْلُو عَلَيْكَ مِنْ نَبَأِ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾.

الخطاب في هذه الآية الكريمة والآيات التي بعدها موجه إلى النبي ﷺ يقص عليه بعض أنباء موسى وفرعون لأجل قوم يؤمنون بآيات الله من أمته.

و(من) في الآية للتبويض، وقوله: (بالحق) متعلق بقوله: (نتلو) أي نتلو عليك تلاوة متلبسة بالحق فهو أي الحق من عندنا وبوحي منا من غير أن يداخل في إلقائه الشياطين وقوله: (لقوم يؤمنون) اللام فيه للتعليل وهو متعلق بقوله: (نتلو) أي نتلو عليك من نبئها لأجل قوم يؤمنون بآياتنا.

ومحصل المعنى نتلو عليك يا محمد بعض نبأ موسى وفرعون تلاوة بالحق لأجل أن يتدبره المؤمنون من أمتك حتى يعلموا ويتحقق عندهم أن الله الذي أنشأ موسى وحفظه لإحياء الحق وإنجاء بني إسرائيل، وإعزازهم بعد ذلتهم وإفناء فرعون وجنوده بيده حتى جعلهم أحاديثاً وأحلاماً هو الله الذي سيفعل بطغاة هذه الأمة مثل ما فعل بأولئك الطغاة، ويمن على المستضعفين المؤمنين من هذه الأمة بجعلهم أئمة وبجعلهم الوارثين المتمكنين، حذو ما صنع ببني إسرائيل.

ثم قال تعالى: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضِعُّ مِنْهُمُ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾.

المراد من علو فرعون في الأرض الكناية عن تجبره واستكباره بأرض مصر والشيع جمع شيعة وهي الفرقة التي يتابع بعضها بعضاً، والمراد أن فرعون جعل أهل مصر فرقاً وأشياءاً عديدة بإلقاء الاختلاف بينهم حتى لا تتفق كلمتهم فيثوروا عليه ويقلبوا عليه الأمور على ما هو من دأب الملوك — قديماً وحديثاً — في بسط القدرة وتقوية السلطة على الشعوب وهي السياسة المعروفة بـ (فرق تسد).

والطائفة التي استضعفها فرعون من بين تلك الطوائف هي طائفة بني إسرائيل وهم أولاد يعقوب عليه السلام وكانوا قد قطنوا بمصر منذ أحضر يوسف عليه السلام أباه وإخوانه وأشخصهم إلى هناك فسكنوها وتناسلوا بها حتى بلغوا الألوف. وكان فرعون وهو ملك مصر المعاصر لموسى عليه السلام يعاملهم معاملة الاسراء الأرقاء، ويزيد في تضعيفهم وإذلالهم بشتى الطرق حتى بلغ من استضعافه لهم أن أمر بذبح أبنائهم واستحياء النساء منهم أي إبقاء حياة النساء منهم بعدم قتلهن، وهدفه من ذلك من جهة إفناء رجالهم بقتل الأبناء، ومن جهة ثانية وهي الأهم في نظره القضاء على من يقضي عليه وعلى ملكه منهم وهو

موسى الموعود بإزالة ملكه، وهذا هو هدفه وهذه هي إرادته الأخيرة، والسبب في ذلك (أنه كان من المفسدين) في حين أن الله تعالى الذي أوجد الخليقة العامة لم يفرق في بسط وجودها بين شعب وشعب من الشعوب الإنسانية، بل جهز الكل بما يهديهم إلى حياة اجتماعية بالتمتع بمتع الحياة الأرضية وجعل لكل منهم ما يعادل قيمته في المجتمع، وما يساوي زنته في التعاون بلحاظ (قيمة كل امرئ ما يحسنه) وهذا هو الصلاح الذي يهدف به الصنع الإلهي وإيجاده، والتعدي عن ذلك بتحرير قوم واستعباد آخرين. وتمتع شعب بما لا يستحقون، وحرمان غيرهم لما يصلحون له هو الإفساد الذي يسوق الإنسانية إلى الإبادة والهلاك، وهو التعدي والإفساد الذي سلكه فرعون في مجتمعه.

وفي الآية الكريمة تصوير للظرف الذي حملت به أم موسى بموسى وولדתه به حيث أحدثت الأسباب المبيدة لرجال بني إسرائيل على العموم وللمصلح منهم بالخصوص من قبل الطاغية فرعون في تنفيذ، إرادته فيهم، ولكن الله يريد غير ما يريد فرعون، ويقدر غير ما يقدر، الطاغية.

والطغاة البغاة تخذعهم قوتهم وسطوتهم وحيلتهم فينسبون، إرادة الله وتقديره اللتين هما فوق كل إرادة وتقدير. ويهيمنان على كل اتجاه.

نعم يحسب الطغاة أنهم يختارون لأنفسهم ما يحبون، ويختارون لأعدائهم ما يشاؤون ويظنون أنهم على هذا وذاك قادرون والله يعلن هنا إرادته هو، ويكشف عن تقديره هو ويتحدى فرعون وهامان وجنودهما بأن احتياطهم وحذرهم لن يجديهم نفعاً لذا يقول تعالى في الآية التالية: ﴿وَتُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ (٥) وَنُكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَتُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ﴾.

المن لغة الثقل ومنه تسمية ما يوزن به منا، والمراد هنا اعطاؤهم من النعمة ما يثقلهم، ثم يفسر تلك النعمة الثقيلة بقوله: ﴿وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً﴾ وهو

عطف تفسير، ﴿وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾ لأرض فرعون، ﴿وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ أي نعطيهم مكاناً يملكونه ويستقرون فيه مع التمكين لهم الخ .

والمعنى أن الظرف كان ظرف علو فرعون وتفريقه بين الناس واستضعافه لبني إسرائيل استضعافاً يبيدهم ويفنيهم والحال إنا نريد أن ننعم على هؤلاء الذين استضعفوا من كل وجه نعمة تثقلهم وذلك بأن نجعلهم أئمة يقتدى بهم فيكونوا متبوعين بعد ما كانوا تابعين، ونجعلهم الوارثين لها بعد ما كانت بيد غيرهم ونمكن لهم في الأرض بأن نجعل لهم مكاناً يستقرون فيه ويملكونه، ونُري فرعون وهو ملك مصر، وهامان، وهو وزيره وجنودهما منهم أي من هؤلاء الذين استضعفوا ما كانوا يحذرون وهو أن يظهروا عليهم ويذهبوا بملكهم وطريقتهم التي سلكوها كما اعترفوا هم في موسى وأخيه لما أرسلنا إليهم بقولهم: ﴿يُرِيدَانِ أَنْ يُخْرِجَاكَ مِنْ أَرْضِكَ بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكَ الْمُتْلَى﴾ [طه/ ٦٣] .

والجدير بالذكر الذي يلزم الفات النظر إليه هو إن المراد من جعل بني إسرائيل أئمة هو جعل الصالح منهم للإمامة أئمة كموسى وأخيه ووصيه لا جميعهم والآية وإن كانت في الصالحين للإمامة من بني إسرائيل ولكنها جارية في الصالحين للإمامة من هذه الأمة أيضاً ومن هنا روى الصدوق في كتابه (معاني الأخبار) ص ٧٨ بسنده عن المفضل بن عمر أنه قال: سمعت أبا عبد الله (أي الصادق عليه السلام) يقول: إن رسول الله ﷺ نظر إلى علي والحسن والحسين عليهم السلام فبكى وقال: انتم المستضعفون بعدي قال المفضل: فقلت له ما معنى ذلك يا بن رسول الله؟ قال: معناه أنهم الأئمة بعدي، أن الله عز وجل يقول: ﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾ فهذه الآية جارية بنا إلى يوم القيامة .

فأم موسى حملت بموسى في مثل تلك الأوضاع القاسية التي أقامها

فرعون، وشاء الله تعالى أن يخفي حمله في بطن أمه حتى ساعة ولادته، وأخيراً ولد والخطر محقق به والموت يتلفت عليه والشفرة مشرعة على عنقه تهم أن تحز رأسه وهاهي أمه خائفة عليه أن يصل نبأه إلى الجلادين وهي عاجزة عن حمايته وعاجزة عن إخفائه وعن حجز صوته الفطري أن ينم عليه .

وهنا تتدخل يد القدرة الإلهية مرة أخرى فتتصل بالأم الوجلة القلقة المذعورة وتلقى في روعها كيف تعمل وتوحي إليها كيف تتصرف يقول تعالى في الآية التالية : ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفَتْ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكَ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ الإيحاء هو التكلم الخفي ويستعمل في القرآن في تكليمه بعض خلقه نحو الإلهام في القلب، أو نحو آخر كما في تكليمه الأنبياء والرسل، واليم البحر والنهر الكبير : وقوله تعالى : ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ﴾ فيه إيجاز وحذف والتقدير وحملت أم موسى به وولדתه والحال هذه الحال من الشدة والحدة وأوحينا إليها أن ارضعيه . . . الخ .

والمعنى قلنا بنوع من الإلهام لأم موسى لما وضعت : أن أرضعيه أولاً ما دمت لا تخافين عليه من قبل فرعون، فإذا خفت أن يطلع عليه آل فرعون فيأخذوه ويقتلوه كما هو الحال فألقيه في البحر وهو النيل على ما وردت به الرواية، ولا تخافي عليه القتل ولا تحزني بفقده ومفارقتة إياك، إنا رادّوه إليك بعد ذلك وجاعلوه من المرسلين فيكون رسولاً إلى آل فرعون وبني إسرائيل .

وامثلت أمر الله لها حيث أرضعته ثم وضعت في تابوت وأطبقته عليه وألقته في النيل، وشاءت يد القدرة المدبرة أن تتحدى فرعون وهامان وجنودهما في هذه المرة بطريقة سافرة مكشوفة، أنهم يتبعون الذكور من مواليد قوم موسى خوفاً على ملكهم وعروشهم وذواتهم ويبشون العيون والمراصد على بني إسرائيل كي لا يفلت منهم طفل واحد من الذكور وإذا بيد القدرة تلقى

بالطفل الذي على يديه هلاكهم أجمعين تلقى في أيديهم مجرداً من كل قوة ومن كل حيلة ومع ذلك تحفظه من كيدهم وتنجيه وهو في أيديهم من القتل، أما كيف كان ذلك فهذا ما تجيب عنه الآيات القرآنية التالية: ﴿فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ﴾ والمعنى فأصابه آل فرعون وأخذوه من اليم وكان غاية ذلك أن يكون لهم عدواً وسبب حزن ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ﴾ أي كانوا خاطئين في قتل الأبناء وترك موسى حيث أرادوا أن يقضوا على من سيقضي عليهم فعادوا يجتهدون في حفظه ويجدون في تربيته لأن يد القدرة الإلهية حمته بالمحبة التي ألقته في قلب فرعون نفسه وفي قلب آسية امرأته بالخصوص حتى عادت لا تملك نفسها دون أن تدفع عنه القتل وتضمه إليها كما قال تعالى فيما يمن به على موسى ﷺ: ﴿وَالْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي﴾ [طه/ ٣٩]، نعم كانت آسية هي السبب الظاهر في سلامته كما قال تعالى: ﴿وَقَالَتْ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ قُرْءُ عَيْنٍ لِي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ فشفاعة امرأة فرعون عندما جاءوا بموسى إلى فرعون سببها المحبة التي ألقاها الله في قلبها له لما رأت في وجهه من آثار الجلال وسيما الجذبة الإلهية وهي التي جعلت آسية تفرض على فرعون عدم قتله وتخاطبه بحجة أن يكون قرّة عين لي ولك، وقولها: ﴿عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا﴾ فيه دلالة على إنهما كانا فاقدين للابن، وقوله: ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ جملة حالية أي قالت ما قالت وشفعت له وصرفت عنه القتل والقوم لا يشعرون ماذا يفعلون وما هي حقيقة الحال وما عاقبته ثم يأتي الحديث القرآني عن شأن أمه الوالدة وقلبها الملهوف على ولدها يقول تعالى: ﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغًا إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَنْ رَبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ الظاهر أن المراد من قوله تعالى: ﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغًا﴾ أي فارغاً من الصبر حتى كادت أن تخبر بخبره ولكن الله جلت قدرته ربط على قلبها أي ثبته على الصبر حتى تصبر ولا

تجزع، ولتكون واثقة، بحفظ الله له، هذا هو الظاهر لنا من الآية الكريمة والله أعلم بمراده، وصبرت بالفعل على إبداء أمره ولكنها لم تسكت عن البحث عنه يقول تعالى: ﴿وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنْبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (١١) وَحَرَّمَنا عَلَيْهِ الْمَرَضِعَ مِنْ قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ﴾ ومعنى الآيتين أن أم موسى قالت لأختها اتبعي أثر موسى حتى ترين إلام يؤول أمره، فمضت لذلك فرأته عن بعد وقد أخذه خدم فرعون وهم لا يشعرون بأن أختها تقص أثره وتراقبه، هذا وقد حرم الله عليه المرضع قبل مجيئها تحريماً تكوينياً لا تشريعياً ومعناه أنه لا يقبل ثدي مرضعة ويمتنع من ارتضاعها وكأنه يريد الثدي الذي إرتضع منه حين ولادته وهو ثدي أمه التي ولدته، فلما رأت ذلك قالت لهم ﴿هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ﴾ وحينما سمعوا قولها استبشروا رجاء أن تصدق بقولها وينجو الطفل العزيز والمحبوب وهكذا كانت عودته لأمه الملهوفة عليه معافى في بدنه مرموقاً في مكانته يحميه فرعون نفسه وترعاه امرأته وتقر عين أمه به يقول تعالى: ﴿فَرَدَدْنَاهُ إِلَى أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِنَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

كيفية ولادة الإمام المهدي عليه السلام

هذا بعض نبأ موسى وفرعون في القرآن المجيد، أما نبأ حمل الإمام المهدي عليه السلام في بطن أمه وكيفية ولادته فقد جاءت به الروايات الكثيرة بأسانيدھا عن أئمة الهدى عليهم السلام مجملاً، وعن حضرت ولادته مفصلاً وهي حكيمة بنت الإمام الجواد عليه السلام وإليك حديثها من طريقين، الأول:

روى الصدوق في كتابه (إكمال الدين) ص ٤٠٠ بسنده عن موسى بن محمد بن القاسم بن حمزة بن الإمام موسى بن جعفر عليه السلام قال: حدثني حكيمة بنت الإمام محمد الجواد عليه السلام أنها قالت: بعث إلي أبو محمد الحسن

بن علي عليه السلام فقال: يا عمّة اجعلي إفطارك عندنا هذه الليلة فإنها ليلة النصف من شعبان فإن الله تبارك وتعالى سيظهر في هذه الليلة الحجة وهو حجته في أرضه، قالت: فقلت له: ومن أمه؟ قال لي: نرجس قلت له: جعلني الله فداك والله ما بها اثر، فقال: هو ما أقول لك، قالت: فجئت فلما سلمت وجلست وجاءت تنزع خفي وقالت لي يا سيدتي وسيدة أهلي كيف أمسيّتي قلت: بل أنت سيدتي وسيدة أهلي، قالت: فأنكرت قولي وقالت: ما هذا يا عمّة؟ قالت فقلت لها: يا بنية إنّ الله تعالى سيهب لك في ليلتك هذه غلاماً سيّداً في الدنيا والآخرة قالت فخجلت واستحييت فلما فرغت من صلاة العشاء الآخرة، أفطرت وأخذت مضجعي فلما أن كان في جوف الليل قمت إلى الصلاة ففرغت من صلاتي وهي نائمة ليس بها حادثة ثم جلستُ معقبة ثم اضطجعت ثم انتبهت فزعة، وهي راقدة ثم قامت فصلت ونامت.

قالت حكيمة: وخرجت اتفجر فإذا أنا بالفجر الأول كذب السرحان فدخلني الشك، فصاح بي أبو محمد عليه السلام من المجلس فقال لي: لا تعجلي يا عمّة فهناك الأمر قد قرب قالت: فجلست وقرأت (ألم السجدة ويس) فبينما أنا كذلك، إذ انتبهت نرجس فزعة فوثبت إليها فقلت: بسم الله عليك، ثم قلت لها: أتحسين شيئاً قالت: نعم يا عمّة، فقلت لها اجمعي نفسك واجمعي قلبك فهو ما قلت لك، قالت: فاخذتني فترة وأخذتها فترة فانتبهت بحس سيدي فكشفت الثوب عنها فإذا أنا به ساجداً يتلقى الأرض بمساجده فضمّمته عليه السلام وإذا أنا به نظيف متنظف فصاح لي أبو محمد عليه السلام هلمي إلي ابني يا عمّة فجئت به إليه فوضع يديه تحت آليته وظهره ووضع قدميه في صدره ثم أدلى لسانه في فيه وأمر يديه على عينيه وسمعه ومفاصله ثم قال: تكلم يا بني فقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأنّ محمداً رسول الله ﷺ ثم صلى على أمير المؤمنين وعلى الأئمة عليهم السلام إلى أن وقف على أبيه ثم أحجم.

ثم قال أبو محمد يا عمة اذهبي به إلى أمه ليسلم عليها وآتيني به فسلم عليها فرددته فوضعتة في المجلس فقال : يا عمة إذا كان يوم السابع فأتينا ، قالت حكيمة : فلما أصبحت جئت لأسلم على أبي محمد عليه السلام وكشفت الستر لأتفقده سيدي عليه السلام فلم أره فقلت جعلت فداك ما فعل سيدي فقال يا عمة استودعناه الذي استودعته أم موسى .

قالت حكيمة : فلما كان اليوم السابع جئت فسلمت وجلست فقال : إليّ ابني فجئت بسيدي عليه السلام وهو في الخرقه ففعل كفعله الأول ثم أدلى لسانه في فيه كأنما يغذيه لبناً وعسلاً ثم قال تكلم يا بني فقال : أشهد أن لا إله إلا الله وثني بالصلاة على محمد وعلى أمير المؤمنين وعلى الأئمة الطاهرين عليهم السلام حتى وقف على أبيه عليه السلام ثم تلى هذه الآية ﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ (٥) وَنُكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ﴾ ، قال الراوي وهو موسى بن محمد فسألت عقبة الخادم عن هذا فقال : صدقت حكيمة .

فهذا الطريق الأول من حديث حكيمة عن كيفية ولادة الإمام المهدي أما الطريق الثاني فقد رواه الصدوق في (إكمال الدين) ص ٤٠٢ بسنده عن محمد بن عبد الله المطهري قال : قصدت حكيمة بنت محمد عليه السلام بعد مضي أبي محمد عليه السلام أسألها عن الحجة وما قد اختلف فيه الناس من الحيرة التي فيها فقالت لي : اجلس فجلست ثم قالت لي : يا محمد إن الله تبارك وتعالى لا يخلي الأرض من حجة ناطقة أو صامتة ، ولم يجعلها في الأخوين بعد الحسن والحسين تفضيلاً للحسن والحسين وتنزيهاً لهما أن يكون في الأرض عديلهما ، إلا أن الله تبارك وتعالى خص ولد الحسين بالفضل على ولد الحسن كما خص ولد هارون على ولد موسى عليه السلام وإن كان موسى حجة على هارون والفضل لولده إلى يوم القيامة ، ولا بد للأمة من حيرة يرتاب فيها المبطلون ويخلص فيها

المحققون لئلا يكون للخلق على الله حجة، وإن الحيرة لا بد واقعة بعد مضي الحسن عليه السلام فقلت: يا مولاتي هل كان للحسن ولد؟ فابتسمت ثم قالت: إذا لم يكن للحسن عليه السلام عقب فمن الحجة من بعده؟ وقد أخبرتك أن الإمامة لا تكون لأخوين بعد الحسن والحسين عليهما السلام فقلت: يا سيدتي حدثيني بولادة مولاي وغيبته عليه السلام قالت: نعم، كانت لي جارية يقال لها نرجس فزارني بن أخي عليه السلام وأقبل يحد النظر إليها، فقلت له يا سيدي لعلك هويتها فأرسلها إليك؟

فقال: يا عمة ولكني أتعجب منها فقلت وما أعجبك؟ فقال عليه السلام: سيخرج منها ولد كريم على الله عز وجل الذي يملأ الله به الأرض عدلاً وقسطاً كما ملئت جوراً وظلماً، فقلت: فأرسلها إليك يا سيدي؟ فقال: استأذني في ذلك أبي قالت: فلبست ثيابي فأتيت منزل أبي الحسن عليه السلام فسلمت وجلست فبداني عليه السلام وقال: يا حكيمة ابعتي نرجس إلى ابني أبي محمد قالت: فقلت: يا سيدي على هذا قصدتك أن استأذنك في ذلك: فقال يا مباركة إن الله تبارك وتعالى أحب أن يشركك في الأجر ويجعل لك في الخير نصيباً قالت حكيمة: فلم ألبث أن رجعت إلى منزلي فزينتها ووهبتها لأبي محمد وجمعت بينه وبينها في منزلي فأقام عندي أياماً ثم مضى إلى والده ووجهت بها معه.

قالت حكيمة: فمضى أبو الحسن عليه السلام وجلس أبو محمد مكان والده وكنت أزوره كما كنت أزور والده فجاءتني نرجس يوماً تخلع خفي وقالت: يا مولاتي ناوليني خفك، فقلت بل أنت سيدتي ومولاتي والله لا دفعت إليك خفي لتخلعيه ولا خدمتيني بل أنا أخدمك على بصري فسمع أبو محمد عليه السلام ذلك فقال: جزاك الله خيراً يا عمة فجلست عنده إلى وقت غروب الشمس فصحت بالجارية وقلت ناوليني ثيابي لأنصرف فقال عليه السلام: يا عمتاه بيتي الليلة عندنا فإنه سيولد الليلة المولود الكريم على الله عز وجل الذي يحيي به الله الأرض بعد

موتها، فقلت ممّن يا سيدي ولست أرى بنرجس شيئاً من اثر الحمل؟ فقال: من نرجس لا من غيرها، قالت: فوثبت إلى نرجس فقلبتها ظهراً لبطن فلم أر بها أثراً من حبل فعدت إليه فأخبرته بما فعلت فأبتسم ثم قال لي: إذا كان وقت الفجر يظهر لك بها الحبل لأن مثلها مثل أم موسى لم يظهر بها الحبل ولم يعلم أحد إلى، وقت ولادتها، لأن فرعون كان يشق بطون الحبالى في طلب موسى وهذا نظير موسى.

قالت حكيمة فعدت إليها فأخبرتها بما قال وسألتها عن حالها فقالت: يا مولاتي ما أرى بي شيئاً من هذا قالت حكيمة: فلم أزل أرقبها إلى وقت طلوع الفجر وهي نائمة بين يدي، لا تقلب جنباً إلى جنب حتى إذا كان آخر الليل وقت الفجر وثبت فزعة فضممتها إلى صدري وسميت عليها فصاح إلي أبو محمد ﷺ وقال: أقرأي عليها ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ فأقبلت أقرأ عليها وقلت لها: ما حالك؟ قالت: ظهر بي الأمر الذي أخبرك به مولاي فأقبلت أقرأ عليها كما أمرني، فأجابني الجنين من بطنها يقرأ مثل ما أقرأ وسلم عليّ.

قالت حكيمة: ففزعت لما سمعت فصاح بي أبو محمد ﷺ: لا تعجبي من أمر الله تبارك وتعالى ينطقنا صغاراً بالحكمة ويجعلنا حجة في أرضه كباراً، فلم يستتم الكلام حتى غيّبت نرجس فلم أرها كأنه ضُرب بيني وبينها حجاب فعدوت نحو أبي محمد ﷺ وأنا صارخة فقال: ارجعي يا عمة فإنك ستجديها في مكانها.

قالت فرجعت فلم ألبث أن كشف الغطاء الذي بيني وبينها وإذا أنا بها وعليها من أثر النور ما غشي بصري وإذا بالصبي ﷺ ساجداً لوجهه جاثياً على ركبتيه رافعاً سبابته وهو يقول، أشهد أن لا إله إلا الله وأن جدي محمداً رسول الله وأن أبي أمير المؤمنين ثم عدّ إماماً إماماً إلى أن بلغ إلى نفسه.

ثم قال: اللهم أنجز لي ما وعدتني وأتمم لي أمري وثبت وطأتي وأملأ

الأرض بي عدلاً وقسطاً فصاح بي أبو محمد عليه السلام فقال : يا عمته هاتيه فتناوله وأتيت به نحوه فلما مثلته بين يدي أبيه وهو على يدي سلم على أبيه فتناوله الحسن عليه السلام مني والطير يرفرف على رأسه فصاح بطير منها فقال له : احمله واحفظه ورده إلينا في كل أربعين يوماً فتناوله الطير وطار به في جو السماء وأتبعه سائر الطير فسمعت أبا محمد عليه السلام يقول : أستودعك الذي أودعته أم موسى ، فبكت نرجس فقالت : اسكتي فإن الرضاع محرم عليه إلا من ثديك وسيعاد إليك كما رد موسى إلى أمه وذلك قول الله عز وجل : ﴿فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ﴾ قالت حكيمة : قلت : وما هذا الطير : قال : هذا روح الله الموكل بالأئمة عليهم السلام يوفقهم ويسددهم ويربهم بالعلم .

قالت حكيمة فلما كان بعد أربعين يوماً رد الغلام ، ووجه إلي ابن أخي عليه السلام فدعاني فدخلت عليه فإذا أنا بالصبي يتحرك بين يديه فقلت : سيدي هذا ابن سنتين فتبسم عليه السلام ثم قال : إن أولاد الأنبياء والأوصياء إذا كانوا أئمة ينشأون بخلاف ما ينشأ غيرهم ، وأن الصبي منا إذا كان أتى عليه شهر كان كمن أتى عليه سنة وأن الصبي منا يتكلم في بطن أمه يقرأ القرآن ويعبد ربه عز وجل عند الرضاع وتطيعه الملائكة وتنزل عليه صباحاً ومساءً .

قالت حكيمة فلم أزل أرى ذلك الصبي في كل أربعين يوماً إلى أن رايته رجلاً^(١) قبل مضي أبي محمد عليه السلام بأيام قلائل فلم أعرفه فقلت لأبي محمد عليه السلام من هذا الذي تأمرني أن أجلس بين يديه : فقال : ابن نرجس وهو خليفتي من بعدي وعن قليل تفقدوني فأسمعي له وأطيعي قالت حكيمة : فمضى أبو محمد عليه السلام بعد أيام قلائل (أي توفي) وافترق الناس كما ترى ووالله إني لأراه صباحاً ومساءً وأنه لينبئني عما تسألوني عنه فأخبركم ووالله إني لا أريد أن أسأله عن الشيء فيبين أنني به وأنه ليرد عليّ الأمر فيخرج إليّ منه جوابه من

(١) أي كأنه رجل ، وذلك باعتبار أنه كان ينمو سريعاً .

ساعته من غير مسألتي وقد أخبرني البارحة بمجيئك إليّ وأمرني أن أخبرك بالحق، قال محمد بن عبد الله: فوالله لقد أخبرتني حكيمة بأشياء لم يطلع عليها أحد إلا الله فعلمت أن ذلك صدق وعدل من الله تبارك وتعالى لأن الله قد أطلعهم على ما لم يطلع عليه أحداً من خلقه ونقل الحديثين عن الصدوق المجلسي في (البحار) ج ٥١ ص ٢، و ص ١١، كما نقل أحاديث آخر في باب ولادته عليه السلام عن مصادر عديدة من ص ٢ - ص ٢٨، فراجع كما روى جماعة من علماء السنة حديث ولادته عليه السلام ومنهم المحدث العارف محمد خواجه البخاري في كتابه (فصل الخطاب) على ما نقل عنه الشيخ سليمان الحنفي في كتابه (ينابيع المودة) ص ٣٨٧ قال بما نصه:

ويروى أن حكيمة بنت محمد الجواد كانت عمّة أبي محمد الحسن العسكري لا تحبه وتدعو له وتتضرع إلى الله تعالى أن ترى ولده، فلما كانت ليلة النصف من شعبان سنة خمس وخمسين ومائتين دخلت حكيمة عند الحسن فقال لها: يا عمّة كوني الليلة عندنا لأمر فأقامت، فلما كان وقت الفجر اضطربت نرجس فقامت إليها حكيمة فوضعت المولود المبارك فلما رآته حكيمة أتت به الحسن وهو مختون.

فأخذه ومسح بيده على ظهره وعينه وأدخل لسانه في فيه وأذن في أذنه اليمنى وأقام في الأخرى ثم قال: يا عمّة اذهبي به إلى أمه قالت حكيمة ثم جئت من بيتي إلى بيت أبي محمد الحسن فإذا المولود بين يديه في ثياب صفر وعليه من البهاء والنور، أخذ حبه مجامع قلبي فقلت: يا سيدي هل عندك من علم في هذا المولود المبارك فقال: يا عمّة هذا المنتظر الذي بُشرنا به فخررت ساجدة لله شكراً على ذلك، ثم كنت أتردد إلى الحسن فلا أرى المولود فقلت: يا مولاي ما فعل سيدنا المنتظر قال: استودعناه الله الذي استودعته أم موسى ابنها... الخ.

عود إلى كيفية غيبة الإمام المهدي عليه السلام

وبعد أن ولد الإمام المهدي عليه السلام كان أبوه الحسن العسكري عليه السلام يخفيه ويستر أمره عن كافة الناس إلا عن خواص شيعته الذين يثق بهم وبمحافظةهم على أسرار أهل البيت عليه السلام ، وكان المعتمد يلتمس أنواع الحيل في قتل الإمام العسكري حتى دس إليه السم ، فلما مرض وكلّ به عشرة من ثقاته بلزومه ليلاً ونهاراً ، وأمر المتطبين بالاختلاف إليه صباحاً ومساءً وأظهر أن الغرض من ذلك أن يتعاهدوا خدمة الإمام ولكن غرضه الحقيقي الإطلاع على ولده المهدي ، وما زال الأطباء يتعاهدونه وثقة المعتمد العشرة ملازمين له حتى حضرته الوفاة .

وحينما خرجوا من عنده آيسين من اطلاعهم على ولده قَبِضَ الله له رجلاً من شيعته الثقة فدخل عليه - ليعوده - وهو أبو سهل إسماعيل بن علي النوبختي على ما رواه عنه الشيخ الطوسي في كتابه (الغيبة) بسنده أنه قال : دخلت على أبي محمد الحسن بن علي في المروضة التي مات فيها وأنا عنده إذ قال لخادمه عقيد - وكان الخادم اسوداً نوبياً قد خدم من قبله علي بن محمد وهو ربي الحسن - فقال له : يا عقيد أغل لي ماءً بمصطكي فأغلى له ثم جاءت به صقيل الجارية أم الخلف عليه السلام ، فلما صار القدح في يديه هم بشربه جعلت يده ترتعد حتى ضرب القدح ثنايا الحسن فتركه من يده وقال لعقيد : أدخل البيت فأنك ترى صبياً ساجداً فاتني به ، قال أبو سهل : قال عقيد : فدخلت أتحرى فإذا أنا بصبي ساجد رافع سبابتيه نحو السماء فسلمت عليه فأوجز في صلاته فقلت : إن سيدي يأمرك بالخروج إليه إذ جاءت أمه صقيل فأخذت بيده وأخرجته إلى أبيه الحسن عليه السلام قال أبو سهل : فلما مثل الصبي بين يديه سلم وإذا هو دري اللون وفي شعر رأسه قطط مفلج الأسنان فلما رآه الحسن بكى وقال : يا سيد أهل بيته إسقني الماء فإني ذاهب إلى ربي وأخذ الصبي القدح المغلي بالمصطكي بيده ثم حرك شفّتيه

ثم سقاه فلما شرب قال: هيثوني للصلاة فطرح في حجره منديل فوضاه الصبي واحدة واحدة ومسح على رأسه وقدميه.

فقال أبو محمد عليه السلام: أبشر يا بني فأنت صاحب الزمان، وأنت المهدي، وأنت حجة الله على أرضه وأنت ولدي ووصيي وأنا ولدتك، وأنت محمد بن الحسن بن علي بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب: ولدك رسول الله ﷺ وأنت خاتم الأئمة الطاهرين، وبشرك رسول الله ﷺ وسماك وكناك بذلك عهد إلي أبي عن آبائك الطاهرين صلى الله على أهل البيت ربنا إنه حميد مجيد، ومات الحسن بن علي من وقته. ونقله عن الطوسي المجلسي في (البحار) ج ٥٢ ص ١٦.

وجاء في حديث طويل لأحمد بن عبيد الله بن خاقان وهو يومئذ عامل المعتمد على أهل قم أنه قال: ولما بلغ السلطان (أي المعتمد) وفاة الحسن بعث إلى داره من يفتشها ويفتش حجرها وختم على جميع ما فيها وطلبوا أثر ولده وجاءوا بنساء يعرفن الحبل فدخلن على جواريه فنظرن إليهن فذكر بعضهن أن هناك جارية بها حمل فأمر بها فجعلت في حجرة ووكل بها تحرير الخادم وأصحابه ونسوة معهم ثم أخذوا بعد ذلك في تهيئته وعطلت الأسواق وركب أبي وبني هاشم والقواد والكتاب وسائر الناس إلى جنازته فكانت سر من رأى يومئذ شبيهاً بالقيامة... الخ^(١).

(١) أحمد صاحب هذا الحديث هو عامل المعتمد على أهل قم وأبوه عبيد الله وزير المعتمد، وكانا من أنصب خلق الله وأشدّهم عداءً لأهل البيت (ع) وقد حدث أحمد بحديثه هذا أهل مجلسه بقم سنة ثمان وسبعين ومائتين (أي بعد وفاة الحسن العسكري بثمانية عشر سنة) ووصف في حديثه عظمة الإمام الحسن (ع) ورفيع مقامه عند المعتمد وعند أبيه وعند ولي العهد والقواد وبني هاشم وسائر الناس، ووصفه بما فيه من الصفات الجليلة واستعرض في حديثه أيضاً مرض الإمام ووفاته وتشيعه ودفنه ومراقبة المعتمد له أثناء ذلك كله وطلبه =

صلوة الإمام المهدي عليه السلام على أبيه

وهنا قبل أن يشيع الإمام ويدفن شاء الله أن يظهر الإمام المهدي لمن حضر تشييعه، ويصلي أمامهم على أبيه ليثبت وجوده عند العامة والخاصة كما جاء هذا في حديث أبي الأديان الذي رواه الصدوق في (إكمال الدين) ص ٤٤٣ بسنده، ونقله عنه المجلسي في (البحار) ج ٥٠ ص ٣٣٢، وج ٥٢ ص ٦٧.

قال أبو الأديان: كنت أخدم الحسن بن علي بن محمد عليه السلام وأحمل كتبه إلى الأمصار، فدخلت عليه في علة التي توفي فيها فكتب معي كتاباً وقال: إمض بها إلى المدائن فإنك ستغيب أربعة عشر يوماً وتدخل إلى سر من رأى يوم الخامس عشر وتسمع الواعية في داري وتجديني على المغتسل، قال أبو الأديان: قلت يا سيدي فإذا كان ذلك فمَنْ؟ قال مَنْ طالبك بجوابات كتبي فهو القائم من بعدي، فقلت: زدني، فقال من يصلي عليّ فهو القائم بعدي فقلت: زدني فقال: من أخبر بما في الهميان فهو القائم بعدي، ثم منعني هيبتة أن أسأله عما في الهميان.

وخرجت بالكتب إلى المدائن وأخذت جواباتها ودخلت سر من رأى يوم الخامس عشر كما قال لي عليه السلام وإذا أنا بالواعية في داره وإذا أنا به على المغتسل، وإذا بجعفر الكذاب أخيه بباب الدار والشيعة من حوله يعزونه ويهنتونه، فقلت في نفسي: إن يكن هذا الإمام فقد بطلت الإمامة لأنني أعرفه

= الحثيث لولده، وعدم عثوره عليه وقد روى لنا حديثه هذا كثير من علمائنا الأعلام بأسانيدهم منهم الصدوق في (إكمال الدين) ص ٣٨ - ٤٢، والكليني في (الكافي) ج ٤ ص ٦٥٦ - ص ٦٥٩، والمفيد في (الإرشاد) ص ٣١٨ - ص ٣٢٠، والطوسي في (الفهرس) والطبرسي في (إعلام الوري) ص ٣٥٧ - ٣٥٩، وأشار إليه النجاشي في (رجال) ص ٦٨ ونقله عن هذه المصادر المجلسي في (البحار) ج ٥٠ ص ٣٢٥ - ٣٣٠، كما نقله عن هذه المصادر أيضاً صدر الدين الصدر في كتابه (المهدي) ص ٤٩ وغيره الكثير.

يشرب النبيذ، ويقامر في الجوسق (أي في القصر)، ويلعب بالطنبور، فتقدمت وعزيت، وهنيت فلم يسألني عن شيء، ثم خرج عقيد فقال لجعفر، يا سيدي قد كفن أخوك فقم وصلّ عليه فدخل جعفر بن علي والشيعه من حوله يقدمهم السّمان فلما صرنا في الدار إذا نحن بالحسن بن علي عليه السلام على نعشه مكفناً فتقدم جعفر بن علي ليصلي على أخيه فلما همّ بالتكبير خرج صبي بوجهه سمرة بشعره قطط، بأسنانه تفليج فجذب برداء جعفر وقال: تأخر يا عم فأنا أحق بالصلاة على أبي، فتأخر جعفر وقد أربد وجهه (أي تغير) وأصفر وتقدم الصبي فصلى عليه ودفن إلى جانب قبر أبيه عليه السلام.

ثم قال يا بصري هات جوابات الكتب التي معك فدفعتها إليه، فقلت في نفسي: هذه بيتان، بقي الهميان، ثم خرجت إلى جعفر وهو يزفر، قال له حاجز الوشا: يا سيدي من الصبي - لنقيم عليه الحجة - فقال: والله ما رأيته قط ولا أعرفه.

فنحن جلوس إذ قدم من قم نفر فسألوا عن الحسن عليه السلام فعرفوا موته، فقالوا فمن نعزي؟ فأشار الناس إلى جعفر فسلموا عليه وعزوه وهناؤه وقالوا: معنا كتب ومال فتقول ممن الكتب وكم المال؟ فقام ينفض أثوابه ويقول: تريدون منا أن نعلم الغيب، قال: فخرج الخادم فقال: معكم كتب فلان وفلان وهميان فيه ألف دينار وعشرة دنائير منها مطلية (وفي نص مطلّسة والدينار المطلس الذي انمحي أثر نقشه)، فدفعوا الكتب والمال، وقالوا: الذي وجه بك لأجل ذلك هو الإمام، فدخل جعفر، على المعتمد وكشف ذلك له فوجه المعتمد خدمه فقبضوا على صقيل الجارية وطالبوها بالصبي، فأنكرته وادعت حملاً بها لتغطي على حال الصبي، فسلمت إلى ابن أبي الشوارب القاضي، وبغتهم موت عبيد الله بن خاقان فجأة، وخروج صاحب الزنج بالبصرة، فشغلوا بذلك عن الجارية فخرجت عن أيديهم والحمد لله رب العالمين لا شريك له.

ويؤيد حديث أبي الأديان في صلاة الإمام المهدي على أبيه عليه السلام ما رواه الشيخ الطوسي بسنده في كتاب (الغيبة)، ونقله عنه المجلسي في (البحار) ج ٥٢ ص ٥ عن أبي عبد الله محمد بن عبد ربه الأنصاري الهمداني، عن أحمد بن عبد الله الهاشمي العباسي أنه قال: حضرت دار أبي محمد الحسن بن علي عليه السلام بسر من رأى يوم توفي وأُخرجت جنازته ووُضعت ونحن تسعة وثلاثون رجلاً قعوداً ننظر حتى خرج علينا غلام عشاري (أي كآته ابن عشر سنين) حاف عليه رداء قد تقنع به فلما أن خرج قمنا هيبة له من غير أن نعرفه فتقدم وقام الناس فاصطفوا خلفه فصلى عليه ومشى فدخل بيتاً غير الذي خرج منه.

قال أبو عبد الله الهمداني فلقيت بالمرافة رجلاً من أهل تبريز يُعرف بإبراهيم بن محمد التبريزي فحدثني بمثل حديث الهاشمي لم يخرم (أي لم ينقص) منه شيء... الخ.

وقال أحمد بن عبيد الله بن خاقان في حديثه: فلما دفن الحسن العسكري عليه السلام وتفرق الناس اضطرب السلطان وأصحابه في طلب ولده وكثر التفتيش في المنازل والدور وتوقفوا عن قسمة ميراثه، ولم يزل الذين وكلوا بحفظ الجارية التي توهموا عليها الحبل (أي صقيل أم الخلف) ملازمين لها سنتين وأكثر حتى تبين لهم بطلان الحبل، فقسم ميراثه بين أمه وأخيه جعفر^(١) وادعت أمه (أي أم الحسن العسكري وهي المعروفة بالجدة) وصيته وثبت ذلك عند القاضي، والسلطان مع ذلك يطلب أثر ولده... الخ.

هذا ما ورد عندنا معشر الإمامية في كيفية غيبة الإمام المهدي عليه السلام فالله الذي حفظ موسى بن عمران في البحر والأمواج تقذفه يميناً وشمالاً وحفظه

(١) تقسيم الميراث هنا بين أمه وأخيه على ما عليه العامة، وأما عند الشيعة الإمامية فليس للأخ نصيب في الميراث مع وجود الأم.

وهو رضيع في بيت عدوه قادر على أن يحفظ الإمام من كيد أعدائه أينما كان في بيته أو خارج بيته، وأن الله تعالى شأنه الذي حفظ جده الأعظم ﷺ يوم فر من أعدائه إلى الغار وأخفى خبره عليهم وأنجاه بحوله، وقوته منهم لا يعجزه حفظ حفيد نبيه الإمام المهدي ﷺ وهو على كل شيء قدير وعلى كل يعد ابتداء غيبته ﷺ من يوم ولادته لا من يوم وفاة أبيه العسكري ﷺ بل يظهر مما ذكرناه أن ابتداء غيبته منذ حمله في بطن أمه . . .

السرداب والإمام المهدي ﷺ

وأما ما يوجد في بعض كتب العامة كـ(الصواعق المحرقة) لابن حجر ص ١٠٠ وغيره من أنّ الشيعة تقول: أن الإمام المهدي غاب في السرداب، وأنه هو صاحب السرداب، وأنهم ينتظرون خروجه منه^(١) واستشهد ابن حجر على ذلك بقول شاعرهم:

ما آن للسرداب أن يلد الذي كلمتموه بجهلكم ما أنا
فعلى عقولكم العفاء فإنكم ثلثتم العنقاء والغيلانا

فمنشأ ذلك ما يشاهدونه من زيارة الشيعة للإمام في ذلك الموضع الشريف وعلينا الآن أن نذكر السبب في ذلك فنقول: ورد عن بعض أئمة الهدى ﷺ وعن كثير من علمائنا الأعلام استحباب زيارة الإمام المهدي في هذا المكان المقدس بعد زيارة الإمامين علي الهادي والحسن العسكري ﷺ ولعل السر في ذلك هو أن الصحن الذي فيه حرم العسكريين، والصحن الذي خلف مرقدهما، والثالث الذي فيه السرداب محل دورهم وبيوتاتهم الشريفة وموضع سكناهم كما صرح بذلك كثير من أعلام المؤرخين ومنهم ثقة الإسلام

(١) نحن لا نقول بأن خروجه من السرداب بل ظهوره يكون بمكة كما هو متفق عليه عند الشيعة الإمامية ولكننا بلينا بقوم لا يفقهون وإنا لله وإنا إليه راجعون.

النوري، وحيث أن المهدي المنتظر لا محل له يُقصد كان الأنسب والأوفق أن يزار في بيته الذي كان يسكنه ولا سيما سرداب ذلك البيت الذي طالما كان يخلو فيه لعبادة ربه ويختفي فيه عن الأنظار في بعض الأحيان، بل وبيته يزار لأن زيارة بيوت الأحياء بعد هجرتهم منها من السنن الجارية بين الأحياء قال الشاعر (قيس بن الملوح):

أمر على الديار ديار ليلي أقبل ذا الجدار وذا الجدارا
وما حب الديار شغفن قلبي ولكن حب من سكن الديارا

فهذا هو السبب في زيارتنا السرداب سنة حسنة وعادة ودادية اتخذتها الشيعة شعاراً اتباعاً للنصوص الواردة ولنعم ما فعلوا إن بيوتاً مرت عليها عشرات السنين يعبد فيها الله ويذكر فيها اسمه وتقام فيها الصلوات آناء الليل وأطراف النهار وترتفع فيها الأصوات بقراءة القرآن لجديرة أن تعظم وتزار ويتذكر الزائر حين دخوله إليها سكانها الأطائب ويستفاد من بعض الأخبار أنه: من كانت له إلى الله حاجة فليفرغ بها إلى إمام زمانه.

واعتقادنا أن الإمام عليه السلام وإن كان غائباً عن الأبصار لا يعرفه أحد ولكنه يسمع الكلام ويرد الجواب يحضر المجالس ويصاحب المسافر والحاضر - وكل ذلك بإذن الله عز وجل - كما أنه يحضر موسم الحج في كل سنة ويرى الناس فيعرفهم ويرونه ولا يعرفونه كما جاء في حديث مسند عن عبيد الله بن زرارة قال: سمعت أبا عبد الله (أي الصادق عليه السلام) يقول: يفقد الناس إمامهم فيشهد الموسم، فيراهم ولا يرونه.

(إكمال الدين) ص ٤١٥، وفي حديث آخر عن عبد الله بن جعفر الحميري أنه قال: سمعت محمد بن عثمان العُمري (أي الخلاني) يقول: والله أن صاحب هذا الأمر يحضر الموسم كل سنة فيرى الناس فيعرفهم ويرونه ولا يعرفونه. (المصدر السابق)، ونقله عنه المجلسي في (البحار) ج ٥١ ص ٣٥٠.

وربما أتم حجه بزيارة جده رسول الله ﷺ وزيارة مراقد آبائه الطيبين ولا سيما في الأوقات الخاصة، فهو سلام الله عليه في الجماعة الإسلامية وبينها ولكنه لا يعرف بشخصه وعنوانه ولذا ورد في بعض الأخبار أنه ﷺ إذا ظهر ورآه الناس قالوا: أنا قد رأيناه قبل هذا، راجع كتاب (المهدي) للسيد صدر الدين الصدر ص ١٧٧ .

وأما قول ابن حجر: وأنهم ينتظرون خروجه منه، أي من السرداب فهو افتراء علينا إذ أنا لا نقول بأن خروجه من السرداب، ولا ننتظر خروجه من السرداب كما زعم بل ظهوره ﷺ إنما يكون بمكة كما جاء في عدة أحاديث ثابتة عن أئمة الهدى ﷺ وأن جبرئيل ينادي باسمه من السماء حيث يسمع الناس جميعاً في شرق الأرض وغربها ويفهم أهل كل لغة بلغتهم حتى لا يبقى راقد إلا قام ولا قائم إلا قعد، ولا قاعد إلا قام من ذلك الصوت الذي يعم أرجاء العالم بأسره^(١).

وقد جاء في قرننا هذا ما يؤكد صحة تلك الأخبار من أن جبرئيل ينادي باسمه ويسمع أهل كل لغة بلغتهم، وهو ما اخترعه علماء الشرق والغرب من الأجهزة الحديثة التي توصل صوت المتكلم أين ما كان مع صورته إلى أنحاء العالم وبعض تلك الأجهزة تترجم كلامه إلى لغات العالم على اختلافها.

وقد جاء في حديث عن أبي عبد الله الصادق ﷺ يقول فيه: إن المؤمن في زمان القائم وهو في المشرق ليرى أخاه الذي في المغرب، وكذلك الذي في المغرب يرى أخاه الذي في المشرق^(٢) ومصدق ذلك كله قول الله عز وجل في سورة فصلت: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ

(١) راجع (البحار) ج ٥٢ باب يوم خروجه وما يحدث عنده ص ٢٧٩ - ص ٣٠٨ .

(٢) المصدر السابق ص ٣٩١ .

أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾ أَلَا إِنَّهُمْ فِي مَرِيعَةٍ مِّن لِّقَاءِ رَبِّهِمْ أَلَّا يَنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌ ﴿٥٤﴾ [فصلت / ٥٣ - ٥٤].

وأنه ﷺ ليرعى شيعته خاصة وينظر إليهم بعين لطفه ولنعم ما قال السيد صالح القزويني مخاطباً له :

يا غائباً لم تغب عنا رعايته ولا يزال بعين اللطف يرعانا بظله وهو محجوب منافع مثل الشمس إذ ظللتها السحب تغشانا

شبه الإمام المهدي ﷺ بالشمس إذا سترتها السحب

شبه هذا الأديب منافعنا بوجود الإمام مع غيبته بمنافع الشمس إذا حجبتها السحب عن الأبصار وهو من الطف أنواع التشبيه وأجمله، لأن الشمس لها فوائد وآثار عظيمة تترتب على إشراقها وكونها غير مستورة بالسحاب ولها فوائد أيضاً وآثار عظيمة تترتب على نفس وجودها وكونها فوق الأرض وأن سترها السحاب غاية الأمر أن الانتفاع بها حالة ظهورها وإشراقها أتم وأكمل من حالة احتجابها واستتارها بالسحاب، وكذلك الإمام في حالة ظهوره وتصرفه وبسط يده أكثر منافعاً من كونه غائباً محتجباً، ولكن الحكمة الإلهية لما اقتضت احتجابه وغيبته كما اقتضت احتجاب الشمس بالسحب أحياناً فهل تنتفي الفوائد المترتبة على وجوده؟ كلا وألف كلا، كيف وأن وجوده ﷺ ووجود آبائه من قبله كوجود جدّهم رسول الله ﷺ في الأمان لهذا الخلق وعدم نزول العذاب عليه قال تعالى: ﴿وَمَا كَانُوا لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانُوا لِيُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [الأنفال / ٣٣].

راجع كتابنا (قبس من القرآن في صفات الرسول الأعظم ﷺ في تعليقنا على هذه الآية الكريمة من ص ٢٨١ - ص ٢٩٧، تحت هذه العناوين التالية : (الأمان في الدنيا من العذاب العام لهذه الأمة)، (الأمان الأول للأمة النبي ﷺ

وأهل بيته)، (طرق أحاديث الآمان)، ١ - (طريق سلمة بن الأكوع)، ٢ - (طريق أنس بن مالك)، ٣ - (طريق عبد الله بن عباس)، ٤ - (طريق جابر بن عبد الله، وأبي موسى الأشعري، وابن عباس)، ٥ - (طريق محمد بن المنكدر عن أبيه)، ٦ - (طريق أبي سعيد الخدري، وابن عباس)، ٧ - (طريق علي أمير المؤمنين عليه السلام)، (دلالة هذه السنن)، (الآمان الثاني للأمة الاستغفار).

وأحاديث الآمان بكل طرقها، والتي رواها جل علماء المسلمين من السنة والشيعه تنص على أن النجوم أمان لأهل السماء، وأهل البيت أمان لأهل الأرض، وللأمة... الخ.

قال أحمد بن حنبل معلقاً على بعض تلك الأحاديث: إن الله خلق الأرض من أجل النبي ﷺ فجعل دوامها بدوام أهل بيته وعترته وقال ابن حجر في (الصواعق المحرقة): فإن الله لما خلق الدنيا بأسرها من أجل النبي ﷺ جعل دوامها بدوامه ودوام أهل بيته لأنهم يساوونه في أشياء مرّ عن الرازي بعضها، لأنه قال في حقهم: اللهم إنهم مني وأنا منهم، ولأنهم بضعة منه بواسطة أن فاطمة بضعته فأقيموا مقامه في الآمان... الخ، (راجع القبس ص ٢٨٦).

فوجود الإمام المهدي عليه السلام وهو خاتم الأئمة الطاهرين من أهل البيت عليهم السلام أمان لأهل الأرض، وأمان للأمة الإسلامية بالخصوص وقد قيل: لو خليت لقلبت، أي لو خليت الأرض من وجوده، لقلبت بالعذاب العام، وجاء أهلها ما كانوا يوعدون من قيام الساعة.

ونعود إلى تشبيه القزويني منافعنا بالإمام المهدي عليه السلام مع غيبته بمنافع الشمس إذا سترتها السحب عن الأبصار فنقول: هذا التشبيه لم يكن نابع من نسج الخيال والاستحسان وإنما أخذه من مضامين أحاديث ثابتة عن النبي ﷺ وأهل بيته الطاهرين وعن الإمام المهدي نفسه عليه السلام وإليك بعض ما ورد منها:

أحاديث منافعنا بالإمام المهدي عليه السلام أيام غيبته

١ - روى الصدوق في كتابه (إكمال الدين) ص ٢٤٦ بسنده، وعلي بن محمد الخزاز في كتابه (كفاية الأثر) في النصوص على الأئمة الإثني عشر ص ٧ ونقله عنهما المجلسي في (البحار) ج ٣٦ ص ٢٤٩ عن جابر الجعفي قال: سمعت جابر بن عبد الله الأنصاري يقول: لما أنزل الله عز وجل على نبيه محمد ﷺ: ﴿ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِيَ الْأَمْرِ مِنْكُمْ ﴾ [النساء / ٥٩].

قلت: يا رسول الله عرفنا الله ورسوله فمن أولوا الأمر منكم الذين قرن الله طاعتهم بطاعتك؟ فقال ﷺ: هم خلفائي يا جابر، وأئمة المسلمين من بعدي أولهم علي بن أبي طالب، ثم الحسن والحسين ثم علي بن الحسين ثم محمد بن علي المعروف في التوراة بالباقر وستدركه يا جابر فإذا لقيته فاقرأه مني السلام، ثم الصادق جعفر بن محمد ثم موسى بن جعفر ثم علي بن موسى ثم محمد بن علي ثم علي بن محمد ثم الحسن بن علي ثم سميرى وكنيى، حجة الله في أرضه وبقية في عبادته ابن الحسن بن علي ذلك الذي يفتح الله تعالى ذكره - على يديه مشارق الأرض ومغاربها ذلك الذي يغيب عن شيعته وأوليائه غيبة لا يثبت على القول بإمامته إلا من امتحن الله قلبه للإيمان.

قال جابر: فقلت له: يا رسول الله فهل يقع لشيعته الانتفاع به في غيبته فقال ﷺ أي والذي بعثني بالنبوة إنهم يستضيئون بنوره وينتفعون بولايته في غيبته كانتفاع الناس بالشمس وأن تجللها سحب... الخ.

ورواه أيضاً ابن شهر آشوب في كتاب (المناقب) ج ١ ص ٢٨٢، ورواه بعض علماء العامة ومنهم الشيخ سليمان الحنفي في كتابه (ينابيع المودة) ص ٤٩٤.

٢ - روى الحموي في كتابه (فرائد السمطين) ج ١ ص ٣٣ بسنده عن

سليمان بن مهران الأعمش ، عن الصادق جعفر بن محمد ، عن أبيه محمد بن علي ، عن أبيه علي بن الحسين عليه السلام أنه قال : نحن أئمة المسلمين ، وحجج الله على العالمين ، وسادة المؤمنين وقادة الغر المحجلين وموالي المؤمنين ، ونحن أمان أهل الأرض كما أن النجوم أمان لأهل السماء ، ونحن الذين بنا يمسك الله السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه ، وبنا يمسك الأرض أن تميد بأهلها ، وبنا ينزل الغيث ، وينشر الرحمة ويخرج بركات الأرض ، ولولا ما في الأرض منا لساخت بأهلها ثم قال :

ولم تخل الأرض - منذ خلق الله آدم - من حجة لله فيها ، ظاهر مشهور أو غائب مستور - ولا تخلوا إلى أن تقوم الساعة - من حجة لله فيها ولولا ذلك لم يعبد الله ، قال سليمان : فقلت للصادق عليه السلام فكيف ينتفع الناس بالحجة الغائب المستور؟ قال : كما ينتفعون بالشمس إذا سترها السحاب .

ونقله عن الحموي الشيخ سليمان الحنفي في (ينابيع المودة) ص ٢١ ، وهذا الحديث الشريف رواه علماؤنا كالصدوق في (إكمال الدين) ص ٢٠٠ وفي (الأمالي) ص ١١٢ ، والطبرسي في (الاحتجاج) ج ٢ ص ٤٨ ونقله عنهم المجلسي في (البحار) ج ٢٣ ص ٦ ، ونقله عن (الأمالي) ج ٥٢ ص ٩٢ .

٣ - روى الصدوق في (إكمال الدين) بسنده ص ٤٥١ - ص ٤٥٢ والطبرسي في (الاحتجاج) ج ٢ ص ٢٨١ - ص ٢٨٤ ، ونقله عنهما المجلسي في (البحار) ج ٥٢ ص ٩٣ عن الكليني عن إسحاق بن يعقوب أنه ورد عليه من الناحية المقدسة (أي ناحية الإمام المهدي عليه السلام) على يد محمد بن عثمان (أي الخلاني) في مسائل عديدة سأل عنها يقول عليه السلام فيما فيه محل الشاهد : وأما علة ما وقع من الغيبة فإن الله عز وجل يقول : ﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِن بُدِّلَ لَكُمْ تَسْوِكُمْ ﴾ [المائدة/ ١٠١] ، أنه لم يكن أحد من آبائي إلا وقعت في عنقه بيعة لطاغية زمانه ، وأني أخرج حين أخرج ولا بيعة لأحد من الطواغيت

في عنقي وأما وجه الانتفاع بي في غيبي فكالانتفاع بالشمس إذا غيَّبها عن
الأبصار السحاب، وإنني لأمان لأهل الأرض كما أن النجوم أمان لأهل السماء
فأغلقوا أبواب السؤال عما لا يعينكم ولا تتكلفوا على ما قد كفيتم، وأكثروا
الدعاء بتعجيل الفرج فإن ذلك فرجكم والسلام عليك يا إسحاق بن يعقوب
وعلى من اتبع الهدى.

الخاتمة

إلى هنا نختم الفصل والكتاب بأبيات جميلة، وآية كريمة سائلين الله تعالى أن يجعل خير أعمالنا خواتيمها وخير أيامنا يوم نلقاه إنه سميع مجيب، أما الأبيات فهي قصيدة في الإمام السجاد وأهل البيت عليهم السلام للشيخ إبراهيم بن يحيى العاملي على ما ذكره المقدم في كتابه (الإمام زين العابدين عليه السلام) ص ٣٢ قال:

ما غاب عن أفق الشريعة كوكبٌ	إلا وجاء بكوكب وقادٍ
أن المهيمن ليس يخلي أرضه	من حجة مسترٍ أو بادي
لولا إمام الحق ما بقي الوري	والجسم لا يبقى بغير فؤاد
كن كيف شئت فقد أصبحت هدايتي	بهدهم وبلغت كل مرادي
ما ضرني إن ضل عن طرق الهدى	غيري إذا كتب إليه رشادي
من صد عن عين الحياة ومات من	ظماً فلا سقيت عظام الصادق

وأما الآية الكريمة التي هي من غرر الآيات القرآنية، وهي التي تضرب، مثلاً واقعياً طبيعياً للحق والباطل للدعوة الباقية والدعوة الزائلة مع الريح، وللخير الهادي والشر المنتفخ، والمثل المضروب فيها مظهر لقوة الله الواحد القهار، ولتدبيره المقدر للأشياء كلها كلٌ بحسبه وكلٌ بمقدار طاقته ومقدار حاجته.

أن الماء لينزل من السماء مطراً فتسيل به الأودية وهي سفوح الجبال المنخفضة التي يتجمع فيها ماء المطر، وهو عند نزوله يتدفق بقوة يلّم في طريقه غثاء فيطفو على وجهه في صورة الزبد وهو خبث الغليان ومنه زبد القدر عند

غليانه ، وقد يحجب الزبد الماء في بعض الأحيان هذا الزبد راب نافش منتفخ ولكنه غشاء والماء من تحته سارب ساكن هادى لأنه الماء الذي جعل الله منه حياة كل شيء فهو الذي يحمل الخير والحياة ، كذلك يقع هذا الزبد في المعادن والفلزات عندما تذاب لتصاغ منه حلية كالذهب والفضة ، ومعادن أخر نافعة للحياة كالحديد والرصاص فأن الخبث يطفو وقد يحجب المعدن الأصيل ولكنه خبث ذاهب والمعدن هو الباقي في نقاء .

وذلك مثل الحق والباطل في هذه الحياة فالباطل يطفو ويعلو وينتفخ ويبدو رابياً طافياً ولكنه زبد أو خبث ما يلبث أن يذهب ، جفاء مطروحاً لا حقيقة له ولا تماسك فيه والحق يظل هادئاً ، ساكناً ، وربما يحسبه بعضهم أنه قد انزوى أو ضاع أو مات ولكنه هو الباقي في الأرض كالماء المحيي ، والمعدن النقي الذي ينفع الناس ، هذا مجمل ما تشير إليه الآية الكريمة التالية : ﴿ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلُ بَرْدٍ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ ﴾ (١) .

(١) [الرعد/ ١٨] راجع تفسيرها مفصلاً في (الميزان في تفسير القرآن) ج ١٢ ص ٣٦٦ ص ٣٧٤ .

فهرت المصادر

- ١ - القرآن المجيد
- ٢ - ابن أبي حاتم بالواسطة .
- ٣ - ابن مردويه ، بالواسطة .
- ٤ - ابن النديم ، بواسطة السيوطي وغيره .
- ٥ - أبو هريرة/ السيد عبد الحسين شرف الدين ، ط / دار التعارف - بيروت .
- ٦ - إثبات الهدى ، بالواسطة .
- ٧ - أجوبة المسائل الدينية/ لجنة الثقافة الدينية ، ط / الغري - النجف .
- ٨ - الاحتجاج/ الطبرسي ، ط / النعمانية - النجف .
- ٩ - إحقاق الحق/ القاضي المرعشي ، ط / طهران .
- ١٠ - الأربعون حديثاً/ الشيخ محمد تقي الطهراني ، ط / .
- ١١ - الأربعون حديثاً للشيخ البهائي ، ط / تبريز .
- ١٢ - أرجع المطالب للشيخ عبيد الله الحنفي ، ط / لاهور .
- ١٣ - الإرشاد/ الشيخ المفيد ، ط / الحيدرية - النجف .
- ١٤ - الاستيعاب لابن عبد البر المالكي ، ط / مصطفى محمد - مصر .
- ١٥ - الأسماء والصفات/ البيهقي ، بالواسطة .
- ١٦ - الإشاعة لأشراط الساعة/ السيد البوزنجي ، بالواسطة .
- ١٧ - الإصابة في تمييز الصحابة/ ابن حجر العسقلاني ، ط / مصطفى محمد - مصر .
- ١٨ - إكمال الدين/ الشيخ الصدوق ، ط / الحيدرية - النجف .

- ١٩ - إعلام الوري بأعلام الهدى / الطبرسي ، ط / دار التعارف - بيروت .
٢٠ - أعيان الشيعة / السيد محسن الأمين العاملي ، ط / دمشق .
٢١ - الأمالي / الشيخ الصدوق ، ط / الحكمة - قم .
٢٢ - الأمالي / الشيخ الطوسي ، ط / النعمان - النجف .
٢٣ - الإمام زين العابدين / السيد عبد الرزاق المقرم ، ط / الغري - النجف .
٢٤ - الإمام الصادق والمذاهب الأربعة / الشيخ أسد حيدر ، ط / النعمان - النجف .

- ٢٥ - آمان الأخطار / السيد ابن طاووس ، بالواسطة .
٢٦ - أنوار النعمانية / السيد نعمة الله الجزائري ، ط / تبريز .
٢٧ - الإيقاظ من الهجعة / الحر العاملي ، ط / العملية - قم .
٢٨ - أعلام النبي والأئمة / القطب الراوندي ، بالواسطة .

- ب -

- ١ - بحار الأنوار / المجلسي ، ط / الجديد - طهران .
٢ - البرهان في تفسير القرآن / السيد هاشم البحراني ، بالواسطة .
٣ - البيان في أخبار صاحب الزمان / الكنجي الشافعي ، بالواسطة .

- ت -

- ١ - تاريخ بغداد / الخطيب البغدادي ، بالواسطة .
٢ - تاريخ الغيبة الكبرى / السيد محمد الصدر ، ط / دار التعارف - بيروت .
٣ - مجمع البيان في تفسير القرآن / الطبرسي ، ط / العلمية - النجف .
٤ - التجريد الصريح لأحاديث الجامع الصحيح / السرجي الزبيدي ، ط / البابي الحلبي - مصر .

- ٥ - تحف العقول / ابن شعبة ، بالواسطة .
٦ - الترغيب والترهيب / المنذري ، بالواسطة .
٧ - تعليقات إحقاق الحق / السيد شهاب الدين المرعشي ، ط / طهران .

- ٨ - تفسير أبي اسحاق القزويني ، بالواسطة .
- ٩ - تفسير أبي عبيدة ، بالواسطة .
- ١٠ - تفسير أبي الفتوح الرازي ، بالواسطة .
- ١١ - تفسير الحافظ محمد بن مؤمن ، بالواسطة .
- ١٢ - التفسير الحديث / محمد عزة دروزة ، ط / البابي الحلبي - دار إحياء الكتب العربية .
- ١٣ - تفسير الخازن / علاء الدين ، بالواسطة .
- ١٤ - تفسير العياشي / العياشي ، ط / العلمية - قم .
- ١٥ - تفسير الجلالين / السيوطي ، المحلي ، ط / المعرفة - بيروت .
- ١٦ - تفسير علي بن جرب الطائي ، بالواسطة .
- ١٧ - تفسير فرات ابن إبراهيم ، بالواسطة .
- ١٨ - تفسير القرآن العظيم لابن كثير الدمشقي ، ط / الاستقامة - مصر .
- ١٩ - تفسير القمي / علي بن إبراهيم ، ط / النجف .
- ٢٠ - تفسير المراغي / أحمد مصطفى المراغي ، ط / البابي الحلبي - مصر .
- ٢١ - تفسير النعماني لمحمد بن إبراهيم ، ط / المعرفة - بيروت .
- ٢٢ - تلخيص المستدرک / الذهبي ، ط / الرياض .
- ٢٣ - التهذيب / الشيخ الطوسي ، بالواسطة .
- ٢٤ - التوحيد / الشيخ الصدوق ، ط / طهران .
- ٢٥ - تيسير الوصول / ابن الديبع الشيباني ، ط / نول كشور ، بالواسطة .

- ج -

- ١ - جامع البيان في تفسير القرآن / الطبري ، بالواسطة .
- ٢ - الجرح والتعديل / الدارقطني ، بالواسطة .
- ٣ - الجمع بين الصحيحين / الحميدي ، بالواسطة .
- ٤ - الجواهر في التفسير / الطنطاوي ، ط / البابي الحلبي - مصر .

-ح-

- ١ - حاشية تفسير العياشي / السيد هاشم المحلاني ، ط / العلمية - قم .
- ٢ - الحجة على الذهاب إلى تكفير أبي طالب (ع) / السيد فنخاز معد ، ط / النجف .

- ٣ - حق اليقين / السيد عبد الله شبر ، ط / الحيدرية - النجف .
- ٤ - حلية الأولياء / أبو نعيم ، بالواسطة .
- ٥ - حياة الحيوان للدميري ، ط / التحرير - القاهرة .

-خ-

- ١ - الخراج / القطب الراوندي ، بالواسطة .
- ٢ - الخصال / الشيخ الصدوق ، ط / طهران .
- ٣ - خلاصة نقض كتاب العثمانية / الجاحظ ، بالواسطة .

-د-

- ١ - الدر الثمين (مخطوط) بالواسطة .
- ٢ - الدر المنثور في التفسير / السيوطي ، ط / طهران .
- ٣ - الدرجات الرفيعة / السيد علي خان ، ط / الحيدرية - النجف .
- ٤ - الدلائل / البيهقي ، بالواسطة .
- ٥ - دلائل الإمامة / محمد بن جرير الطبري الإمامي ، ط / الحيدرية - النجف .
- ٦ - دلائل الصدق / محمد حسن المظفر ، ط / الحيدرية - النجف .

-ذ-

- ١ - ذم الدنيا / لابن أبي الدنيا ، بالواسطة .

-ر-

- ١ - رجال الكشي / الكشي ، ط / الأعلمي - كربلاء .
- ٢ - رجال النجاشي / النجاشي ، بالواسطة .
- ٣ - الرجعة / الشيخ أحمد الاحسائي ، كربلاء ،

- ٤ - رسالة الشيخ حسن بن سليمان ، بالواسطة .
 - ٥ - رسالة المحكم والمتشابه / السيد المرتضى ، بالواسطة .
 - ٦ - روضة الكافي / الكليني ، مطبعة النجف .
 - ٧ - روضة الواعظين / الفتال النيسابوري ، ط / الحيدرية - النجف .
- ز -

- ١ - زوائد المسند / عبدالله بن أحمد بن حنبل ، بالواسطة .
- س -

- ١ - السدي في سننه / السدي ، بالواسطة .
 - ٢ - سعد السعود / السيد بن طاووس ، بالواسطة .
 - ٣ - سعيد بن منصور في سننه / سعيد بن منصور ، بالواسطة .
 - ٤ - سنن البيهقي / البيهقي ، بالواسطة .
- ش -

- ١ - الشافي في شرح الكافي / الشيخ عبد الحسين المظفر ، ط / النعمان - النجف .
 - ٢ - شعب الإيمان / البيهقي ، بالواسطة .
 - ٣ - شرح المقاصد / التفتازاني ، بالواسطة .
 - ٤ - شرح نهج البلاغة / ابن أبي الحديد ، ط / البابي الحلبي - مصر .
 - ٥ - الشفاء / الإمام أبو ربيع ، بالواسطة .
 - ٦ - شواهد التنزيل / الحاكم الحسكاني ، ط / الأعلمي - بيروت .
 - ٧ - الشيعة والرجعة / الشيخ الطبسي ، ط / الحيدرية - النجف .
- ص -

- ١ - الصافي في التفسير / المولى محسن الفيض ، ط / طهران .
- ٢ - صحاح الجوهر في اللغة / الجوهرى ، بالواسطة .
- ٣ - صحيح أبي داود / أبو داود ، بالواسطة .

- ٤ - صحيح ابن ماجه/ ابن ماجه ، بالواسطه .
 - ٥ - صحيح البخاري/ البخاري ، بالواسطه .
 - ٦ - صحيح الترمذي/ الترمذي ، بالواسطه .
 - ٧ - صحيح مسلم/ مسلم ، بالواسطه .
 - ٨ - صحيح النسائي/ النسائي ، بالواسطه .
 - ٩ - الصراط المستقيم/ زين الدين البياضي العاملي ، ط / الحيدرية - النجف .
 - ١٠ - الصفواني في كتابه/ الصفواني ، بالواسطه .
 - ١١ - الصواعق المحرقة/ ابن حجر العسقلاني ، ط / الميمنية - مصر .
- ض -

١ - ضياء العالمين/ التتوني ، بالواسطه .

- ط -

١ - الطرائف/ السيد ابن طاووس ، بالواسطه .

- ع -

١ - عبد الرزاق في سننه/ عبد الرزاق ، بالواسطه .

٢ - العرائس في قصص الأنبياء/ الثعلبي ، ط / عاطف - مصر .

٣ - عدة الداعي ، بالواسطه ،

٤ - العظمة/ ابن الشيخ ، بالواسطه .

٥ - عقاب الأعمال/ الشيخ الصدوق ، ط / الحيدرية - النجف .

٦ - العقائد/ الشيخ الصدوق ، بالواسطه .

٧ - العقد الفريد/ ابن عبد ربه الأندلسي ، الكتاب العربي - بيروت .

٨ - علل الشرائع/ الصدوق ، ط / الحيدرية - النجف .

٩ - علي والخلفاء/ الشيخ نجم الدين العسكري ، ط / ١ ، النعمان - النجف .

١٠ - علي والوصية/ الشيخ نجم الدين العسكري ، الآداب - النجف .

١١ - العمدة لابن البطريق ، بالواسطه .

- غ -

- ١ - غاية المرام / السيد هاشم البحراني ، بالواسطة .
- ٢ - الغدير / الشيخ الأميني ، بالواسطة .
- ٣ - الغيبة / الشيخ الطوسي ، بالواسطة .
- ٤ - الغيبة / النعماني ، بالواسطة .

- ف -

- ١ - الفريابي في سننه / ، بالواسطة .
- ٢ - الفتح المبين في كشف التعيين / الحكيم الترمذي ، بالواسطة .
- ٣ - فصل الخطاب / محمد خواجه البخاري ، بالواسطة .
- ٤ - الفصول المختارة / الشيخ المفيد ، بالواسطة .
- ٥ - الفصول المهمة / ابن الصباغ المالكي ، التجارية - النجف .
- ٦ - فلسفة الشهادة / الشيخ علي محمد البهادلي ، النعمان - النجف .
- ٧ - فرائد السمطين / الحموي ، ط / النجف .
- ٨ - في ظلال القرآن / السيد قطب ، إحياء الكتب .

- ق -

- ١ - القاموس المحيط لمجد الدين الفيروزآبادي ، ط / مصر .
- ٢ - قيس من القرآن في صفات الرسول الأعظم (ص) / عبد اللطيف البغدادي ، ط / الآداب - النجف .
- ٣ - قصص الأنبياء / الراوندي ، بالواسطة .

- ك -

- ١ - الكنى والألقاب / الشيخ عباس القمي ، الحيدرية - النجف .
- ٢ - كتاب المشيخة للحسن بن محبوب ، بالواسطة .
- ٣ - الكشاف في التفسير للزمخشري ، ط / دار الكتاب العربي - بيروت .
- ٤ - الكافي للكليني الأصول والفروع ، بالواسطة .

- ٥ - كلمة حول الرؤية للسيد عبد الحسين شرف الدين ، دار العرفان - صيدا .
- ٦ - الكشف والبيان في التفسير للثعلبي ، ط / العلمية - قم .
- ٧ - كشف الغمة ، علي بن عيسى الأربلي ، ط / تبريز .
- ٨ - الكفاية في النصوص على الأئمة ، علي بن محمد الخزاز ، بالواسطة .
- ٩ - كشف المحبة لابن طاووس ، بالواسطة .
- ١٠ - كنز جامع الفوائد بالواسطة .
- ١١ - الكشكول للشيخ البهائي ، ط / الحكمة - قم .
- ١٢ - كشف الحق للعلامة الحلي ، بالواسطة .

- م -

- ١ - مفتاح الجنان للسيد محسن الأمين العاملي ، ط / الأولى - دمشق .
- ٢ - مسند أحمد بن حنبل بالواسطة .
- ٣ - مسند أبي داود الطيالسي بالواسطة .
- ٤ - مجمع الزوائد لأبي بكر الهيثمي ، بالواسطة .
- ٥ - من لا يحضره الفقيه للصدوق ، بالواسطة .
- ٦ - المستدرک للشيخ الطوسي ، بالواسطة .
- ٧ - مجمع البحرين للطريحي ، ط / طهران .
- ٨ - الميزان في تفسير القرآن للسيد محمد حسين الطباطبائي ، ط / ١ طهران .
- ٩ - منتخب البصائر للحسن بن سليمان ، بالواسطة .
- ١٠ - المحجة للسيد هاشم البحراني ، بالواسطة .
- ١١ - معاني الأخبار للصدوق ، ط / الحيدرية - النجف .
- ١٢ - مفاتيح الغيب للتفسير للرازي ، ط / ١ .
- ١٣ - مسند عبد بن حميد بالواسطة .
- ١٤ - مسند سعيد بن منصور بالواسطة .
- ١٥ - مستدرک الحاكم ط / الرياض .

- ١٦ - من عاش بعد الموت لابن أبي الدنيا، بالواسطة.
- ١٧ - المحاسن للبرقي، الحيدرية - النجف الأشرف.
- ١٨ - المناقب لابن شهر آشوب، ط / العملية - قم.
- ١٩ - محمد وعلي وبنوه الأوصياء للشيخ نجم الدين العسكري، ط / الآداب - النجف.
- ٢٠ - المجالس السنية للسيد محسن الأمين، مطبعة ابن زيدون.
- ٢١ - منتخب البصائر لسعد بن عبد الله، بالواسطة.
- ٢٢ - مشكاة المصابيح للخطيب التبريزي، بالواسطة.
- ٢٣ - المراجعات للسيد عبد الحسين شرف الدين، ط / السادسة - النجف.
- ٢٤ - مدارج القدس للغزالي، بالواسطة.
- ٢٥ - المنار في التفسير للسيد محمد رشيد رضا، ط / الرابعة، مصر.
- ٢٦ - مقتل الحسين للسيد محمد تقي آل بحر العلوم، ط / الزهراء - بغداد.
- ٢٧ - مقتل الحسين للخوارزمي، مطبعة الزهراء - النجف.
- ٢٨ - مجلة الإسلام في معارفه وفنونه للشيخ حبيب العاملي، ط / الإنصاف - بيروت.
- ٢٩ - معجم الطبراني الكبير والأوسط، بالواسطة.
- ٣٠ - المختارة للضياء، بالواسطة.
- ٣١ - مقتضب الأثر لابن عياش، بالواسطة.
- ٣٢ - المعمرين لأبي مخنف لوط بن يحيى، بالواسطة.
- ٣٣ - مفتاح النجا للعلامة البدخشي، بالواسطة.
- ٣٤ - المهدي (عليه السلام) للسيد صدر الدين الصدر، ط / عالي - طهران.
- ٣٥ - من الرحمان للشيخ جعفر النقدي، ط / الحيدرية - النجف.
- ٣٦ - المسائل السروية للشيخ المفيد، ط.
- ٣٧ - المحتضر للشيخ حسن بن سليمان، ط.

٣٨ - مجمع البيان في التفسير للطبرسي ، ط / ١ صيدا .

- ن -

١ - النور المبين في قصص الأنبياء والمرسلين للسيد نعمة الله الجزائري ، ط /
السعدية - مصر .

٢ - نور الإبصار للشبلنجي ، بالواسطة .

٣ - نوار الراوندي ، بالواسطة .

- ه -

١ - الهداية : بالواسطة .

- و -

١ - الوصي : للعلامة الحجة السيد علي نقى الحيدري ، ط / المعارف - بغداد .

- ي -

١ - ينابيع المودة : للشيخ سليمان الحنفي ، ط / الثامنة .

محتويات الكتاب

٥	الإهداء
٧	آيات افتتاحية من الذكر الحكيم
٨	دعاء افتتاحي
٩	المقدمة

الفصل الأول:

إرجاع من محض الكفر محضاً

١٣	التحقيق حول الرجعة
١٣	تساؤلات حول الرجعة
١٤	جوابنا على تلك التساؤلات
١٤	١ - ما هي الرجعة؟
١٤	٢ - من يقول بالرجعة ومن يعتقدها؟
١٧	٣ - متى تكون الرجعة؟ ومن الذي يرجع ومن لا يرجع؟
١٨	يوم الرجعة من أيام الله الخاصة
٢٣	٤ - ما الدليل على الرجعة وما فلسفتها والحكمة فيها؟
	الاستدلال التفصيلي بآية أولى من القرآن المجيد الدالة على
٢٣	إرجاع من محض الكفر والشرك
٢٥	من احتج من الأئمة (عليهم السلام) وشيعتهم بالآية على الرجعة؟
	الاستدلال التفصيلي بآية ثانية من القرآن الدالة على إرجاع
٣٢	من محض الكفر والشرك

نقاش في المراد من الإمامتين والإحيائين ٣٥

الفصل الثاني :

وقوع الرجعة في الأمم الماضية

* أولاً - قصة الألو ف الذين أماتهم الله ثم أحياهم ٣٩
من ذكر القصة واحتج بها؟ ٤٠

* ثانياً - قصة من أماته الله مائة عام ثم بعثه ٤٨

التدبر لمفاد الآية الكريمة ٤٨

الأخبار والأحاديث حول القصة ٥١

السبب في قول اليهود عزيز بن الله ٥٧

* ثالثاً - قصة بعث المختارين من قوم موسى بعد موتهم ٥٨

الأخبار والأحاديث حول القصة ٥٩

حديث أمير المؤمنين (عليه السلام) في احتجاجه على ابن الكوى ٦١

ردّ الشبهة عن موسى بن عمران (عليه السلام) ٦٢

* رابعاً - قصة صاحب البقرة وإحياء من ضرب ببعضها ٦٧

تفسير الآيتين الكريمتين وتدبر مفادهما ٦٧

الأخبار والأحاديث حول القصة ٧٠

* خامساً - قصة إبراهيم (عليه السلام) في إحياء الطيور ٧٧

تفسير الآية الكريمة وتدبر مفادها ٧٧

الأخبار والأحاديث حول القصة ٨٣

دفع شبهة الأكل والمأكول ٨٤

* سادساً - قصة أصحاب الكهف وإرجاعهم إلى الدنيا ٩٣

قصة أصحاب الكهف في القرآن ٩٧

١٠٢	 الأخبار والأحاديث حول القصة
١١٣	إحياء أهل الكهف أيام النبي (ص) في أحاديث
١١٩	 حديث مخرف
١٢٠	 أهل الكهف أعوان الإمام المهدي (عج)
١٢٣	 إسرار أهل الكهف إيمانهم في دولة الكفر
١٢٦	 التقية ومشروعيتها لهذه الأمة والأمة الماضية
١٢٨	* سابعاً - قصص عيسى (عليه السلام) في إحيائه الموتى بإذن الله
١٢٩	 التدبر لمفاد الآية الكريمة
١٣٦	 الأحاديث والأخبار حول القصص
١٤٥	* ثامناً - قصة أيوب (عليه السلام) بإيتائه الله أهله بعد موتهم
١٤٦	 التدبر للآيات التي تستعرض قصته وتفسيرها
١٥١	 الأحاديث والأخبار حول القصة
١٥٥	 الأنبياء معصومون من الذنوب

الفصل الثالث :

الرجعة من السنن الإلهية في الكون

١٥٩	 كل ما كان في الأمم الماضية يكون في هذه الأمة
١٦٠	 نصوص من تلك الأحاديث
١٦٥	بيان للفرقة الناجية

الفصل الرابع :

عدم إرجاع من أهلك بالعذاب الدنيوي

الاستدلال بآية ثالثة على الرجعة الدالة على عدم إرجاع أهل القرى

١٦٩	 الذين اهلكوا بالعذاب

الأحاديث حول الآية الكريمة	١٧١
فلسفة الرجعة وحكمتها البالغة	١٧٤

الفصل الخامس:

إرجاع من محضر الإيمان محضاً

الاستدلال بآية رابعة على الرجعة الدالة على إرجاع الله لحججه

المظلومين لنصرهم	١٧٧
موارد النصر لرسل الله وأوليائه بعشر صور	١٧٩
١ - نصر الله لهم على الذات والشهوات	١٧٩
٢ - نصر الله لهم بالحجة والدليل	١٨٠
٣ - نصر الله لهم بجعل القلوب تهوهم وتحبهم	١٨٢
٤ - نصر الله لهم بما آتاهم من علوم إيحائية وإلهامية	١٨٣
٥ - نصر الله لهم بما آتاهم من الهيبة والعزة	١٨٤
٦ - نصر الله لهم بما آتاهم من المعجزات والآيات	١٨٥
الحكم في جعل الله أوليائه غاليين ومغلوبين	١٨٦
عود إلى موارد النصر الإلهي لأوليائه	١٨٨
٧ - نصر الله لهم بدفع القتل عنهم قبل حضور آجالهم	١٨٨
بيان موجز في آجال الموت	١٨٨
دفع الله القتل عن نبيه محمد (ص)	١٩٠
دفع الله القتل عن علي وأبنائه (ع)	١٩٣
٨ - نصر الله لبعضهم بإبادة أعدائهم بالكامل	١٩٥
٩ - نصر الله لبعضهم بتأخير الانتقام من أعدائهم إلى حين	١٩٦
١٠ - نصر الله لهم على أعدائهم في الرجعة	١٩٧
الأحاديث حول الآية الكريمة	١٩٧

٢٠٠	الاستدلال بآية خامسة على الرجعة
٢٠١	بيان حول الآية الكريمة
٢٠١	أقوال المفسرين في الموعودين بالاستخلاف
٢٠٤	الآية الكريمة والتحقيق حولها
٢٠٩	كلام السيد قطب في حقيقة الإيمان والعمل الصالح
٢١٣	نصوص الأحاديث حول الآية الكريمة
٢١٨	بيان مهم حول نصوص الأحاديث
٢٢١	أحاديث في الرجعة
٢٢٤	ملاحظة إيضاحية مهمة حول الحديث
٢٢٥	التحقيق في وقت هلاك إبليس لعنه الله

الفصل السادس :

الإمام المهدي (عليه السلام) وغيبته وظهوره

٢٢٧	إمامة المهدي (عليه السلام) في صباه وطول عمره في غيبته
٢٢٨	أمر الإمامة بيد الله تعالى لا بيد خلقه
٢٢٩	مفاد الآيتين
٢٣٠	إتياء الكتاب والحكم ليحيى في صباه
٢٣١	إتياء الكتاب والنبوة لعيسى يوم ولادته
٢٣٣	إتياء الإمامة لثلاثة من أئمتنا وهم صبيان
٢٣٦	طول عمر نوح والخضر وعيسى بن مريم (عليه السلام)
٢٤٦	نزول عيسى من السماء وإقتداؤه بالمهدي (عليه السلام)
٢٥٠	غيبنا الإمام المهدي (عليه السلام) الصغرى والكبرى
٢٥٢	الفرق بين الغيبتين
٢٥٤	وكلاء الإمام (عليه السلام) في الغيبة الصغرى